مؤسسة سلسبيل
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

المُذَكِّرُ

لِطُلَّابِ حِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالحَافِظِينَ وَالمُتَدَبِّرِينَ

سُورَةُ النِّسَاءِ نَمُوذَجًا

تأليف
توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

المذكر

لطلاب حفظ القرآن الكريم
والحافظين والمتدبرين

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م

الصف والتصميم والإخراج:

مؤسسة سلسبيل
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

حولي- شارع المثنى- مجمع البدري
الدور الأرضي- محل ٢٩
هاتف: ٩٦٥٦٠٠٨٢٧٠٤ +

المُذَكِّر

لِطُلَّابِ حِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالحَافِظِينَ وَالمُتَدَبِّرِينَ

تأليف

توفيق بن خلف بن عبد الله الرّفاعي

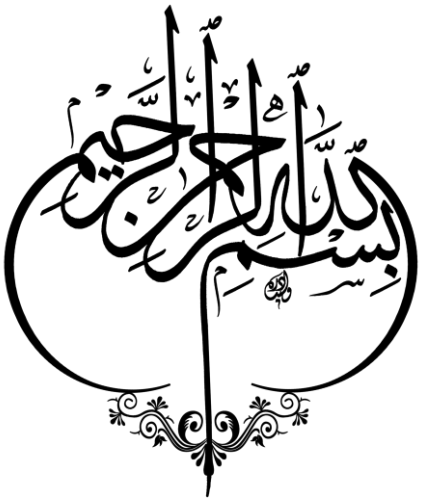
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة
خصائص: كتاب «المذكِّر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «**رَحِمَهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»، وَزَادَ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَائِشَةَ: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا**»(١).

مَن ذا الذي لا يغبط عبَّادًا؛ إذ هو قائم ليله في مسجد رسول الله ﷺ.. فيسمع رسول الله ﷺ قراءته ... فيعرفها ويعرفه، فيتذكره وتُذكِّره... فيدعو له، والله يرحمه.

ولئن ذهب عباد بهذه الخصوصيات، كما ذهب بخصوصية الصحبة المباركة... فما ذهب عباد بخصوصية دعوة النبي ﷺ لكل مَن ذكَّر قارئًا بآية قد سقطت، أو آية صعب عليه تذكرها، أو آية تعسَّر عليه ربطها بالتي بعدها.

وهذا هو الأصل الثابت في أدعية النبي ﷺ لكل مَن دعا له دعوة بسبب، فإنها دعوة لكل مَن عمل ذلك السبب من أمته ﷺ مثل دعوته لعبَّاد ﵁، بل حتى لو كانت دعوة مطلقة دعاها رسول الله ﷺ لأي شخص في عهده فإنها لكل مؤمن ومؤمنة إلى

(١) رواه البخاري (٢٦٥)، ومسلم (٧٨٨).

يوم القيامة، ما لم تُخصَّص به أو بها - إن كانت امرأة - ومثل هذا دعوته ﷺ لعائشة رضي الله عنها حيث قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي، فَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ»، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟»، فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ، فَقَالَ ﷺ: «وَاللهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ»(١).

فهذه دعوة رسول الله ﷺ سارية في الوجود... باقية ما بقي القائمون، والعاكفون، والركع السجود.... بكل مَن ذكَّر ناسيًا آية كان قد حفظها، أو ذكَّر مَن أسقط آية منه ظن أنه لم يسقطها، أو يسَّر على مَن صعب عليه ربط آية بآية، واستشكل حفظها، أو هُدِيَ إلى طريق مُيَسِّرٍ للحافظين مواضع قد جمعها من طلابه وطلاب غيره فدرجوا على استشكالها وتلكَّأ حفظهم عندها.

«رَحِمَهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»:

مَن يدري بأن رسول الله ﷺ أسقط آية كذا وكذا لو لم يُخبر رسول الله ﷺ؟ ... لكنه ﷺ إنما نسي ليسن، وأن لا كبير على القرآن العظيم، وأراد أن يُعلي شأن مَن يُذكِّر مَن نسي شيئًا من القرآن... ويريد أن يُعلم كل حافظ يوم القيامة تعاهد القرآن ولو بالسماع.

هنا يودُّ البعض لو أن رسول الله ﷺ قال: كذا وكذا، وأنه ذكر الآيات نفسها، ويأبى رسول الله ﷺ أن يذكر ذلك لئلا تصبح هذه الآيات معروفة بهذا... فيُساء لكتاب الله! ولئلا يبني المتوسعون باطلًا في الحفظ، ويلصقونه بكتاب الله..

(١) رواه ابن حبان (٣٤٤٦)، وقد حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٥٤)، وحسنه أيضًا شعيب الأنؤوط في تعليقه على «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٤٨).

ولئلا يخرج البعض إسقاط الآيات هذه عن حدود البشرية... بل في هذا تشجيع لكل طالب حفظ أن احفظ ولا تخشَ النسيان، وتشجيع لكل ناسٍ شيئًا من القرآن ألا تيأس إذا نسيت، بل حتى لو سقطت منك آيات... فنحن بشر، وإذا كان مَن نزل عليه القرآن ﷺ سقطت منه آيات... فمَن أكون أنا، أو أنت؟!

فنحن جميعًا بشر، وقد أراد الله ذلك، وقد جعل المثل هنا في رسوله ﷺ عزاءً لكل مَن نسي أن تذكَّر إذا ذُكِّرت، وأعد الفضل لأهله، فهذا حقهم، واعلم أنك بشر ... ولا تنسَ أنك بشر... ولا ترفع قدرك عن كونك بشرًا... وسر على سيرة سيد البشر ﷺ.

عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لاَ أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ»[1].

الخاصة الأولى:

تيسير ربط الآيات من الآيات نفسها: حين تكفَّل الله تعالى بحفظ القرآن جعل أعظم أسرار حِفْظِهِ في ذات آياته العظيمة الكريمة.

وهنا سنعرف جميعًا بإذن الله تعالى أن مواطن التيسير لحفظ القرآن في كل شيء - وفي كل موضعٍ في هذه السور المباركة، وأن لا موطن في سورة النساء.. صعب وعسير؟

(١) رواه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

ولهذا جاءت سورة النساء نموذجًا في سهولة حفظها وفي سهولة تثبيتها بعد حفظها والمهارة فيها بكثرة تعاهدها بإذن الله تعالى.

وكم ممن ابتدأ حفظه القرآن ثم انقطع .. فإذا جئت تسأل في أي موضع توقف قيل لك: إنه حفظ البقرة وآل عمران .. لكنه عند النساء توقف ولم يكمل.

وإذا سألت عمن نسي بعدما حفظ تجد أحيانًا أن أول ما ابتدأ النسيان عنده من القرآن سورة النساء، وإذا سألت الحافظين: ما أكثر موطن يحتاج إلى مضاعفة المراجعة والتركيز فيه؟ كان الجواب إنما هو سورة النساء.

وسوف نرى بإذن الله التيسير المنقطع النظير في كل آية من آياتها المباركة.. حتى تغدوَ عندك بعد إتمام قراءة هذا الكتاب عند حفظها.. من عظيم إحكامها بحيث لا ينقطع بعضها عن بعض، وإذا فَهِمْتَها وفهمها طلابك لم ينسوها.. وإن تركوها فترة عادوا إليها فعادت إليهم سريعًا - بإذن الله.

وسنصل هنا جميعاً إلى نتيجة تقول: إذا كان هذا الحال من التيسير الذاتي في آيات سورة النساء الطويلة الغديقة بالعلوم والأحكام، المزدانة المتزاحمة بالتشريعات، المثقلة بأنواع وألوان من المِلل والنِّحَل... المكتظة بصنوف من البشر.. فكيف بالتيسير في غيرها من سور القرآن العظيم مما ليس فيه كثير من هذا؟!

وهذا التيسير إنما هو من البشارة التي جعلها الله ﷻ لرسوله ﷺ، وبشَّر بها المؤمنين فكانت لهم أجمعين: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [الدخان] فيسَّره سبحانه بلسان رسوله ﷺ فجاء يبشر المؤمنين به، ويبشِّرهم بتيسيره، ويحرِّضهم على جمعه في صدورهم فتيسير القرآن ذاتي.

وسيكون عندك بإذن الله يا محفظ القرآن العظيم ما تقوله من آيات الله نفسها لطلاب حفظ القرآن عند تحفيظ القرآن العظيم نفسه، ومن الآية نفسها، ومن الفضاء المبارك الرابط ما بين الآية والآية التي تليها... وأن يجتمع عند الطالب منذ ابتداء حفظه أمران هما؛ القرآن والإيمان معًا.. حفظ القرآن وتعليم القرآن معًا، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن] وأي إيمان وعلمٍ وإحكام وبيان يتعلمه طالب التحفيظ أحسن وأمكن وأعظم من أن يكون معلمه المباشر هو القرآن.. فهل فهمنا الآن.. ماذا يعني لنا الآن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾؟

الخاصة الثانية تلقي الحكمة من القرآن الحكيم شيئًا فشيئًا:

لا بد أن يكون قد التفت انتباه كل مَن يحفظ سورة النساء كثرة اختتام آياتها بأسماء الله الحسنى... وعلى الأخص والأكثر هو اسم الله «الحكيم» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾ [النساء]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ [النساء]، ولسوف يتجلَّى في هذه السورة المباركة عظيم تيسير آيات الله ﷻ رغم طولها، وكثرة أحكامها، وتتابع مرادفاتها، وقسمتها، وما إلى ذلك... فتؤمن أن الله ﷻ قد جمع بين هذه الصعوبة لو كانت في غير كتاب وبين سهولتها هنا، وعظيم ربطها وإحكامها ... ليهب الله ﷻ للشيخ الحافظ، وللطالب المبارك، والناس أجمعين اليقين عِيانًا بيانًا، وأن الله كان عليمًا حكيمًا، ولو لم تكن السورة بهذه الصورة من طول الآيات لما ظهرت الحكمة.... وشواهد الحكمة في هذه السورة لا تُعدُّ ولا تُحصى.

إنك أثناء حفظك وتحفيظك القرآن حين ترى في كل مرة الإحكام والتيسير معًا بين كل آية وآية، وفي ثنايا كل آية.. فلا تزال في بحور هذه الحِكَم تَعُبُّ مِن مَعينها

عبًّا، ومن مصدرها الذي لا تفارقه إلى سواه قيد أنملة.. فكيف لا تتفجَّر - بإذن الله - أنت بالحكمة وأنت تتشرَّبها من مصدرها، وتمارس ذلك ممارسة تدبرية مع كل آية من آيات الله ﷻ.. وهل من شيء أغلى وأثمن من الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة]؟! فالحكمة تُتعلَّم وهذا مصدرها.. قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة]..

إن هذه المعايشة مع سورة النساء ليست لَفَتَاتٍ قرآنية، ولا مجرد إشراقات نيِّرة هبَّت علينا في ليلة مباركة فجئتُ أَسُوقها فرحًا بها .. ولا استصغار لفضل الله العظيم، والحمد لله رب العالمين.

تبعث بعلمها وإيمانها وحكمتها وفتحها ونصرها ونورها وهداها من كل آية من آيات الله.. مباشرة منها، دون أن تَحْمِل أي تصورات خاصة، أو خلافات قديمة أو حديثة، مستعيذًا بالله من شرِّ ذلك «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»(١).

إذًا كيف ستنمو الحكمة والإحكام ويعظمان معًا ...مع المتعاهد حفظه من القرآن الليل والنهار، والتعاهد ضرورة لا يستغني عنها حافظ القرآن أبدًا، وعلى هذا ديمومة رسول الله ﷺ وسُنَّته، وهو من جمع الله له وبه القرآن، وقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة]، وبهذا أوصى رسول الله ﷺ كل

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

حافظ قليلًا أو كثيرًا، فعن عبد الله بن عمر ﷺ.... أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ: إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»(١).

لا تحسبن أن الصحابة لم يكونوا يعرفون هذا الذي نقوله من الربط والإحكام.. بل هم واللهِ مَن عندهم جو الآيات.. ومعايشة نزول الآية.. ومعايشة أسباب النزول، هم في مَعِيَّة مَن تتنزل عليه آيات القرآن.. والسماع منه في صلاته.. وفي حياته وفي نبراته.. وفي تفاعلاته الأولى، وتفاعلاته في حياته.. فذلك واللهِ له رسائله للروح وله على القلب دقات على دقاته.. ولهذا وحده فهم أعمق من كل فهم.. حتى أنك لا تكاد ترى أن أحدًا من الصحابة التبس عليه القرآن، فهذا ابن مسعود ﷺ قرأ على النبي ﷺ اثنتين وأربعين آية من أول سورة النساء لم يتوقف مرة، ولم يلتبس عليه مرة، حتى قال له النبي ﷺ: «حسبك»... والأصل أنه لو تركه لأتمها وأتم حفظه لم يتوقف مرة بدليل أول سورة النساء...

الخاصية الثالثة: دواء الغفلة وأمراض القلوب: ما أكثر أمراض القلوب في هذا الزمان... من شهوات، وشبهات، بل وإلحاد، ونفاق، أما الإلحاد فهذا ما سيأتي له الجواب الذي لا جواب مثله في سورة النساء المباركة هذه ... في جزء قادم - بإذن الله - ... حتى ترى أن هذه السورة المباركة كأنها ما أنزلت إلا في عصرنا هذا، وفي أيامنا هذه... إنه شيء آخر .. آخر تمامًا... سائلًا الله أن ييسر ذلك، وهكذا لجميع الفتن الأخرى في هذه السورة المباركة علاج؛ إذ قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]؟.... فهذه سورة النساء وهذه آيتها الثانية والثمانون؛ أي في وسطها تقريبًا... فهي

(١) رواه البخاري (٥٠٣١).

الشاهد الأقرب لما سبقها ولما لحقها لما ذكره الله في هذه الآية من إخبار بخير كثير.. وإعجازٍ وتحدٍّ وإحكام وتيسير؟

وأرجو أن نرى - نحن - ما أخبر الله به عن المنافقين من أنهم لو تدبَّروا القرآن لوجدوا فيه إحكامًا مطلقًا.. ولم يجدوا فيه اختلافًا مطلقًا... ولتركوا النفاق، وتطهروا منه قلبًا وخُلقًا... إذًا فكيف لو تدبَّره المؤمنون..؟

وهنا يكون الإقرار والتقرير: كيف يكون في تدبُّر القرآن الكريم دواء لأصعب مرض وهو النفاق، ويكون فيه نجاة لسكان الدرك الأسفل من النار... ولا يكون فيه علاج للمؤمنين ولأمراضهم الهيِّنة لو أنهم تدبَّروه؟! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾.

وأخيرًا: لماذا هذا اسم الكتاب المذكِّر[1]؟

أين يتوقف أكثر الطلاب عند ربط الحفظ بعضه ببعض عادة...؟! أليس ما بين الآية والآية التي بعدها.. وأين أول ما يُنسى من القرآن عادة بَعْدَ بُعْدِ العهد بالهجران للقرآن...؟ أليس ما بين الآية والآية... ولهذا سنجد هنا ربنا سبحانه كيف أنه قد علم بضعفنا سبحانه فلطف بنا، وجعل لنا ما يصل الآية بالآية منذ أن أنزل القرآن ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء]؛ فهنا جعل سبحانه إطلالة من خاتمة الآية الحالية على الآية القادمة.. فلا ينسى مَن عرف هذه الإطلالة، وهنا تجد الرابط من الآية القادمة على الآية السابقة، وهذا تعرفه عند قراءة

---

(١) حين سمع البعض بهذا الكتاب ظن أنه سيكون من كتاب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للإمام الجليل البقاعي... وأحسب أني من أكثر الناس صحبة لكتاب «نظم الدرر»، ولم آخذ من الإمام البقاعي في هذا الكتاب إلا كلمات قليلة، ولأربعة أو خمسة مواضع..... وكتاب الإمام البقاعي شيء، وهذا شيء مختلف، وغاية الكتب تختلف، ووسائلها تتشابه أحيانًا، وأكثرها كذلك يختلف.

الآية القادمة ويبقى معك – بإذن الله – إلى الأبد.. وهذا إحكام عظيم نكتشفه من خلال النظر الجديد من الآية القادمة إلى الآية الماضية.. وهنا يكون الإحكام من خلال وحدة المعنى ما بين الآية والآية، وهنا تجد كذلك أن الله سبحانه قد جعل الوحدة اللفظية أو وحدة مصدر الكلمة رابطًا عظيمًا ومحكمًا بين الآيتين، وأحيانًا تكون وحدة المصدر بين الكلمتين الأخيرة من هذه الآية والكلمة الأولى من الآية القادمة هو الربط المحكم، وأحيانًا يكون الربط بالضد، والقائل[1] يقول: «وبضدها تتميز الأشياء»[2]، مثل ربط الدنيا بالآخرة، والعسر باليسر، وما إلى ذلك، وأحيانًا يكون الربط بحرف صغير يتكرر في آية طويلة يظهر أنها مشكلة، فإذا اكتشفت هذا الحرف عرفت أن من أسراره أنه مثل الروح التي ربطت الجسد كله، وهذا موجود في هذه السورة في أكثر من آية – وأحيانًا وأحيانًا مما يصعب حصره، وستراه بإذن الله طوال رحلتك هذه مع كلمات الله في سورة النساء المباركة.

إذًا كيف يكون تيسير من رب العالمين في ثنايا الآية كذلك كما هو بين الآيتين؟

والجواب: نعم يكون تيسير، وأي تيسير، وتجد التيسير في العادة في كلمات الآية ذاتها.. وأحيانًا في لفظة واحدة تتردد في الآية الطويلة فتنتقل معها الروح تنقُّلًا طوعًا.. أو في الآيات المتتابعة المتوحدة المعاني فترى حفظك لها سهلًا يسيرًا كأنها آية واحدة، وتراك محفوظًا من التيه بإذن الله، والعودة للحفظ مرة أخرى سهلة ميسرة

---

(١) القائل هو المتنبي (الشاعر).

(٢) البيت كاملًا هو:

ونذمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتميز الأشياء

وللبيت رواية أخرى هي:

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

وسريعة - بإذن الله - وإن بَعُد العهد وظننت الاستذكار ثقيلًا، وأحيانًا يكون بلفظة مُعَيَّنة تفرق بين مشتبهين.. وأحيانًا وأحيانًا ولكل شيء مما ذكرنا فيض من الشواهد، والله سبحانه هو العليم الحكيم.

إن تيسير حفظ القرآن لا يقتصر على طرق ونظم واستقراءات يكتشفها العباد، بل هو من يعين العبد على الحفظ والله يجتبيه لجمع كلامه سبحانه في صدره، ثم إن الله هو من جعل التيسير في ذات الله لحفظه ... مختوم بختم صالح للحفظ ... بل ميسر للحفظ أعظم التيسير، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، ثم إن الله سبحانه هو من يبني الثقة في نفس الحافظ ليحفظ، ويهبه الإقدام، وينزل عليه السكينة، ويقطع المسافات بهذه السكينة والطمأنينة، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، والله سبحانه هو من يزيل عن الحافظ الاستعجال، وغالبًا الاستعجال يطفئ الانطلاقة في الحفظ واستمرارها، كما قال الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

الله ﷻ هو من يحبب إليك قيام الليل، ويخفف عليك طول القيام، ويُسهل استرجاع الآيات وتعاهد المحفوظات، ويذكرك الآية تلو الآية، وهذا والله مُجَرَّبٌ، وخصوصًا في قيام الله، وكم يُستصعب سور أو آيات! أو يستصعب استرجاعها! فَيَصْدُق سؤال الله ﵎ في طلبه لحفظ كلامه فيجدها سهلة ميسرة، وهكذا في كل مرة يتكرر معه الأمر ويتأكد.... وهذا من قرب الله لصاحب القرآن، وقربه أكثر وأكثر لصاحب القرآن؛ إذ هو يحفظ ويقرأ القرآن لقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ

ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس]، فكل شؤون المرء وكل أعماله عموميات، فلم ينص الله ﷻ أو يخص من الحياة والشؤون كلها إلا ﴿ تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾، وهذا الحضور الرباني يجده القارئ، والحافظ، والمتحفظ، وقائم الليل بالقرآن العظيم.

وكل هذه الطرق ونحوها وغيرها عنونتُ لكل واحدٍ منها بـ«الـمُذَكِّر»، وأحيانًا يكون في الآية الواحدة أكثر من مُذَكِّر، وعندها لا يكون أي مذكرٍ منها متكررًا مع آخر أبدًا.

والله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية]، فالمذكِّرون كرام وكثر، وأنت يا رسول الله - صلى الله عليك وسلم - سيدهم.

وحين يعرف المسلم شرف أن يكون مذكِّرًا، وعلى وجه الخصوص مذكِّرًا بكتاب الله تبارك وتعالى ويعرف عظيم هذا الشرف وهذه الخصوصية يسعى لئلا يفوته هذا الشرف عند الله سبحانه، وعند رسوله ﷺ، كما في الحديث الذي مرَّ معنا في صدر المقدمة وهو: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْـمَسْجِدِ، فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»، وَزَادَ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَائِشَةَ: تَهَجَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَّادٍ يُصَلِّي فِي الْـمَسْجِدِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا»(١).

فهذه دعوة باقية أبد الآبدين لعبَّاد رضي الله عنه، ولمَن قام مقام عبَّاد في أي زمان، وبأي صورة تذكير بآية، ولقد رفع الله شأن المذكِّرين، وشرَّفهم شرفًا عظيمًا؛ إذ ربنا سبحانه

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥)، ومسلم (٧٨٨).

هو صاحب الذِّكْر الحكيم، وهو مَن نناشده: «وذكِّرنا منه ما نسينا»؛ ولذا فهو سبحانه مَن يرسل هذا العبد فيذكِّر ذاك الداعي، فيكون هو مرسلًا من الله إليه، وهو لا يدري، وصاحب الدعوة لا يدري، ثم إن القرآن هو كتاب الذِّكْر، وهو الذكرى، وهو التذكرة، وهو «الذِّكْر الحكيم»؛ فيقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آل عمران]، ورسول الله ﷺ هو إمام المذكِّرين، كما قال له ربه ﷻ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية].

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

الآية الأولى وغاية السورة - والله أعلم:

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

مطلع السورة: سبحان الله! فإن مقدمة سورة النساء بهذه الآية التي تكرَّرت فيها كلمة ﴿ٱتَّقُواْ﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾، وخُتمت بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ لتدل على عظمة المسؤولية في هذه الآية.. وخطورة ما في الآية القادمة، وخصوصًا أن هذه الآية خُتمت بقوله: ﴿رَقِيبًا﴾.

سبحان الله العظيم! سبحان الله وبحمده! كما كان الإحكام عظيمًا ما بين الابتداءين؛ ابتداء الخلق في الدنيا، وابتداء الإعادة والبعث والنشور في الدار الآخرة، فحين قال ربنا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فلقد ضمَّنه دليل إعادتكم وسهولته عليه سبحانه مرة واحدة وبنفخة من مَلَك الصور واحدة، ولقد قال الله سبحانه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان]، فسبحان مَن أعاد خَلْق حواء وخَلْق الأبناء جميعًا إلى النفس الأولى أولًا حيث قال: ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فزرُّ السر واحدة وزرُّ الإعادة واحدة، فبمجرد تحريكةٍ واحدة إذا بالخَلْق قيام، قال سبحانه: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وليسا نفسين، وهذا شاهد الوحدانية باقٍ إلى آخر نفسٍ في هذه الحياة.. فليس الابتداء نظريات، ولا احتمالات، ولا تقلبات، ولا هو تطور

وارتقاء، بل هو الحق المبين والقطع من صاحب الأمر الله رب العالمين، سبحان مَن جمع كل النفوس في نفس واحدة، ثم خلق من تلك النفس نفسًا أخرى.. ثم كان بث الخليقة منهما في هذه الأرض.. فأي غَيْرة يُحدثها كلام ربنا وخالقنا سبحانه في نفوسنا على بعضنا من كل المخاطر في الدنيا وفي الآخرة.. فالمؤمن رحمة للناس وإنقاذ لهم همته تضيق وتتسع حسب إيمانه واستجابته لنداء الله في هذه السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ولهذا كان أعظم مذكور في هذه السورة من الخلق هو رسول الله ﷺ؛ لأنه هو الرحمة المهداة من الله رب العالمين؛ ولهذا خاطب الله الناس به في أول هذه السورة على الأخص، كما خاطب الناس في آخرها بذات هذا الخطاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فكأن السورة انعطفت في آخرها على أولها، فأحكمت إحكامها، وتوحدت غاياتها، فانكشف للناس فيها أعظم مكنون في هداياتها ومعانيها.

ألا إنه رسول الله ﷺ فقال ﷻ هنا في الابتداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] ولقد أفصح هناك قبل الختام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء].

سبحان الله! فإن ذكر النساء في هذه السورة دعوة وهداية، وتعداد ما ذكرت النساء في هذه السورة شهادة على عظمة شأن النساء، وخير جواب على مَن اتهم الإسلام بمعاداة المرأة، حيث تكرر ذكرها في هذه السورة وحدها سبع عشرة مرة، وكل الموضوعات التي ذُكرت في هذه السورة عن النساء كان فيها إعادة حقها، وتعظيم شأنها، والوصية بها، ولا يوجد موضع واحد فيه ذكر العذاب لها أو ذمها... وبالإضافة لكل هذا فإن اسم هذه السورة سورة النساء، إنها سورة النساء التي تحمل النساء خاصة على شكر الله على هذه السورة بكل ما فيها، وتحملهن أمانة وحمل رسائلها، ومن أعظم الأشياء الواجبات أن يدافعن عن أنوثتهن في هذا الزمن؛ إذ العدوان عليهن بلغ محاولة جائرة لتغيير اسم النساء، واسم المرأة، واسم الأنثى.

المُذَكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٢]:

المُذَكِّر الأول: فانظر إلى هذا الترابط الذي جعل الآيتين كأنهما آية واحدة بمعانيها والذي تجلَّى ما بين ختام هذه الآية وابتداء الآية القادمة، فلقد ختم الله ﷻ هذه الآية العظيمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ والسؤال هو: مَن الذين بقوا لا راعي لهم ولا رقيب إلا اليتامى وأمهات اليتامى وأموال اليتامى وأحوال اليتامى؛ ولهذا فالختام لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ إنما يتضمن تحذيرًا عظيمًا وهو أول ما يقع في النفس.. فكان أول ما يستقبلك في الآية القادمة هم الأيتام وحقوقهم.. وهكذا أصبح الإحكام عظيمًا بين الابتداء والختام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ختام الآية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ لينبِّه النفس إلى أن لله أمرًا عظيمًا قادمًا في هذه السورة وتكاليف وحدودًا واختبارات و﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ فهي تكشف طبع هذه السورة وصبغتها، وهي صبغة الإحكام والفصل.. حتى في الأمور العملية القادمة والله أعلم.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا﴾ [النساء: ٣]:

المُذكِّر الأول: فكم هو الإعداد من ختام هذه الآية لأول الآية القادمة بحيث لا يمكن أن يُنسى بعدها.. فإن الخوف يربط بمثله وهو الخوف، فالله سبحانه ختم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ فهو إثم وخوف كبير فجاء بعدها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا﴾ [النساء: ٣] فهل يمكن أن يضل حافظ الآية الثانية بعد هذا؟!

المذكِّر الثاني: وحين تنتقل إلى الآية الثانية وأنت تقرأ قول الله ﷻ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ تعلم أن قول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء] هذه الأعمال هي موضوع مراقبة الله.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ ليس مجرد عقيدة مستكنة في الصدور، بل مطلوب منكم على الفور أعمال يراقبكم الله عليها..وهي هذه الأعمال الثلاثة في الآية الجديدة، هذا... كما يحاسبكم على مدى الإحسان في أدائها، فرقابة الله على هذه الأعمال خاصة وعلى كل حياتكم عامة، ربما تقول: هذا أمر معروف؟ أقول: تصوَّر لو أن الله لم يذكرها في الآية التي بعدها فمن يستطيع أن يستنتجها، ويقطع بأن هذا هو مراد الله ﷻ.. ولو كان معروفًا فَلِمَ ذكرها الله سبحانه؟! كيف والله غيَّر سبحانه بذكر هذه الأعمال في الآية التالية سننًا جاهلية وأعرافًا منتنة؟! أرأيت كيف هو الإحكام الذي يجعل من المستحيل على المسلم إهمالها أو تضييعها، كما يجعل من المستحيل على الحافظ نسيانها.. إذن ألا يكون الحفظ للآيات أسهل ويكون أشد تثبيتًا؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤]:

❀ **المُذَكِّر** سبحان الله! كيف يُعِينُ الله على حفظ كتابه وييسره على طُلَّابه، فحين ختم الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿تَعُولُوا﴾ أشارت هذه الكلمة إلى طريق الإعالة الصحيح وهو أن يكون لك عيال.. وأنه لا طريق إلا بزواج النساء زواجًا شرعيًّا، فكان أول الآية ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]:

❀ **المُذَكِّر:** سبحان الله! كيف جاءت إعانة الله للحافظ بكلمة واحدة منفردة بالآية التي بعدها لتُذَكِّر طالب حفظ القرآن، وهذا سوف يتكرَّر معنا - بإذن الله - كثيرًا في هذه السورة المباركة والتي ما كتبنا هذا الكتاب فيها إلا كنموذج، وكل مثال من الآيات القادمة ليشهد بشكل عام لجميع المسلمين، ويشهد بشكل مخصوص للحافظين شهادة حق بصبغة كتاب الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر].

فسبحان الله! ما أجلَّ وأجملَ قول الله سبحانه على نفوس الآباء والأولياء على النساء! وهو قول الله ﷻ: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الفقرة الخاتمة تفتح بابًا على الآية القادمة وموضوعها وهو أن الذي لا يهتم من ماله إلا بما يأكله وما يشبع بطنه، ويُلبِّي هواه وشهوته إنما هم السفهاء.. فإذا بأول الآية القادمة هم السفهاء؛ فكان هذا الترتيب: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ وبعدها: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]؛ ولهذا فإن العرب تعد هذا ذمًّا للقادة والمقدَّمين عند الناس؛ ومن ثَمَّ فقد عاقب عمر رضي الله عنه الحُطَيْئَة حين قال في والي عمر:

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[1]

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ [النساء: ٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦]:

المُذكِّر الأول: من أسهل ما يكون للربط بين الآيتين هو الوحدة اللفظية أو التقارب اللفظي، وهذا من تيسير الله ﷻ الذِّكْر وهو القائل: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ ومن هذا النوع اتحادُ أولِ الآيتين المتتابعتين فالآية السابقة ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ وهذه الآية ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ أليس هذا من تيسير الله وتسهيل حفظه للذكر الحكيم ليحفظه العباد، كما أنه لا بد أن تكون ﴿وَءَاتُواْ﴾ قبل ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ﴾؛ لأن العطاء عند الله مقدَّم على المنع، والإكرام مقدَّم على الإمساك.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٥٠).

المُذَكِّر الثاني: سبحان الله! فإن مَن نظر في آخر كلمة في هذه الآية العظيمة مستقلة بعدما نظر إليها كجزء لا يتجزأ من الآية سيجد في هذه الكلمة حين تكون مستقلة إلهامًا آخر بالفتح عليه في موضوع الآية القادمة.. فإن الله سبحانه لم يُحدِّد للسفهاء متى يُعْطَوْنَ أموالهم كاملة ما داموا سفهاء، أما اليتامى فلا بد أن يُعْطَوْا المال إذا زال اليُتْم دون تأخير مع مراعاة الاختبار أولًا، وفي هذه الكلمة ﴿مَّعْرُوفًا﴾ كان السر، وكان الفتح فإن اختبارهم لا بد أن يكون بالعُرف والسهولة، وأن يكون الاختبار بمجرد وجود الرشد، أو ما يشير إليه عندها يُعطون أموالهم، ولهذا نكَّر الله كلمة ﴿رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] وسبقها بقوله: ﴿ءَانَسْتُم﴾ [النساء: ٦] أي: أيَّ رشد كما ذكر ذلك الإمام البقاعي رحمه الله[1]، فالله سبحانه بهذه الكلمة ييسِّر للحفظة ترتيب الآيات كما ييسر لليتامى حيازة أموالهم، فكان الكمال في هاتين الكلمتين: ﴿مَّعْرُوفًا﴾ ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

المُذَكِّر الثالث: بين قول الله ﷻ: ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦]:

فإن القول المعروف المعرِّف لهم بالأحوال والآداب والتصرفات يكون جزءًا ضروريًّا من كفالة اليتيم الذي افتقد مربيه، ومن ثَمَّ فإنه سوف يكون معدًّا سلفًا للنجاح عند الاختبار لتسليمه المال... وهذا هو أحسن ما يكون لإصلاح نفس الولي الذي تدعوه نفسه لإبقاء مال اليتيم عنده ليطول انتفاعه، فالقول المعروف هو الذي يُعدُّه للنجاح إذا جاء اختباره لتسليمه ماله.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٥/ ١٩٧) بتصرف.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٧]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن كلمة ﴿مَّعْرُوفًا﴾ مع السفهاء عند إعطائهم كسوتهم وما يحتاجونه منها أمر مشروع، ولكن كلمة ﴿مَّعْرُوفًا﴾ إنما هي رابط بين الآيتين عجيب؛ فإنها إشارة إلى أن ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ بالعرف والمعروف والسهالة والأنس؛ ولذا قال ربنا: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ فلا يُقْسى عليهم في الاختبار، ولا يشتد عليهم الوصي فيؤخر تسليمهم المال؛ ولذا قال: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ بمعنى بعض الرشد.

سبحان الله! فهنا ختم الله ﷻ بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ وهي الأنسب للآية نفسها قطعًا، وهي الأنسب للآية القادمة كذلك؛ إذ اجتمعت كلمة ﴿حَسِيبًا﴾ منارة تشير إلى الآية القادمة، وأن فيها حسبة وحسابًا وإذا بها آية الأنصبة، والقسمة فالمواريث.. فالله على كل حساب حسيب، وهو سبحانه حسيب على كل محاسب، فقال ربنا سبحانه في أول الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨] أليست هذه الكلمة منارة تطل على الآيتين الكريمتين كلٌّ بمعناها؟! فهي من إحكام آيات الله... من كل جهة، وصدق الله إذ قال: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود].

المذكِّر الثاني: إن قوله سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ لهي كلمة تجعل المسلم يعيد جميع حساباته في هذا الشأن، فالله سبحانه يقول عن نفسه للناس كافة؛ العرب الأميين وأهل هذا العصر من فيزيائيين وغيرهم، وأهل الرياضيات وغيرهم، وكل مَن يعتمد على الحساب، وكل مَن يتعلَّم هذه العلوم: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ هذا هو ربكم أيها المؤمنون... من أسماء ربكم سبحانه الحسيب الذي لا حسيب مثله، الحسيب فهو مَن علَّم الناس العلوم ومنها علم الحساب... هو سبحانه الحسيب الذي لا حسيب مثله.. الحسيب الذي لا يقسِّم الحساب لأسرة واحدة، ولا لمسألة من الإرث واحدة، بل الذي وضع الحساب لكل مسألة كانت وتكون في الإرث إلى يوم القيامة، فيجمع حساب كل الحالات في حياة كل الأسر منذ نزول القرآن حتى آخر أسرة فيما لا يزيد على صفحتين في القرآن العظيم، فسبحان مَن قال في ختام هذه الآية: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾، وافتتح الآية التي بعدها بالأنصبة فقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] فسبحان الله! فما هذا الإحكام في الترابط بين الآيتين فلكأن ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أعظم ارتباطًا بالآية التي بعدها من الآية التي خُتمت بها؟!

وحساب الله أعظم من هذا بكثير فمعنى ﴿حَسِيبًا﴾ هنا هو: بليغًا في الحساب، والله ﷻ يقول عن حسابه: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت] لكل مَن يسكن هذه الأرض قبل أن يخلقهم برًّا وبحرًا وجوًّا ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ ﴿٦﴾﴾ [هود]، ويقول عن حساب الأعمار وتحديدها، كما يقول عن حساب ما يحدث في الكون: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن]، ويعلِّمنا سبحانه الحساب؛ إذ وضع قواعده، ومناراته، وأرقامه، وأجزاء أرقامه، وأنصافه، وأثلاثه، وأرباعه، وأسهمه، ورغم كثرة مسائله وتشابكها إلا أنها تحويها، ولا تفلت منها مسألة، ولا تختلط مثلها المسألة وكل ما يحتاجه فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ۝١٢﴾ [الإسراء]، فهذا هو ربنا.. وهذا حسابه سبحانه.. فهل من أحدٍ يستطيع أن ينكر هذا؟ وهذا كتابه الكريم فيه كل ذلك والوجود كله يشهد بذلك فليأتنا أهل الإلحاد من العدم حسابات أو حسابًا، وهل العدم شيء حتى يكون حسيبًا أو لا يكون؟! وليعطنا أي أحدٍ أشرك بالله آلهة حسابات آلهته... لذا يبقى السؤال لأهل الإلحاد: كيف تعبدون آلهةً لا تعرف الحساب؟ وليس عند أي إلهٍ منها مسألة واحدة قد حلَّها ولا حسبها؟!

المُذكِّر الثالث: حين تتساءل هنا: لِمَ قدَّم الله ﷻ الرجال هنا على النساء؟ يأتيك الجواب: بأن الرجال أول المحاسبين بشهادة ختام الآية السابقة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٦ لِّلرِّجَالِ﴾؛ ولأن القوامة بيد الرجال، وأن الولاية لهم، والإمارة لهم، والإمامة لهم، والخلافة العظمى لهم.

وهذا هو منهج هذه السورة القاطع في تقديم الرجال كقوله سبحانه: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ولا توجد آية من أنثى وذكر، فلم يختل هذا الترتيب أبدًا في موضع واحد في هذه السورة؛ لئلا يختل نظام الحياة باختلال لبناته وهي الأسرة.

قال ربنا سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨]:

المُذكِّر الأول: لقد ختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ لئلا يظن ظانٌّ أن الله ﷻ قدَّم ما جاء في الآية التي بعدها؛ لأنهم أصحاب نصيب مفروض، بل قدَّمهم ندبًا ومراعاة... فالنصيب المفروض في الإرث للورثة، وهذا مسلَّم، كما أن وراءه مطالبين به، أما هؤلاء فليسوا بورثة فالله سبحانه مَن يطالب لهم، فاذكر جيدًا ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٧،٨].

المُذكِّر الثاني: تدبَّر كيف أجَّل الله أولًا تقسيم أنصبة الورثة جميعًا قلَّت أم كثرت، ومن أي الأنواع كانت، حيث جمعها جميعًا في حساب الإرث، وختمها بقوله سبحانه: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ إلا أن المنتظر في الظن البشري هو أن يفصِّل الله سبحانه بعدها الإرث تفصيلًا، وخصوصًا أنه قال سبحانه في ختام الآية: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ إلا أن الله سبحانه لم يذكر تفاصيل القسمة المفروضة إلا بعد هذه الآية بثلاث آيات مباركات؛ إذ قدَّم على المفروض مَن ليس له من الإرث نصيب مفروض؛ ذلك أن فيهم الأيتام وكذا المساكين والأرحام ولا يليق بهؤلاء إلا التقديم.. ولا ينبغي أن ينتظروا حتى ينتهي الورثة من القسمة، والسؤال هنا إذا ما انتهى الورثة... فمَن يتبع هؤلاء الذين قَدَّمهم الله من يتامى ومساكين ومَن سيجيبهم، وقد ذهب كل واحد بإرثه، ودخل بإرثه في برمجة حساباته وديدنه وأهله...؟ فسبحان الله! كم في كلمة ﴿مَّفْرُوضًا﴾ من درس! فإذا قرأت ﴿مَّفْرُوضًا﴾ فاذكر مَن يُقدم ربك سبحانه على المفروض أولًا، وإن كان مندوبًا.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾ [النساء: ٩]:

المذكِّر الأول: فلقد ابتدأ الله بإعطاء مَن ليس لهم نصيب مسمى في الإرث أولًا، وأمر بالقول المعروف، وهذا حق، ومع هذا فقد بقيت كلمة ﴿مَّعْرُوفًا﴾ منارة واصلة تنير الحافظة حين جاورت الآيةُ الآيةَ... فلقد أصبح عند الناس ﴿مَّعْرُوفًا﴾ مُسَلَّمًا من المُسَلَّمات عندهم أن مَن أَحْسَنَ لذرياتِ الآخرين أَحْسَنَ الناس لذرياته من بعده، فالمعروف بالمعروف، قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠]، والعكس بالعكس.

المُذَكِّر الثاني: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ هنا لم يذكر الله ﷻ كسوة، كما ذكر في آية سابقة: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء] ذلك أن الأموال هنا إنما هي أموال السفهاء، وليست أموال الأوصياء.. أما في هذه الآية فالأموال ليست أموال الأيتام والمساكين، إنما هي صدقة وتأليف قلوب وهدايا.

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [النساء: ٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]:

المذكِّر الثالث: البعض يلتبس عليه عند الحفظ والتسميع قوله سبحانه في الآية الخامسة: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ مع هذه الآية: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾، وقد حلَّ هذا الالتباس الإمام البقاعي رحمه الله فقال في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء]: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ﴾ متجرين ﴿فِيهَا﴾، وعبَّر

بالظرف إشارة إلى الاقتصاد واستثمار الأموال حتى لا تزال موضعًا للفضل، حتى تكون النفقة والكسوة من الربح لا من رأس المال، ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ أي: فإن ذلك ليس من المنهيّ عنه، بل هو من معالي الأخلاق ومحاسن الأعمال[١].

ثم إن ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: في أموالهم هم أيها الأوصياء، أما ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: من الإرث طيبة به نفوسكم.

وقال في هذه الآية وهي الثامنة: ولما بين المفروض أتبعه المندوب فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ممن لا يرث صغارًا أو كبارًا ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ أي: أقرباء أو غرباء ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: المتروك، وهو أمر ندب لتطييب قلوبهم، وقرينة صرفه عن الوجوب ترك التحديد ﴿وَقُولُوا لَهُمْ﴾ أي: مع الإعطاء ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: حسنًا سائغًا في الشرع مقبولًا تطيب به نفوسهم[٢].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ **[النساء].**

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ١٠]:

المُذكِّر الأول: فالله سبحانه أمر مَن خاف على ولده من بعده عند موته بأن يتقي الله في يتامى الناس الآخرين اليوم فقال سبحانه: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾؛ وهذا أمر واضح، ولكن الارتباط ما بين هذه الآية والتي بعدها من حيث المعنى هو

(١) نظم الدرر (٥/ ١٩٦).
(٢) نظم الدرر (٥/ ٢٠٠-٢٠١).

كذلك واضح إلا أن الكلمة الأخيرة هي مفتاح الحافظين فلا ينسوا أبدًا، فالله ﷻ قال: ﴿سَدِيدًا﴾ ففيها إشارة إلى أن القول القادم سديد؛ وكأنه من التسديد الصائب الذي لن يخطأ هدفه أبدًا.. وهذا ما حملته الآية القادمة من الوعيد لهم بعاقبة السوء في أبنائهم بعد موتهم، وهو أمر معروف عند الناس، وشهوده في الحياة كثير، وهذا هو ما أفصحت عنه الآية القادمة، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء].

المذكِّر الثاني: ولننتبه إلى أن ﴿وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ غير ﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، والمعنى فليتقوا الله في أنفسهم، وليبلغوا الآخرين، وليعظوهم، وليحذروهم بتبليغهم هذا القول السديد القادم في الآية القادمة، وهو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾، فسبحان الله! ما أعظمه من ربط للحافظ! فلكأن الحافظ سأل: أين القول السديد يا رب؟ فكان الجواب أمامك من ربك يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١]:

المذكِّر الأول: فمن الواضح أن هذه الآية تهيئ الأولياء والأوصياء لحفظ حقوق الورثة والأيتام ونحوهم، وتحذرهم أعظم تحذير فمن خاف من نفسه خيانة أو تفريطًا فلا يقرب هذه الأمانة.. فلتحفظ هذه الآية القادمة بإتقان، ولتستعدوا لها

حفظًا وعملًا وإقامة.. فهل عرفت لِمَ خُتمت الآية السابقة بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ إن وراءها مباشرة وصية الله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ وكفى.

فحفظ آيات الإرث بإتقان حفظ الأساس الأعظم في منظومة المواريث... وخصوصًا أن الإرث هو أول علم يُفقَد في الأرض، وأن آياته في العادة طويلة، وفيها ورثة وتقسيم، كما أنها تُنسى أسرع من غيرها لـمَن لم يُحسن حفظها ويتعاهدها.

المُذَكِّر الثاني: بمجرد أن تقرأ قول الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وتقرأ قبلها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ يتسارع إلى ذاكرتك وصية الله ﷻ بالأولاد والأهل وخطورة حمل هذه الأمانة، وأول ذلك هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، فسبحان الله العظيم! اقرأ وصِلْ، وانظر إلى هذا المذكِّر الواصل الذي لا يُنسى ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** لحفظ آية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ حرف ﴿إِن﴾:

المذكِّر الأول: البعض يلتبس عليه ﴿فَإِن﴾ و﴿وَإِن﴾ فاحفظها بهذا الترتيب ﴿فَإِن﴾ ﴿وَإِن﴾ ﴿فَإِن﴾ ﴿فَإِن﴾ أي: الأولى ﴿فَإِن﴾ والثانية ﴿وَإِن﴾؛ لأنها معطوفة على الأولى، وما بعدها نسق واحد ﴿فَإِن﴾ ﴿فَإِن﴾.

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٢]:

المذكِّر الثاني: هذه هي أول آية في هذه السورة المباركة التي يختمها الله ﷻ باسمين من أسمائه الحسنى بشكل صريح، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وحُقَّ لهذه الآيات من مطلع هذه السورة المباركة بما شملته من وصايا الله تبارك وتعالى، وحقوق، ثم إرث أن تُخْتَم بهذا الختام الذي لا يمكن أن يكون سواه، ولا ينبغي لحافظ القرآن أن ينساه أبدًا، ولكن كما أنه جاء أحسن ختام لهذه الآية العظيمة فإن ظلاله على ما هو قادم من الأحكام كذلك فهو يوصل آيتي الإرث ببعضهما، وهذا يفيدنا بأنه لما اتحد موضوع الآيتين تمامًا اتحد الختام بهما... ليبقى هذا درسًا عظيمًا في أسماء الله، وهو أنه إذا اتحد الموضوع اتحادًا كاملًا اتحد الشاهد من الختام بأسماء الله الحسنى أو بسواها من كلام الله تعالى.. وإلا فإن الأصل أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى تجلياته ومعانيه ومقتضياته على الموضوع الذي ذُكر فيه أو خُتم به.

وأمر آخر هنا هو أن هذين الاسمين سوف يتكرران في هذه السورة المباركة في مواطن عدة فلا ينبغي لنا أن نكرر نفس المعاني من هذين الاسمين متقيدين بما ورد في معاجم اللغة، وما إلى ذلك، حتى أن البعض اعتبر البحر هو اللغة العربية، وأن بحور كلمات الله مقيَّدة ومحدَّدة بحدود أفهام علماء لغة العرب ومعاجمهم، وأن بحور كلمات الله جزء من تلك الساقية بل القطرة!.. بل القرآن هو كلمات ربي والبحور الحسيَّة خَلْق من خلق ربي.. فمَن يحيط بالقرآن العظيم، ثم هذه اللغة تحدث فيها أهل اللغة من أدباء وشعراء وعلماء.. فمَن أحسن من الله حديثًا؟! فهل العِبرة باللغة العربية؟! أم بكلام الله؟! هل العِبرة بأئمة اللغة العربية أم بكتاب الله؟! ثم هنا سؤال عميق قال الله عن اللغة العربية أم عن كلام الله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان]؟ إنما الإعجاز في كلام الله، وليس في كلام العرب ككلام أو كمتحدثين.. وأعظم الكلام هو كلام الله في أسماء الله الحسنى، وكل كلام الله أعظم، وهنا اجتمعت العظمتان؛ عظمة الحديث وهو كلام الله ﷻ مع عظمة موضوع الحديث، وهو أسماء الله الحسنى، وهذا هو المنتهى.

ذلك أن الله أورد أسماءه الحسنى في هذا الموطن، فهي تتجلى بآياتها وعلومها وما إلى ذلك عليه، لكن تجليات أسماء الله الحسنى لا تحصرها لغة، ولا يحدها عليم ولا عالم ولا حكيم ولا حاكم... ولهذا فلا يختلطن الأمر علينا؛ فإن المتجلَّى عليه شيء مخلوق، وكل متجلَّىً عليه يأخذ نصيبه من معاني التجلِّي.. أما أسماء الله الحسنى فإن تجلِّيها يبقى لا حد له مطلقًا إنها سماوات لا حد لنورها وبركتها وهداياتها، وذلك في كل ما يتعلق بالموقف وبالمخلوق، وهكذا الشأن في الموطن الآخر والآخر، فهما هما الاسمان أو غيرهما من أسماء الله الحسنى.. فالمواقف

مهما اختلفت فهي محدودة بمحدودية المخلوق.. فاسما الله هذان الكريمان يفيضان على كل موقف بما يحتاجه وزيادة مهما تغيرت تلك المواقف وما تحتاجه.. أما اسما الله هذان العظيمان فإن تجلياتهما لا حدود لها أبدًا بينما المتجلَّى عليه فهو محدود؛ لذلك لا ينبغي أن نقيد الاسمين الحسنين هذين وغيرهما في معنى واحد فينقلب المقصود والعياذ بالله.. وهذه قاعدة عظيمة يجب أن ننتبه لها فإنها ضرورة لا غنى عنها.. وقد بينتها هنا؛ لأنها الموطن الأول لورود أسماء الله الحسنى في السورة.

المُذَكِّر الثالث: المذكر في أسماء الله الحسنى: فأسماء الله الحسنى لا يرسلها الله ﷻ هنا لمجرد المعرفة، بل هذا الميدان العظيم من العلوم المجتمعة التي هي من أعظم أسرار التطور العلمي في هذا العصر؛ علم الحساب والرياضيات، وما يتبعه ويقوم عليه من علم الأرقام والنسب والمعادلات، وما إلى ذلك، والمساحات والمسافات وبناءً على القُرب والبُعد يكون حجم الإرث.. وعلم الخوارزميات كما يُسمَّى، وكل ما في الميراث قواعد لا تنخرم أبدًا، واستثناءاتها قواعد ثابتة.. والميراث ليس محصورًا في فترة نزول القرآن، بل هو مطلق إلى آخر إنسان.. وليس لأمة محمد ﷺ، بل هو لكل إنسان.. أولم يقل الله ﷻ في أول هذه السورة المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١]؟ وكل هذه العلوم وأبعادها، وأبعادٌ لم نرها نحن بعد كلها فيما لا يتجاوز مجموعها ورقتين.. والسؤال هو: هل كان سياق قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مجرد ختام جميل للآية؟ إن ربنا يعلِّمنا ويعلِّم الناس كلهم أن ربنا هو العليم، وهو مَن علَّم، وهنا ربنا يُحكم العلم إحكامًا في مسائل حسابية معروضة على الإنسان في مختلف الأزمان في آيات تحمل المسائل والأمثلة، وتعطيك النتيجة، ومن ثَمَّ تحوز على القاعدة المطلقة، فمَن كان عنده اختلاف واضطراب فيها فليذكره، والخلق سكوت، قال سبحانه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]، إذن فهو سبحانه العليم، وهذا أثر من آثار علمه، وهو الحكيم وهذا إحكام حكمه، فأين حكم الآلهة أو حكم الإلحاد والعدم؟! وبما أن هذه الآية هي الأولى التي خُتمت بأسماء الله الحسنى فهذا هو العلم والمنهج الذي ينبغي أن نسير عليه في تلقي أسماء الله الحسنى ومنهجيتنا معها.

والأمر الثاني هو خصوصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لهذه السورة ولمعانيها، فالسورة تحدَّثت في معانٍ كثيرة وموضوعات وأمور وكلها قد فصلت فيها السورة فصلًا، وقطعت فيها قطعًا.. وجعلتها كلها حدود الله وكفاها ذلك ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣].

المذكِّر الرابع: ولأن ﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا بد أن يأتي ميراث الأزواج والزوجات بعد آية ميراث الآباء والأمهات وما تبعهم مباشرة.. فإن الحياة لن تستمر بالآباء والأبناء، ولن تستمر بالإخوة والأخوات.. فالأبناء لا بد أن يتزوجوا، والإخوة لا بد أن يتفرقوا بالزواج في هذه الحياة.. ولا بد أن تتكون شبكة الأرحام، كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وهكذا سارت الآيات الكريمات بهذا الترتيب الواقعي الطبيعي... فلا تنسَ هذا الترتيب فإنه من مُسَلَّمات الحياة؛ لأن ﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٣]:

المذكِّر الأول: فسبحان الله! فإن هذه الآية هي الثانية والأخيرة في هذا الموضع للإرث فما أعظم حكمة الله بختمها بأسمائه الحسنى! فقال سبحانه في ختامها: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ فَحِفْظُ هاتين الآيتين يحتاج إلى صبر وحلم، وفهمهما وتطبيقهما سهل لكنه يحتاج تدريبًا وحلمًا.. فكما أن الآية للإرث ختمت بـ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فالعلم لا ينبغي أن يكون إلا صحيحًا حاسمًا قاطعًا... أما هذه الآية فهي موضع تطبيق العلم، فهي ختام آيتي الإرث، والتطبيق لا يُسْتَعجل في تطبيقه، ولا بد من التحقق جيدًا، فكان هذا هو الحسم في هذا الموطن؛ لأن الخطأ في التطبيق وارد، والعلم والحلم هو الوقاية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

المذكِّر الثاني: هذه الآية شهادة على أنه لا قدرة لأحد من البشر على وضع نظام إرث بحق، وإن كتب آلاف الأوراق أو المجلدات؛ لأن الله وحده هو ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، وأن مبنى جهد البشر العلمي لابد فيه من جهل أو عجلة... فتصاب نظرته بالقصور والظلم، فربما تعاطف في موقف مع الأبناء، وربما تعاطف مع الآباء؛ ولأنه لا يعرف مآلات المال وأين سينتهي؟ أما ربنا سبحانه فيقول: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الثالث: وسبحان الله! فإن الله ﷻ حين أوكل للناس التصرُّف في جزئية من إرثهم وهو الوصية نبَّه إلى أنهم يمكن أن يضروا بالآخَرين، فقال: : ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ فكيف لو تُرك للبشر تشريع الإرث وتقسيم التركات والحقوق الأخرى! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وسبحان الله! فإن ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ فيها من تأديب العبد على عدم العجلة بعلمه وعلى التريث في تقسيم الحقوق والأنصبة كما أمر الله ﷻ، كما أوصاه بعدم الاستعجال في الوصية لهذا أو ذاك إلا بعد علم وحلم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾؛ ولذا جاء بعدها وعد ووعيد، فمَن قام على هذا الأمر من الناس يحتاج إلى العلم والحلم، كما أنه يحتاج إلى وعد ووعيد وعزم وجزم.. فلا تفوتنك هاتان الآيتان.

قال ربنا سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ﴾، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]:

المذكِّر الأول: هنا تردُّ هذه الآية الكريمة المتدبِّر ردًّا ملزمًا إلى الآية السابقة للنظر فيها نظرًا آخر جديدًا غير النظر الذي ختمت به تلك الآية وما رجع أحد بنظره مستجيبًا لله ﷻ إلا فتح الله عليه بإحكام جديد وعلم جديد، فهي العودة بعد مغادرة تلك الآية، والدخول إلى الآية الجديدة التي أشارت على ما مضى بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أو نحوها وأنعم بمثل هذا الرجوع.. رجوع كرجوع موسى عليه السلام على آثاره قصصًا حين أشار له فتاه إلى الصخرة التي غادرها فكان الفتح العظيم عليه وعلى أمة محمد ﷺ من بعده.. وفتح قادم دائم إلى يوم الدين، فإن الرجوع وانطلاقة العودة الآن ثانية من خلال موقع آخر شيء آخر، وإن شئت قلت: الرجوع بعد تلبس النظر بالآية الجديدة هو شيء آخر؛ لذا فسنجد إحكامًا جديدًا وعلمًا مزيدًا، وبيانًا، وإيمانًا، وهدى، وإرشادًا، وعظمة، وجمالًا، وجلالًا، فإن قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أصل في إعادة النظر الذي ذكرناه؛ لأنها تعيدك لزومًا إذا أردت التدبر إلى الإشارة التي أشار لها الله ﷻ بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ فإذا بها ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ ثم ماذا.. ثم الحزم في الأمر ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.. وهل من شيء يجعلك ترجع البصر مرات ومرات في سماوات الآية السابقة، وكلك شعور

بأنك لم تعطها حقها مهما كنت متدبرًا فيها.. مثل قول الله سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ وكفى.. فكيف ومعها جمع الله النعيم والعذاب وما بين الآيتين إلا حرف الواو. فأمر الآيات في غاية الحساسية فحفظ آيات المواريث جيدًا مقصد من مقاصد الإعادة فذلك من قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾، وكذلك تدبرها، ودراستها، والقضاء بها، وحمايتها، كل ذلك جعله الله من حدود الله.. ومَن يتعدها يتعد حدود الله؛ لذا احتاج ذلك كله إلى علم وحلم.. وبقيت مخافة الله، وها قد جاءت بها هذه الآية المباركة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

❁ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥]:

المذكِّر الثاني: سبحان الله! مَن تردد في تذكُّر الآيات القادمة -وكلٌّ له أسبابه- فليذكر أن المفتاح في الكلمة الأخيرة هذه فهي التي تقودك إلى الآية التي بعدها وفيها المفتاح فإن كلمة ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هنا قائمة على ما ذكر الله ﷻ في موضعها بلا شك مع ما فيها من هداية إلى نوعية عقاب الله ﷻ لمن يقعون في الفاحشة، فهو ليس حدًّا من حدود الله، بل هو عذاب إهانة أكثر من كونه عذابًا، وذلك قبل نزول الحدود في سورة النور وفي السُّنَّة.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء].

المذكِّر الأول: سبحان الله العظيم! انظر في التفريق الظاهر ما بين ابتداء الآيتين.. ما بين ﴿وَٱلَّتِي﴾ وما بعدها ﴿وَٱلَّذَانِ﴾؛ فإن التعدي على حدود الله عادة ما يكون على يد الرجل، فانظر إلى ضمير المذكَّر في الآيتين السابقتين ﴿وَمَن يُطِعِ﴾، ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾، ﴿وَمَن يَعۡصِ﴾، ﴿وَيَتَعَدَّ﴾، ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾، ﴿وَلَهُۥ﴾، وأما فعل الفاحشة فالتعدي يكون في العادة والابتداء من النساء؛ فتأمل ﴿وَٱلَّتِي﴾، ﴿يَأۡتِينَ﴾، ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾، ﴿عَلَيۡهِنَّ﴾، ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾، فالحقيقة الخفية القوية أنه لو أحجمت النساء ما فُعِلَت فاحشة إلا غصبًا واغتصابًا.. فالله يَجْعَلُهُنَّ المؤتمنات على حفظ ذلك كما في الأحاديث.. فهذا يعين في فك التباس البعض في ترتيب الآيتين فتذكَّر لِمَ قدَّم الله في فعل الفاحشة النساء.. بحفظ الترتيب.

المذكِّر الثاني: إن الختام بكلمة ﴿سَبِيلٗا﴾ هداية للآية القادمة ومفتاح... فاسلك ﴿سَبِيلٗا﴾ لإصلاح المجتمع، فلو أن ﴿وَٱلَّتِي﴾ تزوجن ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ تزوجوهن لما احتجنا إلى ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.. فهل عرفت مفتاح الآية القادمة.. فإذا انتهت آية ﴿وَٱلَّتِي﴾ فاذكر ابتداء الآية التي بعدها بـ ﴿وَٱلَّذَانِ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾ [النساء: ١٧]:

❀ **المُذكِّر** هذه نقلة نوعية عند العرب آنذاك؛ وهو أن مَن تاب وأصلح فلا يجوز استمرار العقاب عليه، هذا وأنت تعلم أنه هو مَن زنى، وأن هذه المرأة هي هي مَن زنت.. فتوبة الله على العبد كافية، أما أنتم فما أنتم إلا عبيد مثلهما ليس لكم عليهما فضل ولا سلطان، كما أنكم معرَّضون لمثل هذا فهل تحبون أن يستمر العقاب عليكم حتى لو تاب الله عليكم؟! أمَّا ما فيه عدوان على حقوق الناس فهذا شأن آخر..

فهذه الآية تعطي الناس أدب التعامل مع أسماء الله الحسنى في الجانب العملي... فهي ليست مجرد أسماء للتبريك فحسب، بل أسماء لها السلطان الأعلى.. ولذا ذمَّ الله آلهة المشركين وأسماءها؛ لأنها أسماء جوفاء لا سلطان لها فقال سبحانه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم] فالسلطان المطلق إنما معد لأسماء الله الحسنى.. وعند أسماء الله الحسنى يتوقف سلطانكم ويرفع عقابكم ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، ولهذا جاء في الآية القادمة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فلا دخل لأحدٍ، وما ذلك إلا لرحمة الله بعباده، وأنه أرحم بعباده من عباده، فسبحان الله! كيف خُتمت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وابتدأت الآية التالية: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾.. وكيف تجاورتا؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ [النساء: ١٨]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! ففي ختام هذه الآية التي حددت التوبة المقبولة بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ فقد جاء بعدها مباشرة الآية التي نفت قبول توبة آخرين فقال سبحانه: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ فكانت الحكمة الجامعة بين الآيتين ختام الأولى بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾، فلم يكن لهذين الوضعين المتقابلين قبول التوبة وعدم قبول التوبة إلا هذان الاسمان ففيهما الفصل كهذين الوضعين المتقابلين لقبول التوبة وردها.

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ [النساء: ١٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ [النساء: ١٨]:

المذكِّر الأول: إذا ابتدأت هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ فتذكر أن الآية التي بعدها مباشرة ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ إذن فهما ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ و﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ ﴾ فهل من تسهيل للحفظ مثل هذا؟ وما هو إلا من قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ [القمر]، وإذا سألت لِمَ قدم الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ ﴾؟ فاعلم أن الله قدم أحب شيء إليه وهو توبة عبده، وأخَّر ما يبغضه سبحانه وهو تأخير التوبة إلى الوقت الذي لا تُقبل فيه التوبة؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ

مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[1].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فلقد ختم الله هذه الآية بهذا الجزاء لمَن فوَّت وقت التوبة حتى جاءه الموت، وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، لكن انظر إلى إشارات الاتصال لمَن أراد حفظ القرآن ما بين هذه الآية وما بعدها فلكأن الألم أو صداه عَبرَ عَبْرَ أصداء هذه الآية وما أفاضت فيه ليوصلك بالآية القادمة فيقول لك: أيها الحافظ، انظر إلى الألم الذي تخلفه أفعال بعض المؤمنين ممَّن يحرمون الناس إرثهم كرهًا، أو يعضلوهن ليأكلوا مهورهن.. وهنَّ لا يملكن حولًا ولا قوة، فهل تنسى أيها الحافظ هذه الآية المجاورة لك القادمة عليك وأنت ترى جور بعض المؤمنين بالمستضعفين من المؤمنين، فقال سبحانه في الآية القادمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾.

(١) رواه مسلم (٢٧٤٧).

المذكِّر الثاني: حين نعيد النظر إلى هذه الآية وخواتيمها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ من خلال أول الآية التالية نرى ترابطًا عجيبًا، ولكأن العذاب مقدم لهؤلاء قبل أن يموتوا كما تقدم العذاب في الآية المتقدمة على الذنب في أول الآية القادمة، فإن هؤلاء الظالمين لأرحامهم تُعجل لهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، ولقد صحَّ في الحديث «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[1]، وهنا اجتمع البغي وتقطيع الأرحام، ولقد ابتدأت الآية القادمة بذنوب الأرحام، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ ربما يقول قائل: وما الفائدة من النظر من موقع الآية المتأخرة للآية المتقدمة؟ والجواب: هو ما رأيت وما ستراه دومًا... هو الإعجاز بإظهار إحكام آيات الله من كل جهة، وليست من جهة واحدة فحسب.. فأي مكسب أكبر من الإعجاز، كما أن فيه كما تراه في كل مرة مزيد علم ومزيد تيسير للحفظ ومزيد حكمة.. ومزيد هداية للخلق ومزيد إيمان.

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! كيف اختتمت هذه الآية بقوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فكان مقصودها الصبر عليهن مع كراهيتهن فيه خيرٌ كثير، لكن العجب حقًّا هو أن كلمة ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ كما حملت البشارة لمَن كره وصبر في الآية التي خُتمت بها، فإنها حملت البشارة بالخير الكثير لمَن تزوج بأخرى... وهذا والله من عظيم الإحكام في كلام الله إحكامًا فوق التصوُّر البشري.. ولو تصوَّره البشر لوجدته في أدبياتهم ونحوها فإنه لا غرابة أن تجد الإشارة الظاهرة بتحقق الخير الكثير بالصبر عليهن مع كراهيتهن... لكن الإشارة ممتدة المعاني والآثار المتواصلة إلى الآية القادمة لتوصل الحفظة بكل سهولة ويسر.. فهل من بشارة تسبق الزواج الجديد مثل ذكر الخير الكثير قبلها مباشرة؟

المذكِّر الثاني: هنا صرَّح الله سبحانه بأنه لا يحل أكل إرث النساء كرهًا ولا عضلهن لأخذ بعض ما لهن بغير حق من مهرٍ أو غيره.. ولم يذكر الله ﷻ عذابًا على مخالفة أمره في الآية نفسها، ولكن مَن رجع إلى الآية السابقة عرف أن مَن أكل أموال النساء أو عضلهن ليأخذ بعض أموالهن أنه لن يوفَّق للتوبة ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨] فإن

السيئات هنا غير محددة بفواحش ولا غيرها، ثم إن أول مثال للسيئات ذكر بعدها هو ما في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ وهذا هو المشاهد من سوء الخاتمة لمَن أكل أموال الناس وخصوصًا أموال الضعفاء من نساء ويتامى بالباطل ومن صور عدم توفيق من ظلم بوصيته بماله بعض ورثته أنه لا يوفَّق للتوبة فكيف بأكل مال غيره، وهو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١٣] – إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[1]، فهذا منهج هداية ومنهج رحمة، وهو لنا منهج دعوة، فالله لم يوكِّل التوبة على البشر لبشر بأنفسهم أيًّا كانوا.. وباب التوبة لا يُغلق أبدًا... وهذا كافٍ لهداية الخلق، وإن كان هذا العقاب قد نُسخ إلا أن الرب سبحانه واحد والمنهج واحد وإرادة الله بخلقه الرحمة.

المذكِّر الثالث: لا شك أن معرفة سبب النزول للآيات هو مُذَكِّر عظيم من مذكِّرات الحفظ والربط والتثبيت، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ[2].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ البَنَاتِ وَلَا الصِّغَارَ الذُّكُورَ حَتَّى يُدْرِكُوا، فَمَاتَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، وَتَرَكَ ابْنَتَيْنِ وَابْنًا صَغِيرًا، فَجَاءَ ابْنَا عَمِّهِ، وَهُمَا عَصَبَتُهُ، فَأَخَذَا مِيرَاثَهُ كُلَّهُ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ لَهُمَا:

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٠٤)، وضعفه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥).

تَزَوَّجَا بِهِمَا - وَكَانَ بِهِمَا دَمَامَةٌ - فَأَبَيَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُوُفِّيَ أَوْسٌ، وَتَرَكَ ابْنًا صَغِيرًا وَابْنَتَيْنِ، فَجَاءَ ابْنَا عَمِّهِ خَالِدٌ وَعُرْفُطَةُ فَأَخَذَا مِيرَاثَهُ، فَقُلْتُ لَهُمَا: تَزَوَّجَا ابْنَتَيْهِ، فَأَبَيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ»، فَنَزَلَتْ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الآيَة، فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدٍ وَعُرْفُطَةَ، فَقَالَ: «لَا تُحَرِّكَا مِنَ المِيرَاثِ شَيْئًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ شَيْءٌ أُخْبِرْتُ فِيهِ أَنَّ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى نَصِيبًا»، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ [النساء]، ثُمَّ نَزَلَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء]، فَدَعَا بِالْمِيرَاثِ، فَأَعْطَى الْمَرْأَةَ الثُّمُنَ، وَقَسَّمَ مَا بَقِيَ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ[١].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ [النساء: ٢١]:

❀ **المُذكِّر** سبحان الله! فحين ختم الله ﷻ هذه الآية بالاستنكار لهذا الفعل بقوله سبحانه: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيَّن مباشرة بعد الآية القادمة: لماذا هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء].. فلقد وقع أخذ حقهن بعدما تمَّ العقد.. وأسلمن أنفسهن لكم بحكم الله.. وأصبح عِرضهن المحرَّم عليكم من قبل العقد حِلًّا لكم.. إن هذا غدرٌ،

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ٤٠٣) من طريق أبي الشيخ، في ترجمة ابنتي أوس بن ثابت. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ في كتاب الفرائض من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهي من أوهى الطرق عن ابن عباس وأضعفها. اهـ موسوعة التفسير بالمأثور (٦/ ٨٠) رقم (١٦٣٧٣).

وهو خيانة، وما أقبح الغدر والخيانة! ثم هو نقض للعهد والميثاق الغليظ، كما أنه أكل لأموال أقرب الناس بالباطل.. وهو سلسلة من الآثام.. ثم إنه يأتي في أول الحياة الجديدة.. فكيف ستستمر، وتمضي الحياة المقدسة بما أحاطها الله برعايته وإعجازه، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] أهذا يوجب الشكر أم يوجب الإثم المبين؟

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النساء: ٢٢]:

المذكِّر سبحان الله! فإن الميثاق الغليظ كما هو معلوم عقد الزواج؛ ولكن تبقى الكلمة الأخيرة في هذه الآية، وهي: ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ مفتاحًا وإعدادًا للدخول على الآية المتجاورة معها والتي تتحدث مباشرة عن النكاح فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ فأي ترابط أعظم إبهارًا من هذا؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء].

❁ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢]:

❁ **المُذَكِّر** وأي حرمة في المصاهرات أعظم من حرمة نكاح ما نكح الأب، وهكذا كانت آخر كلمة في الآية السابقة قوله: ﴿غَلِيظًا﴾ وأول مذكور في المحرمات وفي آية مستقلة بعدها هو: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

وسبحان الله! فإن كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ تظل على طريق مستمر قادم، فإن نكاح ما نكح الآباء فاحشة ومقت، وهذا أمرٌ معلوم فماذا عن ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؟

إنها تتحدث عن تكملة طريق الحياة واستمراريتها... عن منهج نكاح المحرمات، فجاء ذِكر طريق طويل بعده ابتدأ بـ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، ثم جاء تفصيل هذا السبيل ثلاث عشرة من المحرمات، فهل رأينا كيف ترابطت الآيتان في سبيل واحد.. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! وماذا بعد أن يعرف المرء المحرمات؛ هل يقعد خوفًا من أن يقع في شيء منها، أو يكون قد وقع في خطوبة أخته من الرضاع وهو لا يدري؟ فكان هذا الختام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾، فبالإضافة إلى إحكام الآية بهذا الختام إلا أنه إشارة من منارة عليا بين الآيتين من أسماء الله الحسنى للآية القادمة أن أَقدموا على نكاح المحصنات، وإن شئت قلت: فإنهن كلهن حلال لكم فيما سوى ما ورد حلائل لكم، فكانت الكلمات الأخيرة في الآية السابقة هي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾، وأما الكلمة الأولى في الآية القادمة فهي: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [النساء: ٢٤].

المذكر الثاني: هو أن هذه الآية خُتمت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾، وبعدها جاء قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، فالزواج من المحصنات من النساء وهن المسلمات الحرائر سبيل عظيم لمغفرة الله ورحمته؛

ففي الزواج المودة والرحمة، وفيه الإنفاق على الأهل وهو أفضل الإنفاق، وفيه التربية الصالحة وهي وقاية من النار، وفيه الأرحام الواسعة وصلتها سبب للرحمة والمغفرة، وفيه حمل أعباء الحياة وفيها المغفرة والرحمة، وفيها بعض الهموم والغموم والمتاعب، وهذه كلها سبب للمغفرة والرحمة؛ كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[1]، وفيه أن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع المسلم والأمة المسلمة، والأسرة الصالحة هي أساس المجتمع الصالح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

وكل هذا بشكل عام، ولكن للمحصنات المؤمنات الحرائر من المزايا ما ليس للزواج بغيرهن، فتحصين المؤمنة بالزواج تحصين الحرائر الأصيلات في المجتمع المسلم، وليس كتحصين الأرقاء، بينما عدم تحصينهن خطورة مضاعفة، كما أن النسب والذرية منهن ليست كغيرهن.. وهكذا.

(١) رواه البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

قال ربنا سبحانه: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** بكلمة ﴿فَرِيضَةً﴾ في هذه الآية عن الاشتباه بالآية التي بعدها:

المذكِّر الأول: قال سبحانه: ﴿فَرِيضَةً﴾ عند هذه الكلمة قد كانت بوصلة حفظي تتوه عن تسلسل الحفظ مني ردحًا من الزمان مشتبهًا بالآية التي بعدها في الموضع المشابه، لكن الآن تنبهت إلى أن كلمة ﴿فَرِيضَةً﴾ ومعناها القطع، ومنه الفُرْضَة، وهو قاطع المياه أن هذا هو الاتجاه قطعًا ولزومًا، فسبحان مَن جعلها منارة هادية للحافظين.

❀ **المُذَكِّر** مما بين آية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ [النساء: ٢٤]، وآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ [النساء: ٢٥] حرف الفاء وحرف الواو:

المذكِّر الثاني: ثَمَّ هنا عَلَم جعله الله في كتابه هاديًا للحافظين مُيسِّرًا ومُثبِّتًا.. فالتيسير من الله هو ما أنزل به الكتاب، التيسير في الكتاب كله، وفي آياته كلها، وفي كلماته، وفي أحرفه، وفي الفواصل بين آياته وطرائق التيسير لا يمكن الإحاطة بها أبدًا؛ فهنا مثلًا دلَّت الفاء على الفاء في الآية الأولى، فقال سبحانه: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ﴾ ﴿فَرِيضَةً﴾ فأحكم الترابط وزال الاشتباه الذي يقع عند البعض بين الآيتين عادة في هذا الموطن، كما دلَّ العطف بالواو في الآية التالية لها على أنها بعدها، فقال سبحانه: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فهل يظن ظانٌّ أو يتوهم متوهم أن هذا غير مقصود في كلام الله، أو أنه متكلَّف منا! أعوذ بالله من ذلك: أيمكن أن يكون هذا في

علمي وعلمك، ولا يكون ذلك في علم الله يوم أنزل هذا الكتاب، ثم أليس هذا الذي قلته موجودًا في الآيات نفسها، ألم يحل اشتباهًا عند البعض، ألم ييسِّر حفظًا.. حتى وإن لم أعلمه أنا أو أنت أو أي أحدٍ من قبل؟ وصدق الله إذ قال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان]، وقال سبحانه في هذه السورة: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! في ختام تشريع إباحة المحصنات هذا التشريع الذي هو الحصن الضامن لبقاء الجنس البشري ولطهارة الأنساب وأمور أخرى كثيرة شرع الزواج من المحصنات فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾.. ولهذا اختتمه الله ﷻ بهذين الاسمين الحسنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾، لكن كما أن ﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ في تشريع الزواج من المحصنات فإنه سبحانه ﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ في الاستثناء الذي سيأتي في الآية القادمة، فقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين الختام بقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النساء: ٢٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٢٦-٢٨]:

❀ **المُذَكِّر** سبحان الله! فإن الله سبحانه وبعدما بيَّن الأصل في النكاح بقوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ وبيَّن الاستثناء لمَن لم يستطع فقال في الآية التي بعدها: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ وقبل هذا وذاك جميع ما بيَّنه الله ﷻ من أحكام متنوعة عظيمة بيَّن الله سبحانه هنا في ثلاث آيات لطيفات منيرات واضحات مختصرات مراده من جميع تشريعاته سبحانه، فقال سبحانه مفصحًا عن مراده: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ فقطع بهذا الإيضاح مراده مطلقًا.. فليس مراده العنت بكم، كيف وقد جاءت في ختام هذه الآية أعظم تهيئة لمراده، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، فحين جاءت ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ في ختام كل هذه الأحكام، وجُلُّها يتعلَّق بالأسرة كلَبنَة في المجتمع تبيَّن لنا يقينًا أن مراده بكل الأحكام المغفرة والرحمة، كيف وقد تجلَّت أسماء الله الحسنى هنا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؟!

فإن آثارها المغفرة والرحمة.. والسعادة للأسر والمجتمع، والخير العظيم الذي لا يُعدُّ ولا يُحصى.. فانظر كيف فصَّل الله ﷻ ذلك تفصيلًا.

فقال ربنا سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين الختام بقوله ﷻ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ﴾ [النساء: ٢٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله العظيم! هذه الآيات رغم سهولة حفظها ومرورها على اللسان والقلب بجلال وجمال ولطفٍ لا يمكن وصفه إلا أنها تمثِّل معبرًا عظيمًا عَبَرَ بهذه الأمة إلى مراد الله منها ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾.. حيث سقطت الأمم الأخرى فيه إلا قلة قليلة في كل أمة من الأمم السابقة.. وبهذه السهولة في هذه الآيات سارت وسَرَتْ أمة محمد ﷺ حتى وضعت رحالها عند مراد الله العظيم منها.. وكأن هذه الأمة إذ هي تسري وتستجيب فيأتيها صدى كلمات الله ومراده...

واللهِ إن في هذه الكلمات وُدًّا عظيمًا من رب العالمين لهذه الأمة جعل كل نفس تهتف بربها: ربنا مُرْنا بما شئت فإرادتنا لإرادتك سمعًا وطاعة، وعبودية وتذلُّلًا عن قناعة.. فسبحانك كيف تسهل لنا الأمر بذكر مَنْ قَبْلَنَا ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾، كيف تبين لنا الأمر تكريمًا لنا وإكبارًا لعقولنا، كيف تهدينا إلى صراط خير من سبق قبلنا، ولو اندثر وحرَّقه علماء مَنْ قبلنا، ذكرتَ لنا سبحانك أحسن ما أنزلته كما أنزلته عليهم، بل والله أحسن، كيف تتوب علينا قبل أن نتوب من ذنوبنا ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ سبحانك كيف تفيض علينا بعد كل هذا من علمك وحلمك وحكمتك ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

سبحانك ربي! كيف تُقدِّم لنا مرادك، بل تقدِّم لنا اسمك العظيم «الله» ﷻ، وتنوع لنا في ذلك حكمة بالغة، وحبًّا وتحبيبًا وتقريبًا وأُنسًا وتأنيسًا، ففي الأولى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾، وفي الثانية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾، وفي الثالثة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ الله أكبر ولله الحمد.

سبحان الله! انظر كم مرة في هذه الثلاث آيات تهزنا كلمات الله تعالى من أعماقنا، وتغذي كلماته التامات من حبه جذر قلوبنا، ويؤكِّد ذلك بخطابنا المباشر في كل مرة بالتفاتة مباشرة منه لنا؛ يا أصحاب الحظ العظيم يا خير أمة أُخرجت للناس... فربنا سبحانه لا يلتفت عنا إلى سوانا.. فما بين الكلمة والكلمة يلتفت إلينا بخطابنا.. ويكفينا فخرًا التفاتة واحدة من ربنا بل تكفينا أصغر إشارة مضمرة.. ولو عرفت كلمة أقل من ذلك لقلتها..

﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ لمَن؟ ﴿لَكُمْ﴾، ثم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ يهدي مَن؟ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ أنتم يا أمة محمد ﷺ، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من قبل مَن؟ ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أنتم يا أمة محمد ﷺ.

ثم ما هذا المقام الذي أقامنا الله سبحانه فيه بقوله: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ فأنتم محور الزمان، ومحور الأمم؛ فالقَبْل والبَعْد زمان يحدد من مركزكم، وبالنسبة لكم أنتم وليس سواكم.

﴿يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي قبل أن تتوبوا أنتم – يا أمة محمد ﷺ – خاصة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة] فهل فهم الأمر وتم؟ لا.. لا وحتى لو فهم وتم فثمَّة محبة وتحبب فوق تمام الحب.. فهذه كلمات الله بجمالها وجلالها وإكرامها... لكم أنتم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فيا لها من إرادة فضل وإنعام وإحسان غير مشروطة بمقابل ولا تقديم شيء منا يتقدَّمها اسمه العظيم الذي به تعرف أسماء الله الحسنى، وكلها حسنى وعظمى «الله».

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ يخفف عمَّن؟! عنكم أنتم يخفف.. آية رعاية، بل آية مراعاة ومداراة ومحبة، آية علاقة بين رب العالمين وأمة من الأمم مثل هذه.. هاتوا كل ما ذكر المحبون عن أربابهم وآلهتهم الباطلة فهل تجدون فيها شيئًا من هذا؟.. أي كنوز دعوة وهداية يحملها قارئ هذه الآيات من هذه الآيات للعالمين؟... أي نعمة أعظم من نعمة الحب العظيم والتنصيص عليه وتسجيله في الكتاب الكريم لنا ولمن دخل في أمتنا؟

وسبحان الله! ألا يكفي هذا الفيض الوجداني من حب ربنا لنا ﷻ، وإرادته الخير لنا، وإرادة التخفيف عنا لِنَسْفِ ما يقابلها أيًّا كان... إن فيها نسفًا كاملًا لمَن حاولوا دخول عواطفنا، ويحاولون دخول مدخل سوء ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ فالذين يتبعون الشهوات جاؤوا من طريق المشاعر ليدخلوا نفوسنا من باب العواطف الشيطانية.. فمن يستبدل هذا بهذا؟! عياذًا بالله.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فكما أنه سبحانه يبيِّن تشريعه لعباده، وهو أن الإنسان ضعيف فيراعيه في تشريعاته، ويعذره سبحانه في تقصيراته فإنه سبحانه يُعِدُّ الإنسان المتدبر لكلامه والحافظ وطالب الحفظ فيوقفه عند الفاصلة بين الآيتين لحيظة هنا ليثبِّت ما حفظه... وإذا به يرى أن الله سبحانه رفعه ليطل به على موضوع الآية القادمة من خلال الخاتمة لهذه الآية: : ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ فإذا به أكبر موضوع لضعف الإنسان.. فبه يقتل، وبه يقطع، بل به يُقطَّع، لأنه به أُخرج من الجنة وهكذا وهكذا.. وأي فتنة مثل فتنة المال، وهو هنا أكل الحرام، وفيه أكل أموال بعضكم البعض.. ولولا أن الإنسان كان ﴿ضَعِيفٗا﴾ لما وقع في هذا.. فإذا رأيت كلمة ﴿ضَعِيفٗا﴾ في هذا الموضع فاذكر أن الآية القادمة عن «أكل الأموال بالباطل».. فهل رأيت الجمال والهداية من الآية للآية والحمد لله رب العالمين؟!

المذكِّر الثالث: وإذا ما قرأت قول الله ﷻ في ختام هذه الآية: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فاعلم يقينًا أن الله سبحانه يريد للمؤمن أن يتخلَّص من ضعف الإنسان ويكون قويًّا، كما في الحديث: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»(١)، وهو لن يكون قويًّا بعضلاته ولا بذاته فحسب، إنما يكون قويًّا بإيمانه بربه والتزامه بشرع الله الذي شرعه ﷻ.. ولهذا صرَّح ربنا سبحانه في الآيات الثلاث السابقة بهذا، ثم جاءت هذه الآية هنا تنهى عن الضعف أمام المال فابتدأت بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، فإذا رأيت أيها الحافظ هنا ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فاذكر المال وضعف الإنسان أمامه، واذكر أن إنقاذ الله المؤمنين أمامك في الآية القادمة مباشرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾.

المذكِّر الرابع: قال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ هذا الختام أحسن تهيئة للمطلوب في الآية القادمة، فإنه ثمة إشارة واضحة من قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ إلى أنكم لا تأكلون أموال الأقوياء إنما تأكلون أموال الضعفاء مثل الأيتام والنساء والبنات الضعيفات، ومثل الذين لا حصانة لأموالهم ولا يعرفون تحصينها وحرزها، وكذلك الذين لهم قوة غاشمة أو سلطة متعدية فبهذا يكون الله ﷻ قد حصَّن أموال الضعفاء؛ ولذلك قال بعدها: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء].

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

فقال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾ [النساء: ٣٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ فمن رحمته أن شرع لكم شرعه، ومن رحمته أن أحلَّ لكم الطيبات، وحرَّم عليكم الخبائث.. بل ومن رحمته أن أنذركم لينقذكم من عذابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾، فثَمَّ رابط ضروري يمنع الناس من الخطأ في البناء على ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ وهو قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾، فالله سبحانه يبيِّن أن عذابه ليس لمجرد التخويف، بل كما قال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ [النساء]، فهل رأى المراؤون كهذا الهدي والجمال والجلال والوصال والاتصال مثيلًا.. هكذا هو كلام الله، وهكذا هي أسماء الله الحسنى..إن كل هذا نبع من قوله في ختام هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ فهي المنارة التي أطلت على الإنذار، وعلى تحققه، فلو تصوَّرت أن الآية وقفت عند ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ لما كان للنهي في أول الآية شدته وصرامته، وما كان لِمن خالفه تبعاته، فكان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ مُهيئًا لما يحفظكم أنتم، ويبلغكم رحمته، وهو أول ما جاء في الآية القادمة حتى آخرها ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾.. بل هذه الآية تطير أماني مَن يستصعب أن يُصلى بالنار حقيقة وتعز عليه نفسه بحجة أنه يصلي ويصوم وما إلى ذلك.. فتأمَّل كيف أنه سبحانه بعدما وعد بقوله: ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ ليزيل أمام تحقق وعده كل عائق فيقول في

الختام: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾، وقد قال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

المذكِّر الثاني: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ إنها تظهر أن محبة الله لعبده أعظم من محبة العبد نفسه لنفسه، وأن الله لا يسمح للعبد أن يؤذي نفسه، فإن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فلأجل رحمة الله بكم شرع كل ما تقدَّم، ولأجل رحمة الله بكم حرَّم عليكم قتل بعضكم بعضًا بغير حق، كما حرَّم عليكم قتل أنفسكم، وهذه الآية مشروع هداية.. فهذا التشريع الحقيقي، المنزَّل من عند الله والمكتوب في كتاب الله.. أعظم دليل على وجود الله، ووحدانية الله، ورحمة الله، ومحبة الله عباده، ونحن في كل موطن ننادي: هذا هو الله يتحدث في كتابه الكريم، ويشرِّع شرعًا واحدًا لعباده.. ويرحم عباده لدرجة أنه يحميهم من طغيان أنفسهم... فأي قيمةٍ لآلهة لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن عُبَّادها شيئًا... ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل: ١٧]؛ ولهذا فإن مَن قتل نفسه مثلًا عذَّبه الله عذابًا أكبر من قتل نفسه؛ لأنه ارتكب فعلًا هو أشنع ما يكون من الأعمال؛ ولهذا ثبت في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»(٢).

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر وسبحان الله! فلقد كان هذا الختام نعم الواصل المسهل الطريق للحافظين ليتموا الحفظ في طريق ميسر من رب العالمين ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، فقوله سبحانه في الختام هنا: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيَّأ الفهم ومهَّد السبيل للآية القادمة أن أمركم سهل ويسير، وذلك ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]؛ إذن فليس كل عاصٍ يصليه الله نارًا، ولقد قال الله ﷻ في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فمجرد ترك الكبائر وفعل الواجبات هو بلوغ استحقاق ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾... فسبحان الله! ما أعظم الأنوار في كلام الله! وما أعظم هداياتها في ختام آيات الله!

قال ربنا سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]:

المُذكِّر قد ذكر الله ﷻ في آية سابقة قريبة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فإنه سبحانه حرَّم على عباده أعظم التحريم قتل غيرهم بغير حق، أو أن يقتلوا أنفسهم هم؛ فكلاهما طريق غضب الله وعذابه نعوذ بالله من ذلك، ثم أردف بعد ذلك في الآية التي بعدها بذكر الكبائر.... فإن تركوا ذلك كله فقد وعدهم الله بمدخل كريم: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وكونه ﴿مُّدْخَلًا﴾

فهو أمامكم... وعليكم أن تسيروا إليه حتى تدخلوه كما سمَّاه الله ﴿مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾، ومع هذا فقد جاءت الآية الثالثة هنا لتبين التحذير من الأماني بهذا الوعد أو أمثاله، فنحن أمة عمل، وهكذا هلك أقوام بالأماني فكان مطلع الآية القادمة تكملة في رحمة الله للمؤمنين؛ ليبلغوا رحمة الله، وهكذا يحرس الله المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، وينقذهم من كل ما أهلك الأقوام السابقين فيكون المدخل الكريم سببًا للصبر على الطاعة وعن المعصية حتى تدخلوه، ولا تحولوا وعد الله إلى مجرد أماني، بل هو الحقيقة القادمة.. فهل تدبرنا كيف رتب ربنا سبحانه هذه الآيات الثلاث؟ ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان]؛ ولهذا جاءت هذه الآية ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٣٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ [النساء: ٣٣]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإنه مع النهي عن الحسد، وتمني فضل الله على الآخرين فإن الله كان بكل قول وكل أمنية ﴿عَلِيمٗا﴾.. فإن الله كان بكل اعتراض على القسمة ﴿عَلِيمٗا﴾، وهذا هو الرابط للحفظة؛ فإن البعض ربما رأى عند تقسيم التركات أن هذا الوريث أولى من هذا، وحقُّ هذا أكثر بناءً على كذا وكذا مما في علمهم أو حساباتهم! فالله ﷻ يقدِّم قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله العظيم! سبحان الله وبحمده: فما رأيت مثل هذه الآية العظيمة إعجازًا في قطع دابر المثلية الجنسية، والسعي في تغيير الجنس الذي خلقه الله، فإن أول ما فعله صنَّاع المثلية أن صنعوا التمني، والتمني من الشيطان، فتمنَّى أبناء أن يكونوا بنات، والعكس صحيح، وإزالة الحد النفسي الفاصل ما بين الذكر والأنثى، بل جعلوه أمنية؛ ولهذا اجتث الله ﷻ سبب التحول وهو التمني.. ذلك أن هذه الآية تتحدث في الفروق ما بين الذكر والأنثى والرجال والنساء بشكل أساسي، فكم هو مناسب أن يختم الله ﷻ الآية منذ ذلك الزمان بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ فكان في هذا الزمان المنكر الذي لم يكن في أي زمان سبق، وهو التحول الجنسي، فكما قال الله ﷻ عن الفعل مخاطبًا إياهم: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف]، فإن التحول الجنسي الحسي لم يسبق هؤلاء له أحد من العالمين وصدق الله؛ إذ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾.

فالذكورة منفصلة عن الأنوثة، ولا يجوز تمنِّي أحدهما ما للآخر فهذا مستحيل.. إلا أن الخلق لن يستمر إلا بتكاملهما، والتئامهما، والنبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(١)، وفي الآية الأولى في هذه السورة المباركة قال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء: ١]، وفي هذه الآية قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾ [النساء: ٧] فهل هما والد ووالد؟ أم والد ووالدة؟ وهل تبقى البشرية بهذا أم تنقرض؟ وهل يوجد أرحام وأقارب إلا بالوالدين، فعليهما جعل النظام من أول الخليقة، ومنهما تشعَّبت الأرحام وتوسَّعت البشرية مع ترابطها، وهذا بعض معاني قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾ [النساء: ٣٣].

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٦)، وأحمد (٢٦١٩٥)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: في الآية السابعة: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، وبين هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢]:

فلا تنسَ كلمة ﴿تَرَكَ﴾ التي جاءت في الآية الأولى، فإن آية التركة فيها كلمة ﴿تَرَكَ﴾، والأخرى ليس فيها كلمة ﴿تَرَكَ﴾ فهي واردة في الاكتساب؛ ولذا جاء فيها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، وأما هذه الآية فواردة في عموم الرزق والكسب، وليس في التركات ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [النساء: ٣٢].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]:

المذكِّر الأول: هكذا يختم هذه القسمة المالية بما اعتاده البشر من الإشهاد على العقود المالية.. ليعلم العباد خطورة أي إخلال في العقد أو في تنفيذه، وهذا موطن التسليم والتسلم كما شرعه الله؛ لذا قال الله ﷻ: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وقال مباشرة بعدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾.

المذكِّر الثاني: وكما ناسب أعظم المناسبة هذا الختام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ الصلة بالآية القادمة؛ إذ إن الذي قسم بين الرجال والنساء والولدان أنصبتهم هو الذي قسم بين أفراد الأسرة مقاماتهم ووزع بينهم مسؤولياتهم.

المذكِّر الثالث: إن الكلمة الأخيرة في هذه الآية الكريمة ﴿شَهِيدًا﴾، ومن المعلوم الشهيد المستقل بشهادته هو الرجل بينما شهادة امرأتين اثنتين بشهادة رجل واحد، والرجل هو المذكور الأول في الآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ فلا تنس هذا الرابط، فكأنه نص من موضع النزاع، والشهيد على القوم هو كبيرهم، كما قال الله ﷻ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فإن كبير الأسرة هو الرجل.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! نعم إن الموضوعات التي مرَّت كلها من الموضوعات الأُسرية، وهذا الموضوع المتبقي في هاتين الآيتين الكريمتين هو أساس تنظيم الأسرة وأساس حفظها، وكم لله من حكمة بأن اختتم كل ما مضى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء]، ثم جاء سبحانه في هذه الآية فاختتمها بهذا الختام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فلعظيم قوامة الرجال على النساء، فإنه سبحانه يُقدِّم لهذا الأمر بشهادته هو سبحانه، فكم هو تأسيس بنيان الأسرة على قوامة الرجال على النساء وبناؤها على هذا الأساس، والمحافظة على هذا النظام من أهمية في حفظ الأسرة وديمومتها وتجاوز ما يعترضها... وأن التفريط بهذا النظام هو

انفراط كل ما مضى؛ ولهذا خاطب الله ﷻ الأزواج بالأساس في آخرها، وذَكَرَ حكم النشوز ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ وهل النشوز غالبًا إلا تمرُّد على هذا النظام، ويبدأ العلاج الداخلي للنشوز، وإلا فالعلاج الخارجي ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥].. وقد أطَلْتُ في هذا حرصًا على حفظ هذه الآيات جيدًا بربطهما بإشهاد الله؛ ولأن الله أَعْظَمَ شأنها، فليبق هذا الهدف معظَّمًا فينا وفي أسرنا بحفظ النص القرآني والمحافظة على إقامته كما هو إلى يوم القيامة.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! تأمَّل في أسماء الله الحسنى، وكيف تصنع من نورها وجلالها الحياة والخُلُق العلي.. فهنا الختام بأسماء الله الحسنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤] أعظم داعٍ للرجل القوَّام أن يتعالى عن الهجران، ويكبر عن الضرب، بل وكثرة العتاب واللوم باسم الموعظة، وَلْتُبْنَ الحياة على الإحسان، وليكبر الرجل عن مواجهة السيئة بمثلها؛ فهؤلاء أهله وهن مَن بُنيت عليهن كل الأحكام، ثم إن الزوج ينبغي أن يكون أكثر علوًّا وأكبر عقلًا من أن يلجأ إلى الطلاق، بل ينحو نحو الإصلاح؛ ولهذا ما ذكر الله ﷻ هنا إلا احتمالًا واحدًا وهو الإصلاح.

وقد قال النبي ﷺ: «**لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ**»، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ذَئِرْنَ(١) النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**»(٢).

أرأيت كيف خُتمت هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤] وكيف كانت هي الجامعة للحافظ بالآية القادمة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾؟

(١) ذئرن: اجْتَرَأْنَ وتَعَالَيْنَ.

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وصححه الألباني.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! حقًّا إن ختام الآية السابقة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] هو المناسب للآية، ولا شيء سواه، فكان المعنى عند ربط خاتمة الآية بأول الآية القادمة يقول: إنه مهما عظم الشقاق بينكم واتسع ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ فاذكروا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ فالله أعلى والله أكبر، فعظموا الله وكبروه في هذا المقام وستجدون تجليات معاني أسماء الله هنا هي من ترفعكم وتصلح حياتكم، فمنها الإعداد، ومنها الإمداد لتواصل حفظ الآية بالآية القادمة لتواصل المعاني، بل وكذلك لتواصل الحياة وإعادة السعادة للأسرة والمجتمع.

المذكِّر الثاني: فأنتم أيها المؤمنون لا تعلمون عظيم الخير الذي ادخره الله لكم في الإصلاح الحاضر في الخلاف القائم، وربما المستقبل القاتم، فاصبروا فإن السعادة قادمة؛ والذراري منكما محفوظة، والآخرة خير لمن اختار اختيار الله ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥]؛ ولهذا كانت البشارة من الإشارة بقول الله العظيم سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ فبها كانت الإطلالة على الحياة بكل علاقاتها، كما في الآية القادمة وهي قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦] فسبحان الله! كيف جعل الله ﷻ الصلح والإصلاح في ذات الكتاب العزيز بل في ذات الآية الكريمة؟

فحين اشترط الله ﷻ للتوفيق بينهما إرادة الإصلاح من الاثنين، كما قال سبحانه: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥]، الإشارة إلى أنكم مُكلَّفون بصناعة إرادة الإصلاح بينهما.. والله ما أشار إلى تحقيق صحة وصدق إرادة الإصلاح بينهما إلا ليحقق الله لكم عودة المياه إلى مجاريها وتحقق الإصلاح بينهما، ولولا أن تحقيق صدق إرادة الإصلاح ممكنة ما كلَّف الله ﷻ به العباد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وما حرَّض عليها، ووعد بالثواب والتوفيق منه سبحانه.

المذكِّر الثالث: سبحان الله! لقد اختتم الله ﷻ هذه الآية الخاتمة في موضوع الأسرة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ فلم يقل الله ﷻ: فإن الله كان بما تعملون خبيرًا ليشمل - والله أعلم - الأسرة وما هو أوسع من الأسرة من علاقات مثل أناس مؤثِّرين من مصلحين أو مخببين مفسدين، والأسرة وما بعد الأسرة مما يخص أفرادها وغير أفرادها من أهلها وغير أهلها من إعلام ومَن وراءه.. ولهذا فإن قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ وما قال الله ﷻ هنا: إن الله كان بما تعملون خبيرًا، فإن هذا الموضوع لا يتعلَّق بما تعملون، ولكن بما تعملون وما لا تعملون؛ ولهذا كانت الوصية في الآية القادمة وصية عظيمة بالأسرة تتعلق تعلُّقًا مباشرًا بإصلاح الأسرة فكان في الآية القادمة العلاج الأعمق وهو الحصن الحصين للأسرة فكان قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء]، فلو أخلص الناس عبادة الله واتقوه وبروا الوالدين لكانوا أعظم ما يكونون سعادة بسعادة أسرهم وهم الأقرباء والأرحام... فكيف يأتي الخراب للأسرة في بعض الأحيان من هؤلاء؟!

المذكِّر الرابع: ما بين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾، وبين قوله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾: فهذا أعظم ما يكون تهيئة لآية كريمة تبيِّن أن الأمة جسد واحد، إن أولى لَبنات هذا المجتمع إنما هي الأسرة.. فإذا تأثَّرت اللبنة الأولى بأي شق أو شقاق فينبغي للبناتها الأخرى أن تتعاضد وتتدخل حتى تحمي نفسها، وتحمي كيانها من التصدعات؛ ولهذا جاء فيها تفصيل ذوي القربى والجوار ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾، وهكذا أراده النبيﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، وكل هذا داخل في قول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ فهذه هي العبادة المتعدية وهي أعظم العبادات.

المذكِّر الخامس: فإن هذا الختام ليطل على ما هو أوسع من حدود الأسرة، فإذا ما انتهت الحياة مع هذه الأسرة لم تنتهِ الحياة بعد سواءٌ كان الزوج أو الزوجة.. إنه يعني أن تستمر الحياة وإن لم تستقر الأسرة، وتؤدَّى الحقوق وإن فشلت تجربة الأسرة، فالحياة والحقوق أكبر بكثير من الأسرة، وأول تلك الحقوق هو عبادة الله وحده لا شريك له، وبر الوالدين، وكل ما اتصلت بكما من علاقات بسبب الأسرة لا ينبغي أن تقطع.. سبحان الله! ما أعظمه من ترابط! فهل فقهنا العلاقة الموحَّدة ما بين قول الله ﷻ في الختام: : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ وبين قول الله في الابتداء للآية القادمة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾؟ فما أسلسه من فهم! وما أعظمه واقعية وإحكامًا! فلتحكمه حافظتك المباركة.

(١) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

قال ربنا سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٣٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! كيف جمع الله ختام هذه الآية مع ابتداء الآية بحرف الخاء فتردد في هذا الختام حرف الخاء مرتين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، وكان في أول الآية القادمة حرف الخاء مرتين: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧] ويا لسوء معاني هذا الحرف وحقارتها حين يكون في مثل هذه الصفات الذميمة، وهذه الصفات مذمومة في هذه الصفات نفسها.. وهل ذكرت هذه الصفات إلا ذمًّا؟! أما حرف الخاتمة فإنه حرف من أحرف القرآن العظيم كغيره من الأحرف العربية وارد في هذا وفي هذا.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن مَن يبخلون عادة إنما يريدون العلو بالمال والوجاهة بتكثيره، كما هو الشأن في نظام عبّاد المال وظنونهم.. فإن الله سبحانه يجازيهم بالعذاب المهين، كما أن البخيل لا يبالي بضعف الضعفاء من الناس وفقرهم وحاجتهم ومهانة حياتهم؛ لذا فهو كافر في كل حالاته بنعمة الله مستحق للعذاب المهين جزاء وفاقًا؛ لذا قال الله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، ومُقَدِّمة هذا العذاب مهانة يعيشها البخيل في حياته بين الناس، وما عند الله أشد، كما جاء في هذا الختام ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، وإن الترابط ما بين ختام الآيتين لعظيم

فكأن ختام الآية هذه بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ هو فضح لهم، وأنهم لا حق لهم بالفخر والخيلاء بأي مقياس ولا منطق، بل حقهم التحقير واللعنة والذلة؛ إذ الله ﷻ يقول في الآية القادمة في أولها: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ فمن لا يكون من أهل الإنفاق ولا هو من أهل الفضل، ولا من أهل الشجاعة، بل ليس هو بخيلا فحسب، بل هو ممن يأمر بالبخل.. فمن أي باب له الحق بالفخر والتمدُّح ونحو ذلك؟

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فإن مَن خُتمت به الآية يتلاقى مع مَن ابتدأ به الآية التي بعدها كثيرًا، فالله سبحانه قد ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾، وجعل سبحانه الناس كما لا يحبون المختال الفخور فإنهم كذلك لا يحبون البخيل ولو كان أخًا أو جارًا.. فابتدأت الآية بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾، بل الله لا يحب جوار البخيل؛ ولقد صح في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ يَرْفَعُهُ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بِخَيْلٌ»[1].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥١٨)، والكبير (١٢٧٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧) رقم (١٨٦٣٩): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الطَّبَرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ جَيِّدٌ.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ٣٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء: ٣٨]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن القارئ حين يرى عذاب البخيل، ويجد مقامه إهانة في الدنيا وعذابًا مهينًا في الآخرة.. فإنه لا يتطلع إلى شيء، إن كان في قلبه ذرة إيمان إلا أن يرفع عن نفسه المهانة في الدنيا، ويرفع عن نفسه عذاب الله المهين في الآخرة فكيف إذا ذَكَرَ الله ﷻ أن ثَمَّ عذابًا آخر كعذاب أهل الكفر، ولكن بتصرف معاكس لأهل البخل حيث يكون بالإنفاق...هذا ما يكشفه الله في الآية القادمة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾...فمن ينسى البخل وضده عند حفظه الآيتين؟ مَن ينسى توحُّد البدايتين في الآيتين المتتابعتين فبداية الآية الأولى بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وبداية الآية الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [النساء: ٣٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ﴾ [النساء: ٣٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! هناك موضعان فقط في القرآن العظيم أكد الله فيهما نفي الإيمان بالله وباليوم الآخر منفصلين؛ الموضع الأول هنا في سورة النساء الآية ٣٨، والموضع الثاني في سورة التوبة الآية ٢٩، وهذا هو الموضع الأول في القرآن

العظيم الذي أكد الله فيه نفي الإيمان بالله وباليوم الآخر منفصلين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ وذلك لوجود شبهة الإيمان وسببه الإنفاق، فالله سبحانه أزال من نفوس المؤمنين الشهادة لهؤلاء بالإيمان مطلقًا، وزاد على ذلك ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾، وهذا التكرار للنفي في هذه الآية كفيل بعدم نسيانها؛ وذلك لتفردها حيث إن كل الآيات الأخرى ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فالشيطان من عادته أن يأمر بالبخل إلا هنا فإنه يأمر بالإنفاق زيادة في الإلباس وخدمة لمشروعه، نعوذ بالله منه، وهذا مذكِّر مخصوص متميز عن سواه، فإذا ذكرت آية ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ فاذكر بعدها ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ولن تنساها بعد اليوم بإذن الله أبدًا، فالرباط محكم بإحكام الله له.

المذكِّر الثالث: حين اختتم ربنا سبحانه الآية بقوله: ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ كان **السؤال هو**: هل من فكاك من هذا القرين؟ **فجاء الجواب** في الآية القادمة وأولها قول الله ﷻ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء]، فالفكاك من أسوأ قرين إنما هو بالإنفاق لله بعد الإيمان بالله.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فكلمة القرين تطلق على صاحب الخير وصاحب السوء وصاحب السفر، كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ»(١)، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ(٢)، ويأبى الله ﷻ إلا أن يعطي حتى المرائين البديل القريب السهل الصحيح، وهو أن ينفقوا لأجل مَن يعلم بهم وهو أقرب لهم من حبل الوريد، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق].

سبحان الله! فما أعظم ما ختمت به هذه الآية! وما أشد تذكيرها بالآية القادمة! فلقد ختم الله ﷻ آخر آية من آيات البخل وآيات الإنفاق رياءً ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ فتهيأ من هذه الخاتمة أن الله ﷻ سوف يذكر ضد قرين السوء الذي قال الله عنه: ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾، وهو قرين خير، وقد صح في الحديث تسمية صديق الخير قرينًا، كما جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(٣)، وهو «أحسن قرينًا»؛ ولهذا جاء الله سبحانه بعده بقوله ﷻ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ هذا الخطاب لرسوله ﷺ أن يخاطبهم، وهو خطاب لكل مؤمن يحمله لهؤلاء وأمثالهم، وهم أحسن الناس قرينًا لأقرانهم.. ولو أراد الله ﷻ نفسه سبحانه لقال لهم مباشرة: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ فالأمر واضح،

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧١٨).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٤).

فسبحان الله! كيف تلتحم الآية بالآية، وما الفاصلة بينهما إلا تزيدهما التحامًا.. لأن فيها مزيدًا للتفكر والفهم واستحضارًا للرابط بين الآيتين.

المذكِّر الثاني: ذكر الله ﷻ في سبب ضلالهم المبين؛ ومن أعظم ذلك أنهم يخسرون المال، ويخسرون رضا الله ﷻ ورضا الناس، كما يخسرون آخرتهم، ولا خسارة بعد هذه الخسائر... بينما البخيل أعقل منهم؛ لأنه كسب المال، وإن خسر كل شيء.. ولهذا كان التعقيب والتعليل بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ فهل من قرين أسوأ من هذا القرين؟! ولهذا جاء النداء من رب العالمين بأسلوب الداعي إلى الله أي بمنطق من حَسُن قرينًا ممن حسن قرينًا هو من يدلك على رضوان الله وتوفير مالك، بل مضاعفته والفوز في الدار الآخرة.

المذكِّر الثالث: وسبحان الله! فإن اللافت في إعداد القارئ للآية القادمة هو سهولة ربطها بآخر الآية بإحكام، وذلك أن الرياء مخفي، وربما كان الإنفاق مخفيًّا، كما أن البخيل يخفي بخله في العادة، فجاء ختام الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمٗا﴾ هنا يقول الواحد من هؤلاء.. إلى أي حد ﴿عَلِيمٗا﴾، والأمر في طيات النفوس؟! فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

المذكِّر الرابع: سبحان الله! إن هذا الختام العظيم ليهيئ لتحول عظيم ينبغي للذين كفروا، وعصوا الرسول، وبخلوا بأموالهم، أو راؤوا بنفقاتهم أن يتحولوه.. فالله سبحانه قد عالج أفكار هؤلاء الضالة ونفسياتهم المريضة بأعظم شيء وهو أسماؤه الحسنى، وبهذه المنظومة الإيمانية العقلية المنطقية الكاملة: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمٗا ٣٩﴾ [النساء].

وسبحان الله! فإن الملفت في إعداد القارئ للآية القادمة هو سهولة ربطها بآخر هذه الآية بإحكام، فإن الأفضل في الإنفاق أن يكون مخفيًّا، كما أن البخيل يُخفي بخله في العادة، فجاء ختام الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمٗا﴾ هنا يقول الواحد من

هؤلاء.. إلى أي حدٍّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾ والأمر في طيات النفوس؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

ففي ختام هذه الآية الكريمة دلالة من العليم سبحانه للحافظين على الآية التي بعدها.. فكأن الله سبحانه حين قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾ قال: فتعالوا إلى الآية التي بعدها لأريكم إلى أي حدٍّ كان الله بهم ﴿عَلِيمًا﴾، فجاء قوله سبحانه بعدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾، إذن فإن علم الله ليس هو مجرد علم ولا هو سمع وبصر فحسب، ولكنه العدل والإحصاء والميزان، وما لا يمكن أن يحيط به أحد، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه].

المذكِّر الخامس: ذكر الله ﷻ في هذه الآية سبب ضلال المرائين بنفقاتهم الضلال المبين؛ ومن أعظم ذلك أنهم يخسرون المال، ويخسرون رضا الله ﷻ ورضا الناس، كما يخسرون آخرتهم، ولا خسارة بعد هذه الخسائر... بينما البخيل أعقل منهم - ولا عاقل في هؤلاء - لأن البخيل كسب المال مؤقتًا، وإن خسر كل شيء.. ولهذا كان التعقيب والتعليل بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ فهل من قرين أسوأ من هذا القرين؟! ولهذا جاء النداء، وكأنه نداءٌ من أحسنِ قرينٍ والصاحب قرين ومَن أحسن ورب العالمين من صاحب «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ»[1]، وجاء بأسلوب الداعي إلى الله الناصح الذي يدلك على رضوان الله مالك، بل مضاعفته والفوز في الدار الآخرة، فالنداء الأسوأ من القرين الأسوأ جاءه النداء الأحسن من الصاحب الأحسن فتنبَّه، فهذا مرتبط بهذا مشدود به ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء].

(١) رواه مسلم (١٣٤٢).

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ﴾ [النساء: ٤١]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن كلمة ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ هيأت الحافظ والمتدبر ليوم عظيم قادم وحساب عظيم آت... وشهادات عظيمة ستظهر، وشهادة أعظم الشاهدين من الخلق على الخلق ﷺ... فهل مثل هذا المشهد من مشهد: حيث كل ذلك يقدم بين يدي الله ﷻ من مثاقيل الذَّرِّ إلى الجبال من السيئات والحسنات.. إلى شهادة أعظم الشاهدين... وعند هذه الآية بكى رسول الله ﷺ ولم يتحمل فأوقف القارئ، وقال له: «أمسك» أو «حسبك»؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ قَالَ: «أَمْسِكْ»، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[1].

المذكِّر الثاني: سبحان الله! كيف خُتمت هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾، فهذه الحسنة الواحدة يضاعفها الله، ويجعلها أجرًا عظيمًا ينفعكم لأعظم يوم.. يوم الشهادة والشهود والإشهاد، فقد كان أول الآية القادمة بعدها مباشرة: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٤١].

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) باختلاف يسير.

قال ربنا سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء]، وبين قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [النساء: ٤٢]:

❀ **المُذكِّر** سبحان الله! ﴿شَهِيدًا﴾ في ختام هذه الآية لم تبين هل شهادته تنفعهم كما هي شفاعته أم عكس ذلك... إلا أن كلمة ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هيأت القارئ وطالب الحفظ المتدبر إلى القادم في الآية القادمة هي أنها عليهم؛ ولذا قال سبحانه مباشرة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٤٢].

قال ربنا سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء].

المذكِّر الأول: سبحان الله العظيم! فإن ختام هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾، ومناسبتها هنا واضحة... إلا أن العجب هو بالنظر لتهيئتها للآية القادمة، فإن المطلوب في الصلاة هو الحديث مع الله، كما قال النبي ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا**»[١]، إلا أن الحديث على مَن كان في حالة سُكره ممنوعًا عليه مع الله سبحانه.. فما أنسب كلمة ﴿حَدِيثًا﴾

(١) رواه البخاري (٤١٦).

للحديث مع الله في الصلاة.. أما هناك في الآخرة فحديثهم عقاب لهم وفضح لذنوبهم؛ ولذا قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾... فهل رأيت أي جوار أفصح من جوار هذه الآية للآية التي بعدها، والحمد لله رب العالمين.

المذكِّر الثاني: وسبحان الله! كل ما مر هنا عن هذه الأمة، وختم الحديث بأحسن حديث هو حديث مع الله لينتقل المسلم بعده مباشرة من الحديث مع الله إلى الحديث إلى الله وعن الله، أي من الصلاة والطهارة إلى الدعوة إلى الله... وهذه النقلة طبيعية وضرورية، فالله يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت]، فاحفظ هذا الوصال والاتصال بين الآيتين فإنه وصال في الدين بين أمرين لا انفصام بينهما أبدًا، الصلاة لله، والدعوة إلى الله.. العبادة والحياة.. التدين الشخصي والتدين المتعدي نفعه للآخرين.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ [النساء: ٤٤]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! هنا إشعارٌ بِطَيِّ الصفحة المتعلقة بهذه الأمة الكريمة الرحيمة بشكل مباشر، ويا له من ختام وفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾... ليفتح الله بعدها في هذه السورة صفحات لأهل الكتاب وأعمالهم ومنافقيهم، فلنعم ما ختم به

لهذه الأمة، ويا لصعوبة ما بدأ الله به ذكر أهل الكتاب إذًا فلا تنس أن الله حين ختم لهذه الأمة بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فقد سطر شهادة لهذه الأمة بالعفو والمغفرة، فإنه ابتدأ ذكر أهل الكتاب بالتعجب من ضلالهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن عنوان مغفرة الله لهذه الأمة وتطهيرهم قبل لقاء الله هو أن الله ﷻ جعل ختام ذكرهم في هذا الموضع من الآيات المتتابعات بفعل مغفرة الذنوب وطهارة ذنوب الليل والنهار وهو الوضوء مع الصلاة، كما في الحديث: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**»[1]، فهذه هي الأمة المتطهرة، وليست الأمة المعصومة فلا أمة معصومة أبدًا.. فلا تنس هذا الوصال بختام الآية هذه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

المذكِّر الثالث: وسبحان الله! فإن طاعة هذه الأمة لربها سبحانه ولرسولها ﷺ في كل شيء حتى في جزئيات الجزئيات، كما في الآية السابقة، بينما أهل الكتاب يعصون الله في الأصول العظمى والكليات الكبرى فضلًا عن الجزئيات، كما في الآيات القادمة ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ فيدفعون الأموال لصناعة الضلالة ليضلوكم... فأي اعتداء هذا؟!

المذكِّر الرابع: بداية هذه الأمة بالوضوء والطهارة، فأول تشريع في شرائع الإسلام العملية إنما هو الصلاة، والطهارة المهيئة للصلاة، وفي المقابل فإن أول ذكر لبني إسرائيل هنا هو أنهم ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ شراءً، فهذه الآية هي أول شأن أمة محمدﷺ، وأول شأن الداخل في الإسلام، بينما الآية القادمة فإنها هي شأن بني إسرائيل، وأول ذكرٍ لهم.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) واللفظ له.

قد اختتم الله هذه الآية العظيمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ لتهيئ هذه الكلمة إلى الطوام القادمة من بني إسرائيل، وذلك بأن يقدِّم الله لهم العفو والمغفرة، ويفتح في وجوههم باب التوبة ليُقبلوا إليه سبحانه، ويتولوا عما فعله قومهم وآباؤهم من هذه الأشياء، وبهذا يقيم الله ﷻ عليهم الحجة؛ لأن المرء كلما جاءه الذم واللعن وما إلى ذلك ربما ازداد إصرارًا، وخصوصًا إذا لم يجد له من سبيل إلا سبيل الآباء والأجداد؛ ولهذا قدَّم الله لهم العفو والمغفرة، وهكذا تسبق رحمة الله غضبه، كما أن هؤلاء ناس من الناس الذين خاطبهم الله في أول السورة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١]، والله يحب الناس؛ لأنهم خلقه، فناداهم هنا بالعودة إليه مقدَّمًا.

قال ربنا سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! لئلا تختلط عليك الآيات: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا﴾ فإن هذه الأولى وفي هذه الآية ما يدلُّك على أن الابتداء بها؛ فهؤلاء لا يحتاجون إلى مَن يضلهم، بل هم مَن يطلبون الضلالة ابتداءً، فنفوسهم متعطشة للضلالة دومًا... وأن أسباب ضلالهم من أنفسهم، ومن هنا جاء العجب بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ والعجب أنهم ﴿أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، والعجب أنهم من يدفعون في شراء الضلالة كل شيء ﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، والعجب أنهم يدفعون ما يدفعون بشراء الضلالة

لأجل أن يضلوكم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ فاحفظ هذا العجب جيدًا فإنه بإذن الله كفيل ألا تَنْسى ما قبله وهو قول الله ﷻ في هذه الأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾.

وسبحان الله! كنا نسمع أن الضلالة تُشترى، ولكننا لا نتصوَّر ذلك، أما اليوم فهم أكبر مَن يصنع الضلالة ويبيعها ويسوِّقها ليُضلَّ بها عن سبيل الله.

المُذكِّر الثاني: في الشطر الثاني من هذه الآية الكريمة، قال ربنا ﷻ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ فهذه هي غايتهم، وهذه هي إرادتهم وعليها عملهم.. ولهذا فإن السؤال الطبيعي هو ما النتيجة؟ أو هل تحقق أو يتحقق ما أرادوا؟ ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ وبهذا خُتمت هذه الآية، فجاء البيان الواضح في الآية القادمة: : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء]، فهذه كفالة الله بإحاطة علم الله وبكفاية الله لكم مرة بعد أخرى ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء]، فهل يمكن أن تنسى أيها الحافظ هذا الترتيب بين آيات الله والله ﷻ قد يسَّرها هذا التيسير؟

المُذكِّر الثالث: هذا التجاور في الآيات مع أعظم التباعد بين المذكورين هو وسيلة من وسائل عدم النسيان أو الالتباس، وهو من المثاني؛ إذ يُذكر الشيء مع ضده.. فرب العالمين بعدما ذكر الصلاة لأمة محمد ﷺ وذكر الطهارة للصلاة خَتَمها بأعلى ختام، وهو أسماء الله الحسنى مُبيِّنًا ما هو أكبر من التكفير والمغفرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ إلا أنه سبحانه بعد هذا ذكر أداة التعجب لقبح القوم القادم ذكرهم فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، والمقارنة هنا ليست بين آيتين وليست بين فردين، بل بين أمتين، ففي هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾، وهنا قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ٤٦]:

المُذكِّر الأول: تذكَّر جيدًا أن ختام الآية يحمل بشارة بانتصار هذه الأمة على شر أعدائها، وهم شر مَن يدبُّ على الأرض.. لأنهم هم أول مَن ذُكر في تصنيف أعداء الأمة من يهود أولًا ثم منافقين ثم المشركين.. والترتيب بحسب الأكبر خطورة، وليس بحسب العدد، فاليهود هم الأقل عددًا، فبعد هذا الختام العظيم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ بيّن الله أنه وعد وحق حتى على أول الأعداء وهم اليهود، فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ٤٦]، كما في الآية القادمة.

المذكِّر الثاني: في هذه الآية الكريمة قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ إنه رابط يهيئ لذكر أصعب الأعداء، وينص عليهم نصًّا صريحًا إنهم اليهود، كما يهيئ لهم النصر إذا قاموا بواجبهم مع الله.. ولهذا بعد هذا زود الله المسلمين بما يكفي من خطط اليهود ومصادرهم، ومن ثَمَّ كانت الآيات هكذا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٤٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ٤٧]:

هذه الآية والتي خطت المنهج وما بعدها من آيات تفصيل دقيق، فلا تتفلَّت منك هذه المجموعة الكريمة من آيات الله، فإن هذه للذين هادوا خاصة، فإنهم الذين يعلنون علمهم وفهمهم وإقرارهم، لكنهم يعلنون معها عصيانهم وكفرهم.

الأصل في هؤلاء القوم أنهم ملعونون بكفرهم، والاستثناء هو إيمانهم، وهو قليل في اليهود.

المذكِّر الأول: سبحان الله! فالله ﷻ جعل المؤمنين واقعيين في طموحاتهم ودعوتهم، حيث إنهم أمام أشد الأعداء، وأن هؤلاء لا يريدون إلا حرب الله ورسولهﷺ والإسلام... وإن جهدكم مهما عظم فإن النتيجة كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.. ولهذا فإن الله سبحانه وجّه لهؤلاء الإنذار الصريح، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء]... فلا تنس أيها الحافظ هذا الخطاب الخاص لهؤلاء المدعوين المعاندين الأعداء، فكان آخر الآية مرتبطًا بإحكام المعاني في أول الآية القادمة ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ﴾.

المذكِّر الثاني: لئلا يركن المؤمنون إلى هذا الإخبار الحق من الله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في ختام الآية فإنه سبحانه دعاهم إلى الإيمان أول الآية القادمة.. فكونوا أنتم كذلك في دعوتكم فالباب مفتوح والهداية متحققة فيهم، والشاهد على هذا هو ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وإن كنا - نحن البشر - لا نعرف أعداد هذا القليل، ولا نعرف فلعله بالنسبة لكل أهل زمان، إذًا فلعل هذا القليل سيكون في زماننا بالنسبة للرعيل الأول كثيراً كثيرًا بالنسبة لسكان الأرض، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فإنه قد جاء الختام بقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ مُهيِّئًا أعظم التهيئة لفهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟﴾ [النساء: ٤٧] فالله ﷻ لم يشرِّفهم بالخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ لأن الأصل فيهم أنهم كفروا مع أنهم أوتوا الكتاب، بينما الأصل في أمة محمد ﷺ الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النساء: ١٩]؛ لأنهم أوتوا كتاب الله؛ ولأن الأصل فيهم أنهم آمنوا، أرأيت كم هي مفهمة ومعلمة ومحكمة وفاصلة ما بين الختام بـ ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟﴾؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]:

❀ **المُذَكِّر** سبحان الله! فلقد ختمت الآية بالحزم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾؛ ولذا جاء الحزم المطلق في هذا الذنب خاصة، فلا استثناء ولا شفاعة.. فكأن المعنى لعظيم ترابطه يقول: كما أن ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فإنه كان وعد الله مفعولًا حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ فهل ينسى هكذا ترابط وإحكام ما بين الآيتين؟

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ﴾ [النساء: ٤٩]:

المذكِّر الأول: وهنا بيان الحق بأن الشرك افتراء عظيم، لافتراءٍ صريح بعده، وهو تزكية المفترين أنفسهم ومنهجهم، فَمَيِّز هذا الموضع لتحفظه جيدًا وتفهمه جيدًا فلا يختلط.. فإن هذا موضعٌ ذِكَر افتراءات اليهود فلم يكن الشرك عندهم قناعة، بل هو افتراء، وإذا رأيت ذكر الشرك وسط أهل الكتاب فاعلم أن الشرك بالله هو جامعهم.

سبحان الله! فكلمة ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾ اختتمت بها الآية - وهو حق - لتهيئ إلى ما هو أعظم من الاقتصار على الشرك... إنه الدعوة إلى الشرك بالله فهل يكون تسويق الشرك إلا بتزكية دعاة الشرك عياذًا بالله؟! ولهذا جاء ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ [النساء: ٥٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فمن عِظَمِ افترائهم أنهم يفترون الكذب باسم الله - قاتلهم الله - أي من داخل المحسوبين على الله كونهم أهل الكتاب وأعلم الناس بالكتاب؛ ولذا فهم يصنعون من داخل أمة محمد ﷺ مَن يفتري الكذب على الله باسم الله والإسلام، وهم بعيدون عن المشهد الظاهر.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فلقد ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿فَتِيلًا﴾ لتهيئ إلى فَتْلٍ من نوع آخر فإذا به فَتْلُ الكذب طعنًا في الدين ونصرة للمشركين.. وهذا اللفظ يدلُّ على صناعة الكذب بدقة متناهية، وأنهم يعتنون به شعرة شعرة فمَن يدرك شعراتهم المتحكمة وسط ذلك الفَتْل الهائل حتى يمرَّ على المقصودين... فما أعظم خطر هؤلاء! ولهذا جاء الأمر بالنظر والتدقيق في الآية القادمة في قول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾ [النساء: ٥٠] فإنك إذا أخذت هذا الأمر بجدٍّ، وتابعت ذلك على الواقع الدائم؛ إذ هم ﴿يَفْتَرُونَ﴾ وكيف ﴿يَفْتَرُونَ﴾ على الدوام سوف يتجلَّى ذلك وتترابط لك خيوط الافتراء من بين الخيوط.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٥٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ٥١]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن افتراءهم الكذب هنا أنهم زادوا فلم يجعلوا الإسلام كغيره، بل جعلوا الشرك أفضل، فمجيء هاتين الآيتين مرتب على زيادة كفرهم وعدوانهم؛ لأنه لا حد له، وأنه ربما كان بلسان وقلم علماء مسلمين، وما هم بمسلمين.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فقد جاءت ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ لتبين أنه المنتهى في الإثم المبين، لكنها تهيئ لما بعد ذلك، فجاء الابتداء بالآية الجديدة بالتعجب من أمر فظيع جديد، وذلك في قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ٥١]، وهكذا يزدادون من الإثم العظيم إلى ما هو أعظم، فهم لا منتهى لهم في الإثم والكذب بدليل التعجب الجديد في الآية القادمة بقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾، وذلك بعدما اختتمت هذه الآية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾، فإذا انتهيت عند قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾، فتذكر أن عند هؤلاء أمرًا أشنع وأعجب وإثمًا أعظم... وتذكر التعجب هنا ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فهل عرفت أيها الحافظ هذا التسلسل في ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾؟

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٥٢]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن لهذا الطريق من الكذب والافتراء والإثم المبين ما لا بد أن يوصلهم إلى اللعنة؛ ولهذا كانت اللعنة هي أول ما ينتظرهم في الآية القادمة فما أعظم ختام هذه الآية بـ ﴿سَبِيلًا﴾ وافتتاح الآية القادمة بمصير هذا السبيل ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء]! فهل يتيه الحافظ بعد هذا الحافظ؟

المذكِّر الثاني: وسبحان الله! فإنه لعظيم ارتباط المجاورة ما بين ﴿سَبِيلًا﴾ و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ معنى عظيم للحافظين؛ فإن هذه اللعنة بقيت في اليهود سبيلًا ممتدًّا في ذرياتهم وأحفادهم حتى آخرهم، وستبقى إلى أن تقوم الساعة إلا مَن هداهم الله وهم قليل، كما قال الله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وبقاء اللعنة ببقاء أسبابها الأولى، وببقاء ولائهم لمَن نزلت بسببه اللعنة، فالآخرون منهم مهما تظاهروا بالتقارب فإنهم لا يتبرؤون من الملعونين الأولين منهم أبدًا، بل الآخرون في بني إسرائيل هم أشد كفرًا وعصيانًا وخُبثًا.. ومثلهم في هذا مثل نهر النفايا والنجاسات، فإنه أخبث ما يكون وأقذره إنما يكون في آخره، وهكذا هم اليهود.

المذكِّر الثالث: إذا لاحظنا أن اليهود هؤلاء حين زكَّوا أنفسهم فلقد أوهموا الناس أن لهم المرجعية في موضوع الأديان، وحين بلغوا هذه الثقة أخذوا يحكمون بأن الحق والفضل مع المشركين على رسول الله ﷺ وصحبه ﷺ.. إذن فهم المثبِّتون للمشركين على شركهم... والمغذّون لكل أعداء الإسلام على أهل الإسلام.. إذن فبذهابهم سوف ينقطع جلُّ ذلك العدوان بهلاك مغذيه الأكبر في العالم كله؛ ولهذا فإن المصير هو حلول عاقبة اللعنة وعقوبتها فاحفظها جيدًا في الختام، وما أحسن إخبار الله لنا في هذا الختام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢]!

قال ربنا سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]:

المذكِّر الرابع: فالله سبحانه يخبر أن اليهود حتى لو قام لهم مُلْكٌ في يوم من الأيام فلن ينتصروا... ومن ينصرهم فسوف يخذلهم هذا هو الواقع التاريخي بل والمستقبلي، فانظر كيف ختمت الآية بقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ وهذا إخبار مستقبلي معجز أنهم لن يقوم لهم مُلك، وإن قام لهم فذلك مجرد ﴿نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [النساء: ٥٣]، وذلك لن يستمر، ولا يستحق اسم مُلك.. ثم إن فيهم خصلة تقضي على ذلك الجزء من المُلك، ألا إنها البُخل؛ ولهذا فرغم ما عند اليهود من المال فهم يطمعون، ويسعون جاهدين أن يحفظوا أموالهم لهم، ويجعلوا مصروفاتهم من ميزانيات العالم

الآخر.. وهذا ما يؤذن بزوال مُلكهم؛ لأن العالم سوف يُرهقه الإنفاق عليهم وسوف يسلمونهم يومًا من الأيام، وهذا ما بيَّنته الآية القادمة، فإذا قرأت ﴿نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ فتذكَّر قبلها ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ والعكس، هذا هو الإحكام في الترابط العظيم.

المُذكِّر الخامس: زوال مُلكهم، إنما يكون بمنهجهم الذي ذكر الله ﷻ عنهم، فالعالم كله يريد أن يعطيهم دولة لهم، لكنهم يرفضون حسدًا لمَن آتاهم الله من فضله وبُخلًا بما لم يؤتوه بعد، وطمعًا بجيرانهم، ثم هم لا يريدون لأطماعهم حدودًا.. فهذه مُهلكتهم ومَهْلكتهم.

قال ربنا سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! هذا نوع جديد من الروابط ما بين الآية والآية التي بعدها وهي كلمة معينة وهي هنا كلمة ﴿ٱلنَّاسَ﴾ التي جاءت في الآيتين الكريمتين، فقال سبحانه: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾، وقال في الآية التي بعدها: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فاقرأ الآيتين، وكررهما مركزًا على الترابط ما بين كلمتي ﴿ٱلنَّاسَ﴾ و﴿ٱلنَّاسَ﴾ فسوف تجده وثيقًا، فهم حين يكون عندهم الملك ولو كان جزئيًّا فإنهم لا يؤتون الناس منه قليلًا بل ولا نقيرًا، وإذا آتى الله غيرهم من الناس الملك حسدوه ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فكيف يفلح مَن اجتمع عليه البخل والحسد في كل أوضاعه في الحياة.. وكيف يصلح حاله مع الناس في هذه الحياة؟

المذكِّر الثاني: ولعل قائلًا يتوهم فيقول: وماذا لو آتاهم الملك العظيم.. ألا يكون هذا سببًا في صلاح حالهم وشكرهم بل وإيمانهم؟ فكان الجواب من الله في هذه الآية وفي الآية القادمة.. بحيث لا يمكن فك الارتباط بينهما، فلقد قال الله ﷻ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، فالله آتاهم ملكًا عظيمًا ملك داود وسليمان عليهما السلام فهم يتفاخرون بذاك المُلك، ويطمعون في إعادته.. فماذا صنعوا إلى أهل مبادئ الملك العظيم الإيمانية والعملية؟ جاء الجواب الذي لا ينسى في الآية القادمة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء].

❀ **المذكِّر الثالث:** هذه الآية فيها سر نزع المُلك والخلافة من بني إسرائيل، ذلك أن الله لعنهم، والله لا يجعل الملعونين أئمة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ هذا سر آخر أنهم لا يصلحون للمُلك مطلقًا؛ لأنهم بخلاء حتى النقير يأخذونه لهم كل شيء يأخذونه هم، ويُجوِّعون الآخرين حتى يهلكوا، ثم قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾، ومَن يتولَّ أمور الناس لا يحسد الناس، بل يزيد الناس ويعطيهم، والبخل والحسد يتناقضان تمامًا مع الإمامة.

قال ربنا سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٥٥]:

المُذكِّر الأول: وأما الفريق الآخر ومَن جاء بعده وجاء ذكره بعدهم فقد قال الله ﷻ فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ﴾ فصدوا عنه بأنفسهم، وصدوا عنه غيرهم، وتكفلوا بالصد عن دين الله الإسلام إلى أن يأتي الله بأمره.. فمتى يأتي الله بأمره؟ الجواب: مذكور في هذه الآية نفسها لقد ذكر الله في ختام هذه الآية قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ فهذه هي خاتمتهم المعروفة في هذه الدنيا حيث ذكرهم الله ﷻ بذات الأحرف الكريمة فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء] فهذا حشرهم وحصادهم الأخير من هذه الدنيا فإنه مباشر إلى جهنم فهي القاسم المشترك في الآيتين، وهي المتجهمة في وجوههم بعد قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ تنتظر النفس جوابًا على سؤال يقول: هل شكروا أم كفروا؟ فكان جواب هذا السؤال هو الآية القادمة، وكان هذا أعظم رابط فلا تنسه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [النساء: ٥٦]:

المذكِّر الأول: تبين في هذه الآية أن أكثر هؤلاء اليهود كفروا، ليس كفرًا عاديًا، بل صدوا عنه.. شنوا الحرب على ما آتاهم الله من فضله وعلى الملك العظيم، أي لم يشكروا نعم الله عليهم، بل صدوا قومهم عن شكر الله عليها.. لهذا ختمت الآية ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

المذكر الثاني: سبحان الله! كيف اختتمت هذه الآية آية ملكهم الملك العظيم أو النصيب من الملك العظيم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ إلا دلالة على أن مصيرهم النهائي هو جهنم إلا أقل القليل ممن آمن بدليل ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وبدليل أن الله تعالى قدَّم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ ولم يقل ودعا إليه ليدل على أن إيمانهم انقطع بموت الأولين، وورثت اللعنة الآخرين، بينما قال بعدها: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ فقد أخرها الله ﷻ كما أخَّر أصحابها وجودًا وسيطرةً، وتمحضت لهم في الآخرين وإن كانت موجودة، وورثها عنهم جميع الآخرين ممَن لم يؤمنوا برسول الله ﷺ، ثم إن قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ ليقابل ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ فالرعيل الأول منهم لم يتجاوزوا الإيمان إلا قليلًا، أو كأنهم كذلك ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، وهكذا ابتدأت الآية القادمة بتفصيل ما يخصهم في جهنم عياذًا بالله، فإن ختام هذه الآية ذكر

الحقيقة واضحة، ولكنه أشار لتفاصيل قادمة.. فلا يمكن بعد هذا أن ينسى الحافظ الآية القادمة بعد هذه الآية المفصلة، وفيها تفاصيل مصير هؤلاء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾ [النساء: ٥٧]:

المذكِّر سبحان الله! هكذا تعاد الجلود، كلما نضجت إلى حالتها الأولى ليذوقوا العذاب؛ لأنهم لم يكفروا بآية واحدة، وإنما كما قال الله ﷻ: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ ولأنهم أمام كل نعمة يكفرون ويصدون.. وهكذا يعودون؛ ولأنهم وراء كل محرقة اشتعلت بالمسلمين في هذا الزمان خاصة... إذ سلاحهم الإحراق للجلود للإهلاك... وهكذا هو الأمر يتكرر مع بلاد المسلمين وفي السجون... والأمر أوضح من أن يخفى على ذي عينين اليوم.

ولهذا جاء هذا الختام المناسب لهذا العذاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، فكيف إذا كانت عزة الله في الآخرة مع الغضب والعقاب واللعن لهؤلاء كما ذكر الله ﷻ قبل آيات؟! ومع هذا فهو ﴿حَكِيمًا﴾ فهذا العقاب حق وعدل، و﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ كما تكون مع غضب، فإنها تكون مع نعيم الله وفضله وعطائه.. وهو ذاته للتهيؤ للنعيم القادم فانتبه له جيدًا؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.. وهذا ما أرسلته الآية

القادمة، فإنه سبحانه أعز الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأعطاهم عطاء العزيز الحكيم المقتدر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر]، فالاسمان الحسنان هما هما، وما هذا الجلال المتنوع منها كلٌّ بحسبه إلا لأنهما من أسماء الله الحسنى في كلام الكريم الأسنى.. ولهذا فإن الاختتام بأسماء الله الحسنى للآيات لهو أعظم نعمة، وأعظم إيمان، وأعظم علم، وأعظم هداية للخلق، وأعظم ربط بين الآيات، فمن تدبَّر الأسماء الحسنى من خلال موقعها من كلام الله لن يتوه أبدًا؛ لذا جاء هنا الجزاء الآخر العظيم في الآية القادمة لـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ملاحظة: التفريق بين آيات الجنة والخلود فيها:

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾ [النساء: ٥٨]:

❀ **المذكِّر** سبحان الله! لا شك أن ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ جزء لا يتجزأ من نعيم الجنة كما ذكر الله ﷻ، ولكن انظر كذلك كيف هيأت هذه الآية لما بعدها وأعدت الحافظة ومعانيها قبل الدخول إليها والدخول في ظلالها... فالذين حفظوا الأمانات، وجعلوها في الظل الظليل والحرز الأمين جعل لهم الظل الظليل وسبقهم ببشراه، فلقد جاء بعد هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، وهذا في

حفظ أمانات الناس فكيف بأعظم أمانة أنزلت على هذه الأرض وهو ما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من القرآن العظيم والهدي النبوي الكريم علمًا وعملًا فإن بعدها جاءت آيات التحاكم لله ولرسوله ﷺ؛ فاحفظ هذا الترتيب يحفظك الله، ويحفظ لك حفظك بفضله ورعايته لك، والله ذو الفضل العظيم، وما هذا إلا من تيسير القرآن العظيم لحفظه.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٥٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن الختام بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ في موطن شمل حِفْظ الأمانات والأمر بحكم العدل؛ ليدل دلالة قاطعة على أن الله سبحانه يحذر المؤمنين من التهاون في ما أنزل عليهم، فالأمانة يجب أن ترد كما هي، والحكم بالعدل ميزان دقيق ورب العالمين يقول: ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]... ومع هذا فإن الختام بأسماء الله الحسنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾، ينبئ عن أمر عميم وعظيم قادم، فالله ﷻ هنا ذكر ثلاثة أمور هي أصول وقواعد، والآن جاء دور العمل بها بكل تفاصيل ذلك، والذي يقوم بذلك هم أنتم؛ والله مطلع على ما أنزل وعلى ما عملتم به وكيف عملتم، وهذا الختام – والله أعلم – ينبئ عن عظمة الأمر القادم وثماره، وهو طاعة الله ورسوله وأولي الأمر، كما ينبئ عما سوف يقع فيه من تقصير كبير مع الزمن

وهو ما نراه اليوم، وكل هذا مجتمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ فإن عملتم بها فَنِعِمَّا الناس أنتم، وإن خالفتم فبئس ما عملتم، ولسوف تلقون غَيًّا.. فإن المطلوب في الموعظة وهذا التفصيل هو بعض مقتضيات قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

المذكِّر الثاني: قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ سبحان الله! فبالإضافة إلى أن في قوله في ختام هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ فيها من الإشارة إلى أن الذي يعظ ينبغي أن يكون سميعًا وبصيرًا بحقيقة ما يعظ به؛ لأن موطن الموعظة موطن منسوب لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ فإن هذه الكلمة الكريمة في الختام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ فيها من التهيئة العظيمة إلى التزام الموعظة في المجتمع المسلم التي أشارت إليه الآية التالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ التزام الموعظة وعدم الاتهام، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾فيها كذلك من التهيئة إلى التزام تقوى الله في هذا الموطن؛ لأن فيها طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر، وهذه من أدق العلاقات التي تحتاج إلى التقوى؛ لأن فيها التنازع كما قال الله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ فانتبهوا إلى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

فإن الأمر في غاية الحساسية، والإحكام قد غدا واضحًا بين الآيتين غاية الوضوح.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ﴾ [النساء: ٦٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فلَكَمْ هو عظيم ختام هذه الآية بقول الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.. والسؤال هو: أحسن تأويلًا من ماذا؟ والجواب: من كل حكم سواه، وأول ذلك ما هو وارد في الآية القادمة ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ [النساء]، أرأيت كيف جاء تسهيل حفظ الآية القادمة من خلال عمل الحق وضده، فغدا كالرمز للحافظ لا يضل عنه أبدًا فإن الإشارة إلى الأسوأ تأويلًا وهو المذكور المذموم في الآية القادمة فإن التأويل الأسوأ هو تقديم طاعة ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾التي نزع الله منها كلمة ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ فأصبحت هي المقيدة التابعة لـ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

المذكِّر الثاني: حين تعلم ضرورة قول الله تعالى في هذه الآية ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإنك لن تنساها ولن تتخطاها - بإذن الله - أبدًا.. ذلك أنها اشتراط لعدم الانحراف عن منهج التأويل الأحسن إلى التأويل الشيطاني الأفسد؛ لذا قال سبحانه: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾.. إذًا فالله سبحانه يعلمنا أن الإيمان الحق بالله واليوم الآخر هو الذي يقود إلى الخير والتأويل الأحسن، وأما مَن تجرأ على دين الله وتشريعاته، وقدَّم على طاعة الله ورسوله ﷺ فهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مَن قال الله فيه بعدها: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠].

أرأيتم كيف أحكم الله ترتيب الآيات إحكامًا أيها الحافظون؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٦١]:

المذكِّر تنبه هنا لقد خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فبأي شيء أضلهم الشيطان ضلالًا بعيدًا؟ والجواب: دخل عليهم من باب التأويل الأسوأ والأفسد فجاؤوا بأسود النتائج وأسوأها وعند هذا الحد هل تركهم الله ﷻ، أو تركهم المؤمنون بعدما ذهبوا بعيدًا؟ والجواب: قطعًا لا، بل ها هو النداء العالي يأتيهم وهم في الموقع البعيد أن تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، فكان موقفهم من هذا النداء هو الصد والصدود لأنفسهم ولغيرهم على حدٍّ سواء، فاقرأ هذه الآية مع الآية القادمة تجدها حقيقة واقعية حية تَحْدُثُ في مجتمعنا كل يوم، فما أعظم تسهيل الله ﷻ للحفظة حفظ هاتين الآيتين الكريمتين، فهذه تذكر موقعهم عن الهدى، وإذا به بعيد بعيد ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، والآية التي بعدها تحمل النداء لهم ليعودوا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾ فهنا ذهاب بعيد، ووراءه نداء عليهم، فمن يستطيع أن يفرق ما بين آية الذهاب وآية النداء من بعضها، والحمد لله على هذا التيسير المنقطع النظير.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ [النساء: ٦٢]:

المُذكِّر: يقول القائل فما جواب المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ فالجواب: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ والسؤال الآخر: هل بعد هذا الصدود المطلق بالمفعول المطلق ﴿صُدُودًا﴾ يمكن أن يرجعوا إليك وإلى الحق؟!

والجواب: نعم ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ والسؤال الثالث هو: هل هذا الرجوع مع الإيمان، وهذا التعليل ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ يدل على أنهم رجعوا نادمين صادقين مخلصين؟ والجواب: إنما هو في الآية التي بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾، فالله وحده هو مَن يعلم ما في قلوبهم.. لكن عليك أن تُفَعِّل ما ذكر الله ولا تترك الأمر.. فالله ما كلَّفك بعلم الغيب، ولكن كلفك بثلاث ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ فهل رأيت أيها الشيخ المحفظ وأيها الحافظ كيف أنك الآن إذا فهمت هذا ورتَّبته في فهمك كما رتَّب الله آياته فإنك لن تخطئ في حفظها فهو الكتاب الحكيم؟ وهذا التتابع المحكم هو بعض معاني التلاوة والتي أصبحت ملازمة لآيات الله حيث يتلو بعضها بعضًا دائمًا وأبدًا، فقد قال الله سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

قال ربنا سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: ٦٤]:

ما قال الله ﷻ: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ إلا تزكية لسنة نبيه ﷺ... فهو صاحب القول البليغ بشهادة الله.. فما أمره الله بهذا إلا لأنه وهبه أبلغ القول، فهل هذه الطاعة خاصة بك يا صاحب القول الأبلغ، ويا مَن اصطفاك الله واختصك بجوامع الكلم...؟ فجاء الجواب في الآية التالية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

فلا تنسَ هنا أن الله سبحانه يخاطب رسول الله ﷺ فيقول له في آخر الآية: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ ليبتدئ بعد ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي فكيف إذا بطاعتك أنت وأنت سيد المرسلين وخاتمهم؟

فالقول البليغ أعظم محفِّز على طاعة الله ورسله ﷺ، ومن ثَمَّ جاء أولًا في ختام هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾، وجاء بعدها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، هذا أمر، وأمر آخر بعده مباشرة هو أن القول البليغ أعظم حجة على مَن لم يطع المرسلين ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.. فتأمَّل: هل يقدر بشر على مراعاة هذا الترتيب.. فما أسعد طالبي الحفظ بهذا الترتيب الكريم!

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! ومع كل ما قدَّموا من كفر وفسوق وعصيان فإنهم لو جاؤوا مستغفرين صادقين ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، لكن هنا سؤال: وهل يكفي أن يستغفروا ليتوب الله عليهم؛ لأن ﴿ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فجاء الجواب القطعي ومعه قَسَم رب العالمين في أول الجواب: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ فهل بعد هذا ينسى الحافظ قسم الله سبحانه في هذا المقام؟!

وأمر آخر يجب أن ننتبه له لأمرٍ طال خوض الناس فيه: هو أن مجيء هؤلاء للرسول ﷺ ليس ليسلِّموا عليه ولا ليتبرَّكوا، وإنما هو مجيء للرسول ﷺ ليحكم بينهم، بدليل قوله تعالى في آية سابقة، وهي في نفس الموضوع: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟

إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ فإنهم إذا ما استجابوا تائبين مستغفرين الله نادمين على صدودهم وصدهم عن رسول الله ﷺ محتكمين إليه مسلمين راضين، فهؤلاء هم مَن قال الله فيهم: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وإلا فإنهم لو استغفروا أبد الدهر، ولم يأتوا للرسول ﷺ ليحكم بينهم.. فلا استغفارهم ينفعهم، وما لنفاقهم فارقوا.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإنا إذا تدبرنا أول الآية وجدنا قول الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ والمرسلون جميعًا قد ذهبوا، فلو فرضنا أن أحدًا في الدنيا من أتباع المرسلين السابقين كما يزعمون؛ فأناس أتباع إبراهيم عليه السلام، وآخرون أتباع موسى عليه السلام، وآخرون أتباع يحيى عليه السلام، وآخرون أتباع عيسى عليه السلام... ظلموا أنفسهم لم يكن لهم مرجع إلا ﴿جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٢] أنت يا محمد، ولو أنهم اختلفوا وأرادوا حكمًا عدلًا لم يقبل ولن يجدوا سواك يا محمد ﴿جَآءُوكَ﴾، فالمرجعية المطلقة، كما في هذه الآية العظيمة توحَّدت من جميع المرسلين إليك وحدك يا محمد ﷺ، هنا فقط ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؛ ولهذا جاء التصريح بهذا في الآية القادمة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ فهل ترى تيسيرًا محكمًا للحفظ مثل هذا؟

قال ربنا سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء].

❁ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٦٦]:

❁ **المُذَكِّر** سبحان الله! تأمَّل ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ هكذا هو الختام العظيم لهذه الآية الكريمة.. لكن العجب حقًّا هو كيف تواصلت المعاني وتواصلت إلى الآية القادمة؟ خذها كخاتمة لهذه الآية، فكما أخذتها طوال عمرك على أنها الخاتمة وجدتها في غاية الإحكام، فخذها اليوم متصلة بالآية القادمة.. مستقلة عن هذه الآية، وانظر إلى الإحكام ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ [النساء: ٦٦]، فيكون المعنى ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ حتى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ فلكأنه شرط واحد متصل.. وإلا فإنهم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في حقيقته.. وهكذا الإحكام مع تسهيل الحفظ، وتيسير الله الذكر ما بين آخر هذه الآية بأول الآية القادمة؛ ليسهل حفظك ويوثقه ويحكمه.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن الله سبحانه قد ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ إذا وصلْتَ إلى هذا الختام ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ فاعلم أن ما بعده تقدُّم إلى الأمام على الصراط المستقيم، وأن ما بعده علوّ في المقام وعروج القرب، وبعده وصول إلى قوم كرام عظام لم يكن للإنسان أن يصل إليهم إلا بهذا، والسؤال هو ما الذي دلَّ على هذه الخيرات المذكورة في الآيات القادمات؟

والجواب: أن الأمر الأول قبل التقدم هو الثبات ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ الذي يمنع التقهقر، وبعد الثبات مباشرة يكون التقدم والرقي وما إلى ذلك.. أرأيت أيها الحافظ كيف أنه لو قيل لك باستقلال آخر هذه الآية ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لتذكرت مباشرة بعدها قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ الآية [النساء].. حتى وإن كان حفظك قديمًا، وما ذلك إلا من تيسير الله القرآن للذكر في ذاته ولن تجده إلا بتدبر كلام الله... فهو موجود محكم الوجود، وربنا يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢].

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ثَمَّ أمرًا عظيمًا هو ما يمنع أصعب المصاعب على الناس، ويرد عن إنزال أصعب العقوبات عليهم، ألا إنه تحويلهم المواعظ إلى مواقف وأعمال.. وأما إبقاء الموعظة في حدود الأقوال فهذا ما لا يُقدِّم ولا

يؤخر؛ لذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾، فسبحان الله! إذا كانت الموعظة سوف تصرف عن الإنسان القتل والإخراج من الديار وهما من أعظم العقوبات، فكيف لا تصرف ما دونها من مصائب الحياة وكوارثها؛ لذا قال الله سبحانه بعد العمل بالموعظة يتحول القتل والتهجير إلى خير، وليس أن يتوقف ويسلك الناس الصراط المستقيم، فكم هي الموعظة والعمل بها عظيم ونافع للحياة وللتربية والشدائد، وما إلى ذلك، وكم هي موصلة المجتمع برمته إلى السلامة، وإلى بلوغ أكرم مراحل الإنسانية... وإلى إيتاء الله لهم ما لا يحصون من السلامة والسعة والسعادة فتدبر هذا الختام واربطه بـ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]:

سبحان الله العظيم! أي شيء يذكر عند هذه الآية الكريمة وما بعدها إلا أم الكتاب، فتذكر قوله سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ ففي هذه الآيات بعض بيانها.

المذكِّر الأول: عجبًا لأسماء الله الحسنى في كل مكان وعند الختام، ويا لحسنه من ختام...! فالله سبحانه يقول هنا: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ليس فَضْل الله لمَن ذكر الله محاباةً منه على بقية خلقه، بل هو عن علم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾، وهنا تكتشف الرابط الذي جعله في الكلمة الأخيرة ﴿عَلِيمًا﴾ فاحذروا وخذوا حذركم فربكم يحرضكم على العلم وعدم الغفلة فهو سبحانه العليم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ وجاء بعدها قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن الله سبحانه حين أخبر عن بني إسرائيل أنهم لن يقتلوا أنفسهم، ولن يخرجوا من ديارهم حتى لو كتبها عليهم إلا قليلًا، فإن في هذا إشارة إلى أمة رسول الله ﷺ فإنهم كتب عليهم القتال وفيه قتل النفس وإهلاك المال فتسابقوا، وكتب عليهم الهجرة وهي الخروج من الديار فسارعوا مهاجرين فأصبحوا أمة الصراط المستقيم، واجتمعوا عليه، وكانوا على قلب رجل واحد، وقد تطرق لهذا علماء منهم الإمام البقاعي رحمه الله، فهؤلاء حين باعوا كل شيء لله المال والنفس والأوطان حفظ الله لهم كل ذلك، وهنا جاء أمر الله فأوجب لنا أن نأخذ بأسباب كفاية الحفظ من حيطة وحذر لحصن الأمة وحراسته، فكان طبيعيًّا أن يقول الله ﷻ بعد ﴿عَلِيمًا ﴾: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾، فما أحسنه من إحكام وتيسير لحفظ القرآن..! فمَن فهم هذه فكيف يضيع بعد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾؟

قال ربنا سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ٧١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]:

المذكِّر الأول: هنا يتجلى الربط السلس ما بين الآيتين؛ إذ ختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ فما قال الله فانفروا جميعًا، أو انفروا ثبات، ذلك أنه حين باشرت كلمة ﴿جَمِيعٗا﴾ جوار ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ تبين أنه لا إبطال لكيد المبطئين إلا أن نكون جميعًا.. فإنهم يدخلون دائمًا من الخلل، ويقتنصون الفرصة.. فهل رأى الناس مثل هذه السلاسة مع الإحكام فهنيئًا لكم أيها الحافظون والمحفظون، ويا أمة الإسلام.

المذكِّر الثاني: فسبحان الله! فإن أول مَن تأخذون منه حذركم هم أناس منكم ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ﴾ هكذا ارتبطت الآيتان.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ ﴾ [النساء: ٧٣]:

هذا النوع من الناس هم أهل الإحجام دائمًا والقعود حتى الموت.. فهم في كلا الاحتمالين قاعدون ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ و﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وهذه منهجيتهم فلئن أصابتكم وهم قعود ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ ﴾ هم كذلك قعود.. فيعيشون في حسرة دائمة وإثم ظاهر وباطن، والعياذ بالله.

❀ **المذكِّر:** وفي هذين الاحتمالين تيسير عظيم من الله على الحفظة كما عوَّدنا ربنا سبحانه؛ إذ قال: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ وقال في الآية بعدها ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فمَن ينسى بعدها؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ **[النساء].**

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٧٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٤]:

❀ **المُذَكِّر** سبحان الله! فإن الختام ﴿فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ إنما فيه الإشارة لسبب الفوز العظيم القادم علينا في الآية القادمة إلينا، وهذا في قوله تعالى: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فالذي يعدِّل ميزان الأمة إذا اختل إنما هو الجهاد في سبيل الله، فهو صحة وصحوة، وهو قوة وقضاء، وهو على الفتن والتفاهات قضاء، وبه يعلو التطلُّع إلى أسمى الغايات والجنات، نعم إن عند المؤمن تعتدل الموازين كما علمه الله: فالشهادة في سبيل الله ليست مصيبة كما ذكر المنافقون، بل الشهادة هي الفوز العظيم... والغنيمة مهما كانت ليست بذاتها فوزًا عظيمًا إنما الفوز العظيم هو نصر الإسلام والمسلمين كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر]، وكما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

قال ربنا سبحانه: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [النساء].

❁ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ [النساء: ٧٥]:

المذكِّر الأول: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هكذا يحفز الله المؤمنين بأعظم شيء، وهو الأجر العظيم، وذلك بالقتال في سبيل الله... ثم يتحوَّل التحفيز من أسلوب العرض إلى أسلوب الاستنكار بالتأخر عن القتال، والقتال قد حَضَرت أسبابه في الآية القادمة ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥].

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن كلمة ﴿عَظِيمًا﴾ في ختام آية تتبعها ﴿عَظِيمًا﴾ في آية بعدها مباشرة لتعطي الحافظ أن أمرًا عظيمًا جديدًا قد استجد، وأنه غير الأول، فالأول ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ والثاني ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فكلمة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لتوقع في النفس في ختام الآية أن أجرًا عظيمًا قد حضر لأمرٍ عظيم قد حضر! وإذا به رجال ونساء وأطفال مظلومون مقهورون يدعون الله بالخلاص فكن أنت الجواب كما في الآية القادمة ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٦]:

❀ **المذكِّر:** سبحان الله! فلكأن الآية االسابقة تبلغنا على لسان أولئك الداعين.. الشاكين أمرهم إلى الله.. المستنصرين به سبحانه: أن مَن يقاتل لأجلنا فهو استجابة الله لدعائنا.. وهو نصرة الله باستنصارنا.. وقد أرسله الله من لدنه لأجلنا.. وهكذا يبعث الله بكلماته الجهاد في النفوس.. والنفير من فورها للصفوف.

وإياك أيها الحافظ أن تغفل في ختام هذه الآية؛ ولهذا جاء بعد هذا النداء العظيم الاستجابة الفورية في الآية القادمة، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وخصوصًا أن الكلمة الخاتمة في هذه الآية هي ﴿نَصِيرًا﴾، فجاء النصير من لدنه سبحانه من فوره، وهاكه في الآية القادمة قد وصل، وابتدأ القتال والتقى الخميسان... وتجلت آيات الله في الكتاب على الأرض ملحمة في أيام الله الخالدة والقادمة.. فهل عشت هذا العصف الرباني والطوفان الإيماني في تناسق منقطع النظير؟! فهنيئًا للحافظ بهذا التيسير والعون كعونه للمجاهد في ساحة النصر العظيم وعونه للحافظ في حفظ آيات القرآن العظيم.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! كيف ابتدأت هذه الآية الكريمة بالقتال، واختمت بكلمة ﴿ضَعِيفًا﴾ فهذا هو موضعها الحق، فمن موضعها هذا لها إطلالة على الآية القادمة، فمن خلالها كأنك ترى القادم ذكرهم قومًا ضعافًا اتبعوا صاحب الكيد الضعيف - عليه لعنة الله - تخلَّفوا عن الجهاد واصطنعوا المعاذير، فكانت الآية القادمة ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ألا ما أعظم الإحكام والتيسير معًا يجمعهما الله في كل مرة للحافظ والمحفظ والطالب وأهل التدبر والتفكير.

المذكِّر الثاني: سبحان الله العظيم! فقد ختم الله هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ فهيَّأت أعظم تهيئة لنفرة المسلمين في سبيل الله وإسراعهم إلى الجهاد في سبيله؛ إذ قال الله بعد: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ﴾ أينتصر عليكم هذا الشيطان الرجيم هذا الضعيف انتصر عليكم أترضون ذلك؟ إنه يثير الأنفة في المؤمنين أن يطيعوا الشيطان، ويتركوا أمر الله ﷻ.

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فإن الله ﷻ حين قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ ما قال سبحانه: فقاتلوا أولياء الطاغوت، بل قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾؛ ذلك لأن الله سبحانه بيَّن لهم ما وراء مَن يرونه، وذلك هو الشيطان.. فالحقيقة أن مَن يقاتلونكم وراء الطاغوت، وهو مَن ظهر من أصنام أو قادة

بشر جميعهم يقاتلون خلف قائدهم الشيطان.. وجرَّأهم عليه فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ فلا يغرنَّكم أن قائدهم العِلج فلان، أو القائد الشجاع أو الأسطوري فلان.. فإنه ما دام قائدهم الأكبر جبانًا فكيف ينتصرون، وكيف تخافونهم؟!.. فكانت الآية القادمة التعجب من الخوف من هؤلاء، ومن طلب الإذن بمزيد من التأخر عن الجهاد، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ [النساء: ٧٧].

قال ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! إني والله لأعجب من كلام الله العظيم سبحانه، وكيف اختتمت هذه الآية بهذا الختام قبل الآية التالية مباشرة ﴿فَتِيلًا﴾، فكأن الله ﷻ قد حدَّثهم عن نهايتهم في هذه الدنيا.. وعن جسدهم وقد نزعت منه الروح، وعن نعشهم، وعن قبرهم، فعبَّر سبحانه بكل ذلك من خلال هذه الكلمة ﴿فَتِيلًا﴾.. ولعلك الآن عرفت المقصود... فلقد جعل مصيرهم حقيقة يرونها كل يوم أمام أعينهم... فكيف يجبنون عن الجهاد؟ فالفتيل هو النسيج الرقيق بين شقي النواة وهل من شيء أشبه بالإنسان وقد نزعت روحه، والإنسان وقد وضع بين شقي الخشبة، والإنسان وقد وضع بين شقي قبره من الفتيل الرقيق في شق نواة التمر؟ فهذه النواة

هي الخشبة التي تُحمل بها أنت أيها المتخلف، وهو قبرك الذي يطبق عليك، ثم تكون النواة علفًا وروثًا، وما إلى ذلك، وهكذا دنياك، وهكذا تنتهي أعظم رحلة - رحلة الإنسان - في هذه الدنيا، وهذا هو اختيارك يا مَن تخلفت، واخترت موتة الجبان، فسبحان الله! فلقد جاء بعد ﴿فَتِيلًا﴾ قوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

المذكِّر الثاني: كثيرًا ما يلتبس على مَن حَفِظَ هذه السورة وسورة البقرة عند هذه الآية عند قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] يلتبس مع قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فالأصل في أمة محمد ﷺ أن يتولى فريق، ولا تتولى الأمة؛ ولهذا قال سبحانه في سورة النساء: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٧٧]، أما في بني إسرائيل فالأصل أن تتولى الأمة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، فالفارق عظيم، وكما قال سبحانه في المائدة: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المائدة: ٢٣].

قال ربنا سبحانه: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! لا يمكن فك هذه الآية عن الآية التي تليها أبدًا حتى أن البعض عندما يحفظها يظن أنه يكررها؛ لأن الألفاظ شبه تكررت.. فيقول: إذًا فالمعنى واحد! وهذا غير صحيح؛ لأن الله سبحانه قال في ختامها ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، فالحديث هنا ليس حديث الألفاظ الظاهرة إنما هو فقه كلمات الله ﷻ، إلا أن للمنافقين مقاصد خفية خبيثة عميقة في نفوسهم الخبيثة.. مثل قول المؤمنين لرسول الله ﷺ: (راعنا)، فنهاهم الله عن قولها؛ لأن اليهود كانوا يقولونها، ويقصدون بها نسبة الرعونة إلى رسول الله ﷺ، وحاشا رسول الله ﷺ من ذلك، وهكذا هم المنافقون هنا، فإنهم إنما يريدون أن ينسبوا السيئة لرسول الله ﷺ وأتباعه وإن قالوا قبلها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾، فما هذه إلا لزحلقة الفكرة الخبيثة بعدها لنفوس المؤمنين، والتي يحملها خطابهم لرسول الله ﷺ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾؛ ولهذا أجابهم الله أولًا فقال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾، وبيَّن الحقيقة سبحانه بأكملها فقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ وما قال الله سبحانه: (وما أصابهم من سيئة فمن نفسك)، ثم ختمها سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ﴾ أي: كل ما تخبرهم به أو تأمرهم به أو تفعله، فهو ليس من عند نفسك، بل هو ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ فهم يا محمد إنما يريدون الإساءة لك ولمن أرسلك – قاتلهم الله – وصلى الله وسلم على رسوله.

هذه الآية من الأعمدة الأساسية لموضوع هذا البحث، ذلك أن عماد هذا الكتاب هو محاولة فقه حديث الله سواء تطابق لفظ آخر الآية بأولها، أو تطابق معناها بمعناها، أو تقابل المعنيان، فالفقه في كلام الله - كما ترى - بحر واسع وعظيم، ولا يمكن لبشر أن يحيط به.. وقد مرَّ بنا من هذا الفقه الكثير كشواهد على ما ذكرنا.. وإني أربأ بالمسلم أن يتشبَّه بالمنافقين الذين أنكر الله عليهم عدم تدبُّرهم للقرآن، وحضَّهم على تأمُّل حِكمه وأحكامه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

المذكِّر الثاني: لقد اختتم الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، ويا لِنِعْم الختام لهذه الآية المباركة.. ولكن انظر وتدبر كيف أن هذه الخاتمة هيأت أعظم تهيئة لموضوع الآية القادمة، ونحن لا نشعر، ذلك أن آخر كلمتين هنا هما قوله سبحانه في الختام: ﴿يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، وكأنها تقول: يفقهون حديثًا من يعتقدون ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، فهل يُشْكَل على طالب الحفظ بعد هذا الربط بين الآيتين والفكرة الخاتمة؛ إذ هي تسلمك للآية التي تليها، وكأنها جزء منها، والحمد لله رب العالمين؟

قال ربنا سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]:

المُذكِّر هكذا ختم الله الآية التي يدافع الله فيها عن رسوله ﷺ بختم الشهادة، فجاءت شهادة مطلقة لا حاجة لشهادة أخرى معها أبدًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، فكان هذا الختم بهذه الشهادة المطلقة أمرًا مطلقًا بطاعة رسول الله ﷺ طاعة مطلقة مرتبطة

بطاعة الله ارتباطًا مطلقًا... هكذا كانت الشهادة المطلقة في هذه الآية تدلي ضرورة إلى طاعة رسول الله ﷺ في الآية التالية، وهي طاعة ليست في الصلاة والصيام والحج والأذكار فحسب، وإنما في كل شؤون الحياة... هذه هي الثمرة العملية العظمى الرابطة ما بين موضع الشهادة وموضوعها.

قال ربنا سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٨٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء: ٨١]:

لكن السؤال هنا: وكونك مرسلًا من عند الله، فذلك لا يعني ألا يتولى عن طاعتك أحد، فأنت لا تَقْدِر أن تحفظهم عن التولي عنك، فطاعة أناس وتولي آخرين عنك إنما يدلّ على أن الله أعطاهم كامل الحرية والاختيار، ولو شاء لألزمهم الهداية والإيمان وهم يريدون الحرية.

المذكر الأول: سبحان الله! فإنه وبعدما بيَّن رب العالمين حقيقة النفع والضر، وممَّن هو، وبيَّن المقاصد الخفية وراء عبارات المنافقين، وبيَّن الحق الفاصل وهو طاعة الرسول ﷺ.. وكل هذه معتقدات؛ إلا أن حديث رب العالمين سبحانه انتقل بالحديث مباشرة من المعتقد إلى الممارسة الحياتية اليومية، فإن هؤلاء لا يستخدمون الحوار إلا للطعن في المعتقد، ومع هذا فإنهم لن يكتفوا بهذا، إنما ينتقلون إلى التجسس، ويدخلون عليكم من مدخل العقيدة نفسه ويحملون من الناحية النظرية معتقداتكم، ويستخدمون ذات مصطلحاتكم العقدية فانتبهوا لهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ﴾ [المنافقون: ٤]!

تقولون: طاعة مطلقة هم كذلك، قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي طاعة الرسول ﷺ مطلقة فشعارهم اتباع الرسول في العادة، فالطاعة هنا طاعة مطلقة... وهذا يعني أنهم يظهرونها، ويظهرون مظاهر اتباع الرسول ﷺ.. ولكنهم ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ﴾ ذهبوا بعيدًا عن أعينكم، وخرجوا خارج حدود سمعكم وأبصاركم وأصحابكم... أظهروا الحقيقة الخفية وهي أنهم منافقون معادون أشد العداء.

فيا أيها الحافظ: انظر في ترابط هذه الآية بما هو آت تجده موضوعًا واحدًا متحدًا، وحين تنظر إلى هذه الآية والتي بعدها تجد وحدة لفظية تَقْطَع عندها أنها بعدها.. فبداية هذه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ وبداية التي بعدها ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

❁ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]:

المذكر الثاني: وسبحان الله! كيف جاءت هنا كلمة ﴿حَفِيظًا﴾، وهي آخر كلمة في هذه الآية لتشير من خلالها إلى أخطر موضوع يحتاج فيه رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى حفظ الله ﷻ وحماية وهو مكرٌ مسموم من داخل صفوف المؤمنين.. ولهذا ختم الله الآية القادمة فورًا بما يطمئنه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وبين قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]:

المذكر الأول: سبحان الله! إن المؤمن بطبعه وسلامة فطرته ليستغرب أشد الاستغراب أن يوجد أناس أوغلوا، ويوغلون إلى هذه الدرجة من الخبث والتخفي، وإن كل هذا الذي يعملونه من ﴿طَاعَةٌ﴾ إنما هو كفر محض، والعياذ بالله، فيخاف من طعنتهم المسمومة للإسلام ولرسوله ﷺ فيختم الله الآية بقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

المذكر الثاني: فإذا كفاك الله شرّهم فمن يكفيهم شرَّ أنفسهم؟ هنا يأتي أرحم الراحمين فيأمرك يا رسول الله ﷺ ويأمر المؤمنين أن يَعْرِضُوا عليهم القرآن ففيه علاجهم ودواؤهم وشفاؤهم بشرط واحد هو أن يتدبروه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، سبحان الله! فإن هذا المحور في القرآن وهو انعدام وجود الاختلاف فيه انعدامًا كليًّا هو علاجهم لو أقبلوا، أتدري لماذا أيها الحافظ؟ لأن حياة المنافق مليئة بالاختلافات، ونفسيته عاصفة بالاضطرابات، بينما هم لو أنهم يقرؤون القرآن كله من أوله إلى آخره فلن يجدوا فيه موضعًا واحدًا فيه اختلاف أو تناقض، ولولّى من نفوسهم الشيطان، وزال الوهم والخوف والاضطراب، بل كلما ازدادوا قراءة وتدبرًا ازدادوا إيمانًا ويقينًا... وكون رب العالمين قال: ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ هذا ليس عن القرآن إنما هو عن الفرضية: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾..

.. إذن فإنه سيجد القرآن هو الواحة العظيمة الهادئة الوحيدة السالمة من ذلك كله.. هي ما تبحث عنه تلك النفوس، وهم حين ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ سيجدونه يحدثهم بما لا يعلم به سواهم ويُحَدِّث كل واحد منهم بما لا يعلم به أخص الناس به..

المذكر الثالث: وسبحان الله! كيف بهذا الختام لهذه الكلمة وكيف اتصلت بما في الآية القادمة حقًّا، إنه لأمر عظيم، لكنك لن تعرف ذلك حتى تقرأ الآية ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، وهكذا إذا لم يردوا الأمر إلى رسول الله ﷺ في عهده وإلى أولي الأمر الآخذين بهديه من بعده فلن يتفقوا، بل سيقع بينهم اختلاف كثير، فسبحان الله! كيف جاء بعدها ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء]؟!

سبحان الله! فإنه يجب أن أُبَيِّن أمرًا مهمًّا هنا؛ من منطلقات هذا المبحث ومصادره، وهو هذه الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ وآيات أخرى.. فلو كان بين كل آية وآية بعدها اختلاف لكان هذا أكبر اختلاف في كتاب – معاذ الله!.. لذا كان ما بين كل آية وآيةٍ إحكام منقطع النظير، وكان انعدام الاضطراب أو اختلاف التعارض والتضاد بين الآيتين إنما هو جزء من إعجاز القرآن.. وهذا كما ترى هنا بعدد آيات السورة بل أكثر، بل الإعجاز بين آيات القرآن بعدد آيات القرآن بل أكثر، أوليس أن تجد التوافق بعينيك في كل مرة أمرًا عظيمًا يحقق ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أليس من الهداية أن يهدينا الله لتوافق عظيم.. أليس من رعاية الله للقرآن وأهله وطلابه أن يسهل عليهم الحفظ إلى هذه الدرجة من التسهيل والتيسير؟! أولم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]؟

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨٤]:

❀ **المذكِّر:** سبحان الله! فإنه يغتر البعض بالشيطان وغروره – نعوذ بالله منه – فيقعدون عن القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وانتهت الآية الكريمة.. فتوجه الله ﷻ إلى رسوله بالخطاب الواضح الصريح قائلًا: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإنه سبحانه يأمر رسوله ﷺ أن ينطلق مقاتلًا وحده، ولو لم يكن معه أي أحد.. فإن العجب كيف جعل الله ﷻ الربط للحفظة ما بين الآيتين، بحيث لا يمكن أن يُنسى بإذن الله، وذلك من خلال الكلمة الأخيرة ﴿قَلِيلًا﴾ والكلمة الأولى ﴿فَقَٰتِلْ﴾، فإن السؤال هو: إلى أي حدٍّ يكون التخلف، ويلزم رسول الله ﷺ القتال...؟ أي كم يبلغ عدد الباقين معه ويلزمه ﷺ القتال؟ فجاء الجواب في أول الآية القادمة: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ﴾ أي: إلى الحد الذي لا يبقى أحدٌ معك.. إذن فالجهاد لن ولا ينبغي أن ينقطع أبدًا إلى يوم القيامة... كيف والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ متوافرون لم يَمَسَّ الشيطان منهم أحدًا، ومن مسه الشيطان أعادهم الله ﷻ، كما قال في آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ربنا سبحانه: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ [النساء: ٨٥]:

❀ **المُذَكِّر:** سبحان الله! تأمل كيف خُتمت هذه الآية بقوله: ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ وما تفيض به من إطلالة خفية للحفظة على الآية القادمة ومقاصدها، فإذا بأول تلك الآية قوله سبحانه: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ [النساء: ٨٥].

فمَن هو أشد الناس حاجة للشفاعة بين الناس؟ أهو المظلوم ظلمًا خفيفًا أم هو المنكل به تنكيلًا فعليًّا... هكذا ينبغي للمسلم أن يهرع جادًّا مستنفرًا للشفاعة.. ولهذا كان بعدها ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾، فسبحان الله! ما أعظمه من تسهيل لحفظ القرآن العظيم!

قال ربنا سبحانه: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ﴾ [النساء: ٨٦]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن الختام بالحض على الشفاعة بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ أي متكفلًا بأقوات كل أحد، وكل شيء له قوت، وإن هذا في هذا الموضع ليدل على أن الشفاعة رزق؛ لأنها من الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ:

«إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكمْ أخلاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنكُمْ أَرْزَاقَكمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»(١)، وفي حديث الشفاعة: «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»(٢)، وفي رواية: «ثُمَّ تَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيُشَفِّعُهُمُ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخْرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ بِرَحْمَتِهِ»(٣)، وسبحان الله! وهكذا جاء الله سبحانه في ختام هذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾، وابتدأ الآية القادمة بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦].

ربما تقول: هذه تحتاج إلى فهم قبل الحفظ؟ أقول: وكل القرآن يحتاج إلى فهم.. وهل الحفظ بدون الفهم والتدبر هو الأصل؟ وكأن مَن يقول مثل هذا القول ينكر الفهم، أو أنه يعتبر التفهيم خروجًا عن الأصل، وربنا سبحانه يقول في فضل الفهم وصاحبه: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

المذكِّر الثاني: قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ فإن فيها إشارة إلى الاستعجال بالشفاعة وعدم الانتظار فإنها رزق، والرزق لا يجوز أن يتأخر، فإذا تأخر الرزق عن وقته هلك المحتاج إلى الرزق، ثم إنها من الوقت والتوقيت؛ ولذلك لها وقتها، فإذا تأخرت ذهب وقتها، وربما أُخذ الرجل، وأُخذ المظلوم، ولم يستطع بعد ذلك الخلاص إلا بتكاليف أكبر، وهكذا كانت سُنَّة النبي ﷺ فإنه ينهض من فوره لمَن جاء طلبًا للشفاعة؛ ولهذا يقول القائل: المحتاج أعمى لا

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٩٤)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) رواه مسلم (١٨٣).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (٤٠٤٣١)، والحاكم في المستدرك (٨٧٦٩)، وصححه.

يرى إلا قضاء حاجته، والمؤمن ينبغي أن يكون للناس كما يحب أن يكونوا له، وهذا من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١)، ثم إن هذه الآية قد هيَّأت أعظم تهيئة للآية التي بعدها، وهي قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، فالسلام كذلك لا ينبغي تأخير الجواب عليه، بل أداء الجواب عليه فورًا فإن في التأخير سوء أدب وبعثًا لسوء الظن في النفوس، والعياذ بالله تعالى.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧]:

المذكِّر الأول: فهذه من أخلاق الإسلام التي أمر بإشاعتها، فهو سبحانه يؤكد أن المقصود هو أعظم الرزق وهو الخُلُق الحسن، ثم ختمه الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾، وقد ورد حساب الحسنات على السلام نفسه عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»(٢)، أرأيت كيف جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾؟!

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٤٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١١).

وسبحان الله! الذي ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَسِيبًا﴾ ليبتدئ التالية لها بيوم الحساب، فتتأكد حاجة الإنسان حتى لأمر السلام والكمال في السلام في هذا اليوم لذلك اليوم العظيم.

المذكِّر الثاني: ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَسِيبًا﴾، فالسلام ليس ذِكرًا فرديًّا بين العبد وربه سبحانه، وإنما هو حق مشترك بين اثنين أو مجموعتين مُسَلِّمٌ ومُسَلَّمٌ عليه.. فكم هو يوم الحساب عظيم، وكم هي الحقوق المشتركة عند الله عظيمة، كيف والسلام خاصة شعار أمة الإسلام؟ فالرسول ﷺ عند أول دخوله المدينة ولم يكتب بعد وثيقة المدينة، ولم يضع اللبنة الأولى في بناء الأمة وهو التآخي بين المهاجرين والأنصار وبناء المسجد.. قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1]، فكم في السلام من شيء إذا ما حاسب الله عليه فسيعلم بعض الخلق أي أمر عظيم أخبرهم الله عنه في القرآن فتجاوزوه وعبروه من غير أن يبالوا؛ لهذا جاء بعد هذا السلام ما يوقظ كل غافل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء] فهنيئًا والله لكل طالب حفظ ومحفِّظٍ هذا الهناء والنعماء بهذا الجمال والاتصال بين آيات الله الكريمة وكلماته البحور العظيمة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٤)، وصححه الألباني.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ [النساء: ٨٨]:

❀ **المذكِّر سبحان الله!** ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ إي والله: ومَن أصدق من الله حديثًا! من كلمة ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ لننتقل بعد هذه الآية إلى أكذب الناس حديثًا، وهل من أحدٍ أكذب من المنافقين الذين دينهم إظهار ما لا يبطنون وربنا يقول عنهم: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام]، إنها نقلة إلى نوعية أخرى، وكما قيل:

.... وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ[1]

فالنقلة كانت هنا ما بين ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ وبين قول الله ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾، وستتبعها آيات في المنافقين وكذبهم الفظيع، فلا تنس هذه الآية فالرابط واضح في الانتقال من أصدق الحديث مطلقًا إلى أكذب الحديث... فإن رب العالمين ييسِّر كتابه لحفاظه أعظم التيسير، ولا تناقض فيه أبدًا ولا اختلاف.. بل هذا التيسير الظاهر والباطن، وما كان هكذا لو لم يكن في الأساس تيسيرًا للأفهام وعلى الأفهام.

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني والعشرين لقصيدة للمتنبي مطلعها:

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِي الدُّجَى الرُّقَبَاءُ   إِذْ حَيثُ كُنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

قال فيها: وَنَذِيمُهُم وَبِهِم عَرَفْنَا فَضْلَهُ   وبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ

قال ربنا سبحانه: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [النساء: ٨٩]:

❀ **المذكِّر:** سبحان الله! فالإشارة بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ إلى أنَّ مَن يتبع المنافقين كذلك فلن تجد له سبيلًا؛ ولهذا أظهر الله ﷻ أن محبة المؤمنين خالصة صادقة في هداية المنافقين إلى الحق، إلا أن الله ﷻ يبين في أول الآية القادمة أن هؤلاء المنافقين ليسوا غافلين ولا جاهلين ولا هم منصفون يريدون الحق، أو ينقصهم دليل ويؤمنون، بل هم عدوانيون بالنسبة لكم أيها المؤمنون، فإنهم يأتونكم دعاةً كما أنتم ذاهبون إليهم دعاة.. فكيف تريدون هداية مَن حملوا أقصى درجات الحب لإضلالكم؛ لتكونوا مثلهم ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ﴾ فهل عرفتم لماذا أضلهم الله؟ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾، وهكذا جاءت هذه الآية تعليلًا واضحًا ما بين الآيتين مبينة أن الله لم يظلمهم، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.. فهؤلاء المنافقون لم يختاروا النفاق فحسب، وإنما اختاروا السعي في إضلال المؤمنين طوال الليل والنهار فكم هو الارتباط عميق بين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ مع الآية القادمة بعدها ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٩]، فالحمد لله على هذا الكتاب الذي صبغته التلاوة معنىً ومبنىً، يتلو بعضه بعضًا كأنه ملائكة الله الناصرة مردفين، يتلو بعضها بعضًا مسومين.. بل كلام الله أعظم، والحمد لله رب العالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [النساء: ٩٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! لما بيَّن سبحانه في ختام الآية السابقة: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ فإنه بيَّن هنا أنه لا تصحيح إلا بتغيير السبيل كله، ومن هنا جاءت أهمية الهجرة فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ ولهذا كانت أهمية الهجرة بشكل مخصوص هنا فإنه إن لم تكن الهجرة فالحكم فيهم هو ما قال الله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾، والهجرة هنا أوسع من الهجرة من مكة إلى المدينة.. فتلك انتهت كما أخبر النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»(١)، ذلك أن صراع هؤلاء معكم صراع سبيل، وليس صراع موقف؛ كم تكررت هذه الكلمة تحديدًا في هذه السورة لتحقق الأمر في نفس حافظها وتدبرها، إنه اختلاف مناهج وسبيل، وليس اختلاف دليل؛ لذا قال: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾.. لذلك فلا إمكانية مطلقًا للتعاون مع هؤلاء لو احتجنا إلى ولاية من أحد أو نصرة من أحد فلن نقبلها منهم، ومثل مَن يتبع هؤلاء فهو كمن تبع سبيل بني إسرائيل وهم تائهون في التيه وقد قال الله سبحانه: ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة].

---

(١) رواه مسلم (١٨٦٤).

المذكِّر الثاني: سبحان الله! **هنا يأتي سؤال:** هل هذه القطيعة الكاملة الظاهرة والباطنة مطلقة لكل أحد ماثل منهج المنافقين هؤلاء؟.. فجاء الجواب مباشرة بالنفي بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ﴾ [النساء: ٩٠]؛ فاحفظ هذا الاستثناء القادم، واحفظ الآية الكريمة هذه، ولا تنس موضعها هنا، كما تحفظ حقها فإن بدونه تختلط الأمور والدعاء، ويموج الناس بعضهم ببعض.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ [النساء: ٩١]:

المذكِّر: سبحان الله! لقد ختم الله هذه الآية هنا بقوله: ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ فسبحان من جعل الإحكام بين هذه الآية والتي بعدها هو حمى هؤلاء منا بهذا الحد الفاصل والأمر الحاسم: ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾، فانظروا إلى الآية القادمة، وستعرفون على من جعل الله لكم عليهم سبيلًا؛ ذلك هو ما بيَّنه الله أحسن وأكمل بيانٍ في الآية القادمة، والتي ابتدأها الله ﷻ بقوله: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾.. فلا بد من الربط المحكم في الحفظ بين الآيتين، فإنها بيان حقيقة مشتركة، وإن لهما موقفين متفرقين، كلٌّ هو الحكمة في موضعه فلا هو الإحجام للآيتين ولا هو القتال للآيتين.. فسبحان الله! كم يعلمنا الله الحكمة، وعدم خلط المواقف، وإن كادت المظاهر تتشابه!

قال ربنا سبحانه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٢]:

المذكِّر: سبحان الله! كيف أوحت كلمة الله ﷻ الأخيرة: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ بما سيأتي بعدها، وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾ فكانت الدلالة مقصودة على أنه في موضوع القتل؛ إذ سماه الله في سورة الإسراء ﴿سُلْطَٰنًا﴾، و﴿سُلْطَٰنًا﴾ مع ألف الإطلاق هذه إنما يدل على أنه سلطان عظيم أو مبين أو مطلق، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء]، وهكذا ختمت هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾، وابتدأ الله ﷻ الآية القادمة بقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾ فهل للحفاظ من دليل على هذا الترابط مثل القرآن.. وهل لتيسير الله حفظ القرآن شاهد مثل هذا الشاهد؟ وكثيرًا ما كنت أنسى هذه الآية وتفوتني إذا طال العهد.. أما بعدما عرفت هذا الترابط فقد أصبح استذكارها معادلة رياضية محفوظة مسلَّمة، والحمد لله رب العالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]:

المذكِّر الأول: أفلا يدل هذا التفصيل المحكم في هذا الموضع على ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.. أليس هذا التفصيل في أخطر القضايا، وهو قضية الدماء والأرواح... أليست هذه شهادة حق؟ كما وردت من قبل في أول آيات الميراث، وهي قضايا المال، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء]، كما أن هذا الختام لهذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ على أحكام مماثلة مثل «الواو» في الآية القادمة تدل كذلك على ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وكأنها المعطوفة عليها وارتباطها بها فجاءت ﴿وَمَا كَانَ﴾، فهذا الختام بأسماء الله الحسنى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ إنما تُمثل في هذا الموضع العدل المطلق في الدنيا والآخرة.. فالحمد لله رب العالمين، فهذه من المواضع التي ورد مثلها من قبل؛ إذ كان بأسماء الله الحسنى هذه تحديدًا، فحيث كان بها اختتام آية فإنها نفسها أخذت مقام افتتاح الآية القادمة مثلما مرَّ معنا في الإرث، والحمد لله رب العالمين... وهذا هو التطابق في المعاني، وهذا أسهل ما يكون وأظهر ما يكون في الربط بين الآيتين،

وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، لما ذكر الله ﷻ القتل الخطأ لم يبق إلا أن يذكر ما يقابله، وهو القتل العمد؛ ولهذا اختتمت هذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فكان هذا الاختتام نورًا من أسماء الله الحسنى يطل من خلاله العبد بأن حكم قتل العمد قادم فكان هو أول حكم قادم، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾، فلطالما وجدنا أن قوله سبحانه في هذه السورة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾! بما يعني وجود حكمين متقابلين يقتضيان العلم والحكمة، ويشيران إليهما.

المذكِّر الثاني: قال ربنا سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء]، هذا فيمَن قتل خطأ.. ألا ما أعظم القتل العمد الذي سيأتي ذكره بعد هذه الآية مباشرة! ثم ما أعظم دم المسلم ولو كان خطأ.. ففي كل يوم من أيام الشهرين المتتابعين يتوب مرة أو مرتين.. ويستغفر ما لا يُحصى، ويزفر ويندم، وكل ذلك تربية له؛ لئلا تستدرجه نفسه والشيطان إلى التهاون في هذا الخطأ والخطيئة، فكيف هو الشأن في قتل العمد الذي لم يذكر الله له كفارة.. بينما هنا ختم الله سبحانه الكفارة بقوله سبحانه: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ محققة فلا يُلام هذا المخطئ، وكفاه عقاب الله.. لكي لا يتحطَّم.. فما بعد عقاب الله من عقاب، وما بعد توبة الله من ملامة.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]:

المذكِّر: سبحان الله! لما أخبرنا ربنا ﷻ أنه لعن القاتل ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ فقد بيَّن ﷻ الوقاية من غضبه ولعنته وعقابه في الآية التي بعدها مباشرة، فلقد أعدَّ سبحانه المؤمنين إلى أن يتبينوا تبيُّنًا عظيمًا ويحتاطوا احتياطًا عظيمًا حذرًا من الوقوع في الأمر العظيم، وهو قتل النفس بغير حق، فالأمر في غاية الخطورة في الدنيا والآخرة؛ ولهذا جاءت الآية القادمة قاعدة عظيمة تشمل ما لا يُحصى من صور الحذر إلى يوم القيامة، هكذا هو الإحكام بين الآيتين فيتحقق للمؤمن النجاة، ويتحقق الأمن والسلام، فسبحان الله! كيف جاءت أولًا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٣]، وجاء بعدها مباشرة وكأنها الصريخ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] لتحقق إنقاذ المؤمنين سريعًا؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٩٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ٩٦]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! مما يتوافق الأمر فيه ما بين تسهيل حفظ الآية وتيسيرها، وتحقيق المعنى وإحكامه هو ما نجده هنا؛ فلقد وردت كلمة ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ مرتين، وذلك لعظيم أمر الدماء، فإن البعض يلتبس عليه الأمر فيظن أنها وردت مرة واحدة، بل لشدة التحذير فقد وردت مرتين ﴿إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾، وختمت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ خبير سبحانه بمن تبين حقًّا ممن لم يتبين، وخبير سبحانه بمن قعد عن الجهاد في سبيل الله بعذرٍ باطل كالاعتذار بخشية قتل مسلم، أو إن كان من أهل الأعذار الحقيقيين، وهذا ما ورد في الآية القادمة.

المذكِّر الثاني: وسبحان الله! كم يبالغ الإنسان في الاحتياط، ويتكلف فيه حتى يقع فيما يغضب الله سبحانه، وعلى الأخص في موضوع الدماء؛ فالله ﷻ يقول هنا في ختام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ فلعل رجلًا هنا ومن باب الاحتياط يتخذ قراره بترك الجهاد في سبيل الله حذرًا من أن يقع المسلم في قتل مسلم آخر، فكان الجواب في ختام هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ فالله سبحانه

أعلم وأخبر بنياتكم، وأعلم بما تصيبون وأنتم لا تعلمون، وأعلم سبحانه بقعودكم وحقيقته من جهادكم.. بهذا ختمت هذه الآية لتهيئ لحكم الله الفاصل، كما تهيئ لقاعدة عامة في القعود بعذرٍ عن الجهاد في سبيل الله، فكانت الآية القادمة ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فقد قطعت هذه الآية فلسفة القعود عن الجهاد بغير عذرٍ حقيقي صادق.

سبحان الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فكم يتغلغل هذا الختام في جنبات التصرفات وزوايا الأقوال وحقائق النيات... إنه العجب... كم هو العجب مستمر من تهيئتها للآيات القادمة، فكل آية تدق بابها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! كم تتطلع النفوس لأن تعرف الفارق تحديدًا بينهما، فلعلها تعوضه على أن ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلا أن ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ومع هذا كم يبلغ الفارق الذي أشار الله له بقوله: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ فهذا مما يثير النفس والطموح لمعرفة التفضيل بالتفصيل الذي أشار الله له، فجاء الجواب:

ليست درجة واحدة حتى تعرف بل هي ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾، فسبحان الله! كيف ارتبطت الآيتان للحفاظ والمتدبرين حتى كأنهما آية واحدة! وفي حديث أم حارثة عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ(١)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَسَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ لَهَا: «**هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى**»(٢)، وفي الحديث الآخر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ النَّضْرِ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ ابْنُهَا حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَارِثَةَ، لَئِنْ كَانَ أَصَابَ خَيْرًا احْتَسَبْتُ وَصَبَرْتُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الْخَيْرَ اجْتَهَدْتُ فِي الدُّعَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي جَنَّةٍ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى**»(٣).

المذكِّر الثاني: سبحان الله العظيم! حين ينظر طالب الحفظ؛ إذ هو يقرأ في قول الله ﷻ: ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ في ختام ذكر أهل الجهاد المعذورين بتركه وقوله سبحانه: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يعلم هنا أنه لم يبق أحدٌ من المؤمنين؛ إذ المؤمنون الحق بالنسبة للجهاد إما مجاهد وإما معذور قد عذره الله، إذن فلم يبق إلا أن يتحول الحديث إلى سواهم.. ومَن سواهم إلا مَن تركوا الجهاد وتركوا الهجرة، فتركتهم مغفرة الله ورحمته، وكانت هذه الآية ليست لهم أبدًا، إنما حقهم هو ضد المغفرة والرحمة، وهو ضد ما جاء في الآية القادمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾.

فسبحان الله! فإن ترتيب آيات الله ﷻ كالمعادلة الرياضية اليقينية.. المسلَّمة النتيجة، بل هي أعظم يقين، فاللهم زدنا إيمانًا ويقينًا ونقًّا.

(١) أي: بِسَهْمٍ لم يُعرفْ مَصْدَرُه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٧٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٩٨]، وقوله سبحانه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٩٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإنهم حين احتجُّوا لقعودهم بـ ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وما هم بمستضعفين؛ لذا فإن ملائكة الله تكذِّبهم وتُقَرِّعهم عند موتهم في ديارهم التي أَسَرَتْهم عن الهجرة في سبيل الله، وقد وجبت عليهم؛ فرضوا بالفتنة ما دامت في البلاد، ولم يرضوا بالهجرة، وفيها الثبات على الحق، ومرضاة الله ورسوله ﷺ، فالأرض ليست أرضك ولا أرض آبائك، وإنما هي أرض الله ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ﴾؛ ولهذا فإن في تقريع الملائكة لهم عند الموت في بلدانهم ومأواهم عقابًا من جنس عملهم، قال الله عنهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ فإن كان هذا الموقع مأواكم فلا ترحلوا عنه اليوم إلى الدار الآخرة.. والجزاء لكم من جنس العمل، فمأوى الفتنة الذي اخترتموه مأوى في جهنم؛ ولذا فإن ملائكة الله ﷻ تردها عليهم حسب قولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ فلا أنتم ثبتم وصرتم، ولا أنتم هاجرتم، فبناءً على هذا فإن المأوى الذي اخترتموه إنما هو ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾، وما كان الله سبحانه وهو العليم الخبير أن يحكم بهذا المصير على الجميع، ومنهم المستضعفون حقيقة، فكانت هذه الكلمة مربوطة بإحكام من الله بما بعدها من

آية، فجاء قوله بعدها: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾، فما كان للحافظ لكتاب الله أن ينسى هذا الاستثناء بعد هذا الحكم الحكيم الصارم، فهل ينسى المؤمن الحافظ المستضعفين الحقيقيين من الرجال والنساء والولدان؟ لذا فقد كانت آية استثناء المستضعفين القادمة ضرورة.

المذكِّر الثاني: حين نتخطى الفاصلة ما بين الآيتين، وننظر إلى الآية التي مضت فإذا بأول الآية القادمة قوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ فإنك تعرف لِمَ اختتمت الآية السابقة عليها بقوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ فلقد ساء مصيرًا بقاء هؤلاء المستضعفين في بلد الفتنة والاستضعاف، ومن ثم كان هذا بداية العلم بالعفو عنهم، كما هو بداية التحريض على إنقاذهم.

المذكر الثالث: سبحان الله! فوصف هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان بأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فهذا الشرط يجب ألا ينسى عند الحفظ، كما كنا ننساه في الواقع، فإننا حين ننساه يضيع منا الحفظ كما يضيع حكم الله الحق المبين، كما يضيع هؤلاء المستضعفون إذا تركوا رباطهم وساحوا في بلاد العالمين... فالهجرة لا تجوز لمَن يستطيعون حيلة ويهتدون سبيلًا، وهم مرابطون في ديارهم، وإلا كانوا فارين من الرباط، وبهذا يفرح العدو حيث تُفَرَّغ أرض الإسلام لأعداء الله، وتخلو من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.. ولهذا جمع الله لهؤلاء الثابتين العفو والمغفرة معًا ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة]، وحديث عائشة ﵂: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المذكر الرابع: وسبحان الله! فإن ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾ تنبئ عن فتح كبير بعدها، فلقد عقَّب الله عليها بالنصر، وذلك في كنز القرآن الثاني وهو خاتمة البقرة بعد الكنز الأول وهو أم الكتاب، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهكذا أطلَّ نبأ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ على ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء]..

قال ربنا سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]:

المذكر الأول: مع أن الله سبحانه قال في الختام: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ إلا أنه سبحانه قال قبلها: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، وعسى للرجاء، والرجاء هنا له حكمة عظيمة تدل على تغيُّر الحكم بتغير الحال.. والرجاء بالله متحقق، فعسى الصغير يكبر، وعسى المحصور اليوم يُفك عنه حصاره، وعسى ظروف الحياة تتغير، وعسى الظلم يزول، وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، وعسى الدائرة تدور على الظالمين.

المذكِّر الثاني: لقد جاءت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ في ختام الآية ليست رجاءً فحسب، بل هي الحق المبين لمَن يهاجر، فكانت هي مفتاح الآية القادمة وهي الهجرة، وكانت تحمل أعظم الترغيب في الهجرة، فاربط هذه بهذه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ

عَفُوًّا غَفُورًا﴾، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهكذا فإنك حين تنظر إلى الآية الماضية من الآية الجديدة فإنك ستنظر لها بنظرة جديدة، ويسعفك ربك بعلم جديد وبيان جديد وإحكام بين الآيات جديد، وتسهيل للحفظ جديد لم يمرّ عليك من قبل.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فلم يذكر الله سبحانه: ما أَجْرُ مَن خرج من مأواه في الدنيا فرارًا إلى الله؟ فإذا بالله يختم الآية قبلها بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ويجعلها بشارة لما سيأتي من جزاء في الدنيا وهو ما ذكره في هذه الآية، وكم هذه البشارة مع هذه الآية الكريمة وختامها كذلك مهم وضروري لمَن رضي بالاغتراب فرارًا بدينه؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ بِالْـمَدِينَةِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا لَيْتَهُ مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ»(١)، سبحان الله! فهكذا تحمل أسماء الله الحسنى البشائر، وهي بذكرها وحدها بشائر، ويترك ربنا سبحانه تفصيل البشائر للبشير النذير ﷺ.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٦٥٦)، وحسَّنه الأرنؤوط.

المذكر الثاني: سبحان الله! فإن ختام آيات الاغتراب لله لا تعني أن بعد الأجر والمغفرة والرحمة ترك العمل الصالح للمغترب ليس اتكالًا وإنما تواكل قوله في الختام: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فلقد جاء الله سبحانه بآية عظيمة بعدها مباشرة، وجاء الله فيها بأعظم المغتربين وهم المجاهدون المهاجرون المسافرون وبيَّن ضرورة الصلاة لهم، وأنها لا تسقط منهم، وإن اشتدت الأحوال بأهوال، وإن اختلفت الكيفيات كما في الآيات القادمة.. فهل عرفنا الآن الإحكام العظيم في هذا الترتيب ما بين هذه الآية ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما بعدها من قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٠١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]:

المذكِّر الأول: فلقد ختم الله ﷻ هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ ليجيء بعدها مباشرة ما لا يمكن أن ننساه.. وهل يمكن أن ينسى مسلم رسول الله ﷺ، فجاء الخطاب بقوله سبحانه لرسوله ﷺ مخاطبًا: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ﴾ فكل مَن صلَّى مثل هذه الصلاة فلكأن رسول الله ﷺ إمامه... أولو لم يقدم الله ﷻ ذكره في كل شيء هنا، ثم جمع الله له لجميع المؤمنين في الآية في جميع العصور ألم يقل الله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما جمع الكافرين جميعًا في العداوة لكم جميعًا؟

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فكأن هذا الختام العظيم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ جاء تعليلًا لتشريع صلاة الخوف في هذه الآية، كما جاء تعليلًا لكيفية صلاة الخوف في الآية القادمة، والتي ابتدأها الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]، فسبحان الله! كيف جعل خواتيم الآيات والآيات كلها مسكًا، كما جعل ذات الخواتيم مفاتيح لمواضيع الآيات التي تعقبها.. فمن رآها كخواتيم رآها نورًا، ومن يرها كمفاتيح رآها نورًا، ومَن أعطى كل موضع حقه فقد رأى نورًا على نور، وتيسيرًا على تيسير، وإحكامًا على إحكام، وتفصيلًا بعد إحكام.

نعم إن قوله سبحانه في الآية القادمة: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ جاءت كالتعليل لقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ فإن هذا أدعى لإبطال كيدهم.. فإقامة الصلاة تبطل كيدهم كما ورد من الأمر بالأذان إذا خاف الإنسان طغيان الجن والشياطين - نعوذ بالله منهم - كما في الحديث: «وَإِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلَانُ، فَبَادَرُوا بِالْأَذَانِ»(١)، وقد ورد فرار الشيطان عند الأذان للصلاة، وفراره عند إقامة الصلاة، كما في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٤٢٧٧) عن جابر بن عبد الله ﵄، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١٣) رقم (٥٢٩٦): رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) رواه البخاري (٦٠٨).

المذكِّر الثالث: سبحان الله! لما كان أمر الجهاد والقتال مبناه على عنصر المفاجأة، فلقد جاءت ﴿وَإِذَا﴾ مرتين متتابعتين ففي هذه الآية آية الضرب في الأرض، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وبعدها مباشرة آية إقامة الصلاة في الجهاد وكيفيتها قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ومن ذكر الأولى ذكر صاحبتها فلا تفصل بين مجتمعين.. فإن ذكرت ذلك لم تنسهما بإذن الله أبدًا.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! هكذا هو ربنا معنا في أدق تفاصيل حياتنا.. هكذا هو ربنا يفصِّل لنا الكيفيات الدقيقة للصلوات. نعم الجهاد عظيم، وثمة طرق أخرى لصلاة الخوف، ومع هذه فهذه هي الأصل.. والله سبحانه هو العظيم فلندقِّق في هذه الآية، ولْننعم النظر في كلمات الله.. فإن فيها جوابًا لأهل الإلحاد، وجوابًا لأهل الشرك، وجوابًا لكل مَن لا يؤمن بالله أو يزعم ذلك.. فهذا هو ربنا يعلِّمنا يفصِّل لنا.

هكذا يقسِّمنا ربنا ﷻ وينظِّمنا... فالأمر الأول هو أن يتقدَّمكم الرسول ﷺ.. تقدُّمًا حقيقيًّا في حياته، أو تقدُّمًا مجازيًّا بعد موته تشريفًا لكل مَن أدَّى هذه الصلاة.. فالله سبحانه يفصِّلها، ورسول الله ﷺ يتقدَّم لها، وقد ورد فيها: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ أَسۡلِحَتَهُمۡ﴾ أول مرة، ثم ورد: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ﴾ في الثانية مقدِّمًا الحذر على الأسلحة، وفي الثالثة: ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ﴾ لكن ﴿وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ﴾ فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ﴾، فانتبه لهذه الآية فإن فيها آيات وآيات.. وانتبه لهذه المواضع التي ذُكرت فإن تثبيتها يمنع اختلاط الحفظ.. ومَن صعب عليه حفظها فليصلها مع شيخه وطلابه.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فلقد فصَّل الله ﷻ صلاة الخوف تفصيلًا دقيقًا على الجهاد في سبيل الله على أنها قطعة من المصاولة والمجاولة ونموذج جامع مع ما بين الرباط والجهاد، ثم ختمها الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾، وهذا الختام يدل على ثمرة هذه الصلاة الغالية في تلك اللحظات الإيمانية العالية.

سبحان الله! فإن من غيرة الله على المؤمنين المصلين في الحرب والخوف أن يرفع شأنهم ويهين أعداءهم.. فلقد وقفوا في الصلاة بين يديه والنصر بيديه؛ فكانت المعادلة محسومة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

المذكِّر الثالث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء]، فإن أول ما تؤدونه بعد الجهاد هو الصلاة، وأول ما تؤدونه بعد النصر هو الصلاة وذِكر الله كثيرًا.. وأول مذكور في الآية بعد الأمر بابتغاء القوم هو الصلاة، فإن أناسًا أخذتهم الغفلة والغرور، ونسوا الله، ونسوا الصلاة وذِكر الله فذاقوا مصيرًا مهينًا، ومثل الحال ما كان الله ﷻ يحذِّر منه الأنبياء عند مجيء نصرهم ونزول العذاب على عدوهم ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس]، وقال سبحانه: ﴿قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

أرأيتم كيف أصبح ترابط آخر الآية بأول الآية القادمة تذكيرًا خطيرًا لا يدرك حقيقته إلا المؤمنون المشفقون ما بين قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء]؟!

قال ربنا سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الأول: وسبحان الله! فإن الله سبحانه قد حكم بالقضاء على المشركين بهذه الصلاة خاصة مع كل ما سبقها؛ ولهذا أوصى الله هؤلاء المصلين أنفسهم بذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ولا توقف عن هذا حتى يقضى على العدو أو يفر، وهنا الرباط العظيم يُظْهِرُ لك البشارة فقد ربطت ما بين الصلاة والجهاد، فكما قال الله ﷻ هنا في ختام هذه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾، فقد جعل للنصر كتابًا موقوتًا، فقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وهكذا جاء بعد هذه الآية مباشرة أبشع صورة لهزيمة العدو، وذلك حين يسلمون ظهورهم للمسلمين، فيركب المسلمون أكتافهم ضربًا بالسيف أو الرصاص أو أسرًا، وإلا فما يعني قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤]؟ أرأيت كيف نبع الفتح في أول هذه الآية

بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؟! فالصلاة الصلاة.. والصلاة في الرباط وفي المعركة مفتاح النصر الذي ليس مثله مفتاح، ولقد تحقق النصر في الآية القادمة ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ فهل تنسَ مثل هذه وهي اللحظة المنتظرة؟ والحمد لله رب العالمين.

المذكِّر الثاني: هكذا اختتم الله ﷻ هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ لا شك أن هذه الصلاة يأخذ المؤمن فيها وقته وزيادة؛ لأن في ذلك عبادة ولذة لا نظير لها، وربما هو أحوج ما يكون الآن إليها؛ فلذلك الله ﷻ قال: ليس هذا هو الأصل، إنما الأصل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ فإذا لم يكن يسعكم إقامة الصلاة قيامًا وقعودًا، وما إلى ذلك فلْتصلوها وأنتم مشاة، أو وأنتم ركبان، أو وأنتم تجرون وتركضون ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ إلى آخر الآيات، فناسب هذه أعظم مناسبة ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٣،١٠٤]، فكما جعل الله سبحانه للصلاة وقتًا فأَدْركوا وقتها قبل أن تفلت منكم، فلتدركوا العدو قبل أن يفلت منكم، فأي تعظيم لشأن الجهاد حتى يربطه الله بالصلاة، وأي شأن عظيم للحظة حسم المعركة والإجهاز على العدو وعدم التهاون فيها وعلى الأخص عند ظهور علامات النصر حتى يربط فوات العدو بفوات الركن الأعظم وهو الصلاة عن وقتها، وإدراك العدو بإدراك الصلاة، والله أعلم.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]:

المذكر الأول: سبحان الله! كيف أشار بالبشرى بالنصر للمؤمنين؛ إذ قال في أمر الصلاة في الخوف أو الجهاد: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾؛ لئلا يستبطئ المؤمنون النصر ولا يملوا من الصلاة والدعاء والاستغاثة، ولا يستكثروا الآلام، ولا يستعظموا التضحيات والخسائر فذلك لا يؤخِّر موعد الله الموقوت إذا وصل وقته وهو حق لا ريب.. ولكن تأخُّره - كما تظنون - إنما هو لحكمة بالغة، ومنها تطهير صفوفكم، وتعظيم أجوركم، وزيادة آثامهم المهلكة لهم، فسبحان مَن ختم هذه الآيات بقوله سبحانه: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾! فما أحسنه من ختام لهذا المقام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾!

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ربط هذه الآية بالآية القادمة يظهر ألا توقف للجهاد إلا إلى الحد الذي ذكر الله بقوله في سورة البقرة: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وحتى يتحقق مقتضى قوله سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ويحقق المسلمون عبوديتها، وأثرها في الأرض، وماذا يعني هذا أكثر وأظهر من إقامة شرع الله، وهذا يتجلى أعظم التجلي في الآية القادمة حين ابتدأها الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، وهذا ما لا ينبغي للطالب والحافظ أن ينساه من ترتيب عظيم؛ إذ ماذا بعدما فرَّ العدو كما ذكر الله

ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ هل من توقف بعدما فرَّ القوم وهلكوا أم ننتظر عدوًّا آخر؟ والجواب: بل هو ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. فما الجهاد إلا وسيلة لإقامة العدل والحكم بعلم أو العلم والحكم في الخلق... وهكذا يتأكد الختام بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بأنه الختام والابتداء المشترك بين الآيتين الكريمتين، كما مرَّ معنا ذلك في هذه السورة خاصة في كل مرة سابقة ولاحقة بإذن الله تعالى.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٦] إلى آخر الآيات:

المذكر الأول: سبحان الله! تنبَّه أيها الحافظ، فإنه لا أمر أعظم بعد الابتداء بإقامة القرآن منها في حياة الناس إلا أن يُحرس القرآن العظيم أعظم حراسة، وأول الحراسة الحراسة من أهواء من يقوم بهذا.. ولهذا خاطب بهذا رسول الله ﷺ وهو أبعد ما يكون عنه فقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء].. وهذا ما تتحدث عنه الآيات الثماني القادمة فاحفظها لوحدة غايتها فلكأنها آية واحدة.. فهاك هذه الآية التي أرجو أن تتقن حفظها، ولا ترتاب في قدرتك أبدًا.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾، وحاشاه ﷺ أن يكون كذلك، ثم خاطب رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء]، ثم خاطبه ثالثة فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا

أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ [النساء]، فلا تنسَ تدرُّج هذه الآيات الثلاث.. وهي تُنبئك بحاجة مَن يقيم الكتاب العزيز في الناس إلى الاستغفار، وتنبئك أن كل ما ذكر في مخالفات من ولي الأمر مستحيلة على رسول الله ﷺ، لكنها ربما تكون حقيقية على سواه، وقد ذكرنا من قبل ترابط المعاني بكلمات تحمل حرف الخاء ومعانيها مكروهًا، وذلك عند قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء]، مع قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧].

وإن الاستغفار مع إقامة ما أنزل الله ليدل على عظمة الحكم بما أنزل الله؛ إذ هو العبادة الجامعة للعبادات، وهو المظلة لإقامة العبادات كاملة، وإقامة حياة المسلم والأسرة والمجتمع وحياة الناس، فإن رب العالمين شرع الاستغفار بعد الصلاة، كما ورد في السُّنَّة، وشرعه بعد النصر والفتح المبين، وشرعه بعد الحج وقضاء المناسك وهكذا... فكيف والحكم متعلق بحياة الناس، وفيه نصيب كبير من الاجتهاد، وفيه الإدلاء بالحجج مع وجود العواطف في النفوس، كيف وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(١)... فالله يحذرنا منها، ويأمرنا بإدامة الاستغفار منها، وتشتد الحاجة للاستغفار لولي الأمر؛ لأنها أمور تقع عليه عند تطبيق شرع الله، أما ما لا ينفع معه استغفار ولا سواه فهو دعوى اجتهاد العدل من غير كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ من مصادر تشريع أخرى.. فذلك هو من ختمت به وبأمثاله الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، وهذا الختام لهذه الآية هو من هيأ التعريف بأعمالهم القادمة؛ ولذا ابتدأ الآية التي تليها بـ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ

(١) رواه البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣) باختلاف يسير.

إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾، ومن نظر في الآية القادمة والتي بعدها بمنظار هذا العصر وجد أن للقرآن العظيم هيبته العظمى في الأمة حتى أنهم إذا أرادوا الأخذ من سواه أو تركه أو نحو ذلك فإنهم لا يستطيعون فعل ذلك علانيةً، بل هم يتخفون وراءه، وأنهم معه ويبيِّتون ويخطِّطون.

المذكِّر الثاني: ما بين الختام بقوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]، وبين الابتداء بقوله سبحانه: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٩]:

سبحان الله! فإن أول كلمة بعد ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ شاهدة شهادة مَن سمع وحضر وشَاهَدَ، وأنه أحاط بكم كامل الإحاطة ظاهرة وباطنة، وأنكم ما غبتم عنه لحظة ولا لفظة ظاهرة وباطنة، وأي عبارة تعبِّر عن الإحاطة الكاملة للمخاطبين من قول الله العلي العظيم لعباده المخاطبين: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، ثم يقول لهم عملهم وقولهم ونياتهم: ﴿جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ثم يذكر الأمر نفسه في الآخرة وأن الأمر لن يُنسى ولن يمر فيقول: ﴿ فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾... إذن فإذا ختمت بقول الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ فاذكر أن بعدها هي الشهادة من حياتكم أنتم لتوقنوا بذلك فليس أقرب للإشارة للحاضر والمشاهد من أن يقول سبحانه بعدها: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٠٩].

المذكِّر الثالث: هو حرف ﴿ مَن ﴾ بين الآيات الأربع:

المذكر الرابع: سبحان الله! فمن جماليات كلمات الله ﷻ وكل جمال وجلال الأحرف والكلمات التي تتكرر في الآيات المتتابعة، وهذه من أعظم ما يسهِّل الحفظ ويحفظه، على سبيل المثال في هذه الآيات تكرار كلمة ﴿مَن﴾، ﴿فَمَن﴾، ﴿أَم مَّن﴾، ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ﴾، ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمًا﴾، ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً ﴾ فاقرأ الآيات الآن، ومتِّع قلبك قبل ناظريك.

قال ربنا سبحانه: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن
يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا
أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا
يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ
بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: ١١٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ ﴾ [النساء: ١١٣]:

❀ **المذكِّر:** لما ذكر الله ﷻ جدال هؤلاء في الآيات السابقة وكسبهم الإثم، ورميهم البرآء، وهو ما ورد في الآية الأخيرة: فإن أعظم الخطر هو أن يصيب هؤلاء برميهم التهم أعظم بريء وهو رسول الله ﷺ أو دينه الذي جاء به فجاءت الآية القادمة تبيِّن أن رسول الله ﷺ وما أنزل الله عليه من الكتاب والحكمة وما علَّمه الله ما لم يكن يعلم في حفظ الله وحرزه ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾.

وهذا إنما يعني حفظ كل مَن قام مقام رسول الله ﷺ في الحكم، وإقامة ما أنزل الله.. فإن قوله: ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ وعلى مَن اتبعك في هذا، فهم أشد ما يكونون حاجة لحفظ الله وحرزه.. وما من أحدٍ يتعرض للطعن والسهام المصوَّبة مثل مَن أراد إقامة حكم الله سبحانه.. وهذا بعض ما تدل عليه الآية الكريمة.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [النساء: ١١٤]:

المذكر الأول: لقد أحاط الله ﷻ رسوله ﷺ بفضله في أول هذه الآيات وفي آخرها، فقال سبحانه في أولها: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، وقال في آخرها: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، ومن هذا تحديدًا في هذا الموطن يتبين لنا أن رسول الله ﷺ لم يمسه شيء مما ذكر أبدًا في الآيات السابقة حتى ما عملوه له من السحر أو غيره فإنه لم يمس شيئًا مما أنزل الله عليه ولا سنته؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾، ولقد جاءت هذه التحذيرات التي خاطب الله بها رسول الله ﷺ، وليس بعد هذا البيان لشدة خطورتها من بيان.. إنما جاء لإيصال رسالة إلى كل الأمة والمعنيين على وجه الخصوص بأخذ أشد الحذر والحيطة منهم، وأنه لا بد من كثرة الاستغفار الحقيقي، والرجوع إلى الحق، والاستعانة بالله سبحانه، وكان في ابتداء الآية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾، وكان فيها أعظم الفضل بالحفظ من خطر هؤلاء، والفضل بإنزال الكتاب والحكمة، وعَلَّمك ما لم تكن تعلم، وكان في ختام هذه الآية ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ هكذا مطلقًا، وكان في هذا الختام

أحسن مطلع للآية القادمة والتي فيها أعمال هي من فضل الله العظيم، فقال سبحانه في أول الآية القادمة: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، والتي ختمت بأنسب ما يناسب هذا، وهو قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

المذكِّر الثاني: فالله سبحانه ذكر بكل وضوحٍ هنا فضله العظيم على رسوله وسبب ذلك إلا أنه سبحانه ذكر بعد ذلك عن آخرين أنه لا خير في كثير من نجواهم إلا ثلاثة.. وهؤلاء قطعًا ليسوا هم أصحاب رسول الله ﷺ، ولا مَن بعدهم، ولا مَن بعدهم، نعم وُجد آحاد منهم هنا وهنالك، إنما هم مَن في عصرنا هذا، فهذا الاستثناء لعصرنا هذا - والله أعلم - لأنه العصر المنفرد عن عدم إقامة أمة محمد ﷺ ما أنزل الله، فلقد ذكر الله ﷻ قبل آيات غاية إنزال القرآن بكل وضوح وهو الحكم به؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء]، ثم ذكر سبحانه آيات ثم عاد، وذكر هنا سبحانه إنزال الكتاب والحكمة، وبعدها ذكر سبحانه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾.. وهذه واضحة أنها أعمال فردية، وما هذا إلا لذهاب الحكم بما أنزل الله تمامًا من الحياة.. وهذه الثلاث هي أفضل الأعمال المتعدية الفردية إذا ذهب حكم الأمة بما أنزل الله، والمعنى: أنهم إذا تركوا ما أنزل الله عليك والحكم به - وهو فضل الله العظيم عليك - فلا خير فيهم إلا فيمَن ذُكر من عاملين وآحاد معدودين، كما هو الشأن الآن.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥]:

المذكِّر الأول: هؤلاء أناس من المسلمين أَهُمْ طائفة في هذه الأمة؟ أم هم يمثلون مرحلة في عمر هذه الأمة؟ أم هذه حالة تحدث إذا ذهب منهم تشريع الله فيبقون هكذا، ومن ذكر هنا هم أفضلهم؟ وقد وردت في هذا الحال أحاديث في آخر هذه الأمة، كما هو الحال فالمهم أن الله ﷻ لم يحددهم... عندهم نجوى كثيرة وحديث كثير، لكنه كله لا خير فيه إلا فيما ذكر الله ﷻ من ثلاثة أشياء وهي غير مقبولة إلا بشرطها الذي ختمها بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فالله ﷻ تحدث عن هؤلاء الذين ليس عندهم في زمانهم إلا اللغط والهذر، وقد تركوا كتاب الله كمنهج حياة وسنة رسول الله ﷺ كمنهج للعالمين... وإلا لو أقاموا القرآن والسنة، وما أنزل الله ما كانت الخيرات إلا ثلاثة، وكلها أعمال متعدية، وليست فردية ومع محدوديتها إلا أنها في وقتهم أفضل الأعمال، وهذه في الحقيقة في وقتنا هذا أفضل الأعمال.. وهنا تنبَّه إلى أن الله ﷻ قد ذكر بعدها منهجًا قائمًا هو منهج مضاد لمنهج رسول الله ﷺ، ولا يتبع هداه، ولا يتبع سبيل المؤمنين كأمة فهذا شرُّ الخلق فالله يتركه على ولايته ما شاء الله له أن يتركه ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ ثم ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الثاني: سبحان الله! إن الرابط ما بين هاتين الآيتين من الوضوح بفضل الله وحده ما يكاد ينطق أن المقصود هنا، إنما هو هذا الزمان، فلقد ختم الله ﷻ الآية السابقة والتي اختصت بأعمال فردية بعد أن ذهب الحكم بما أنزل الله عنها كأمة بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾؛ ولأن العمل فردي فقد جاء الخطاب للأفراد في الكتاب، كما في هذه الآية: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ﴾ ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ﴾، وكذلك في السُّنَّة، ويفسره حديث النبي ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: «أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ»(١)، فهذه فصَّلت أجور العاملين في هذه المرحلة كأفراد بأعمال متعدية للآخرين.. فهم مَن يقومون مقام الأمة؛ إذ ذهبت الإمامة، وهنا يأتي سؤال واضح ومعلوم، فيكون الجواب واضحًا خاصًّا في هؤلاء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦]:

المذكِّر الأول: وسبحان الله! فلقد ختمت هذه الآية الكريمة ختامًا تدل على أن هؤلاء هم أعظم شرًّا على الإطلاق، فأي الناس أشرّ من هؤلاء؟ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ فإن من يشاقق الرسول إنما هو في الأصل في عهده ووقته ﷺ، وأما من يتبع غير سبيل المؤمنين فبعد عهده - وهذا هو الأصل - وسبيل المؤمنين لا يكون له اعتبار إلا أن يكون هو سبيل الرسول حتى من بعد عهده ﷺ، وإلا فلو شاق الرسول ﷺ من في الأرض جميعًا لا يبالي الله بهم؛ لهذا قال الله ﷻ: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ كان من كان.. وكان واحدًا أم أكثر فالعبرة بالرسول ﷺ، ولكأن باب جهنم انفتح على الذين شاقوا الرسول فجاء العقاب الذي يناسبهم وهو الشرك بالله، وجاء المشرِّع الأشر وهو الشيطان نعوذ بالله منه، فجاء قول الله ﷻ في الآية القادمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾.

المذكِّر الثاني: هنا لم يذكر الله آلهة ولا أشكالًا لإله، إنما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾.. لكنه سبحانه بيَّن أن مَن يشرك بالله ولو كان بعمل الشرك ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾، وإذا أردت بيانها فستجدها مفصَّلة تفصيلًا بكلمات الله التامات، والتي يصعب الإطالة بها هنا.. وذلك في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، فالضلال البعيد

يحكم عليه بالبعد وبمدى بُعْده عن المصدر والمحور، وهو رسول الله ﷺ، وأشد ما يكون البعد الشرك بالله؛ لأنه أعظم ما بعث رسول الله ﷺ لتغييره، فقوله في الختام مع الابتداء جاء هكذا: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء]، فأسوأ مصير لأسوأ الناس وهم مَن أشركوا بالله.. وهؤلاء المتأخرون يلتحقون بالأولين في جهنم وساءت مصيرًا، والحمد لله أن الله ﷻ لم يحدِّد في الآية الكريمة نوع الشرك وهو العليم الحكيم، بل على العكس من ذلك حيث جعله مبنيًّا للمجهول فقال: ﴿يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ليعم أنواعه جميعًا معروفة لدى الناس وقت نزول القرآن، أو مبتكرة إلى يوم القيامة.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧]:

شطر هذه الآية الكريمة الأخير يهيِّئك إلى معرفة الآيات القادمة كلها... فإن السؤال المعتاد في مثل هذا الختام الذي قال الله فيه: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ أن تقول: فما ذلك الضلال البعيد؟ فيأتيك الجواب: الذي فيه ذكر الضلال البعيد، وليس هو مجرد الضلال، ويأتيك مفصَّلًا تفصيلًا.. ومشخَّصًا تشخيصًا.. لم يذكر هنا إن كانت هذه آلهة بشرية أم حجرية، والظاهر أنها بشرية أنثوية بدليل أنها جاءت جديدة متجددة تقوم في مقابل منهج النبي ﷺ مشاقة لمنهجه؛ ولأنه يتولاها من يشاقق منهج الرسول ﷺ، وهذا لا يمكن أن تضعه أصنام حجرية ولا الجاهلية ثم تلك

مرحلة ولَّت، ولم يعد لها ذكر، فالذي يقود هؤلاء الإناث الآلهة هو الشيطان المَريد الذي يدعونه هؤلاء وهو يجيبهم.. وما أحسب إلا أن هذه الآيات معجزة من معجزات الله ﷻ في هذا الكتاب المعجز، وأننا في عصر الآلهة البشرية الأنثوية، بل لقد حصر الله ﷻ الآلهة بالإلهية الأنثوية كما في الآية القادمة... وهذا أسهل ما يسهل عليك ترتيب الآيات.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩]:

المذكِّر الأول: ما هي أول ردة فعل على لسان أي مسلم إذا سمع اسم الشيطان؟ فإن الجواب الفوري الحاضر هو أن يقول: لعنه الله؛ فالمسلمون هم أمة القرآن وهم ما أخذوها إلا من كلام ربهم ﷻ فتأمل الآية ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء]، والبعض صرف اللعنة عن الشيطان، وهذا من مبالغات أهل هذا الزمان فأصبحوا لا يذكرون الشيطان باللعنة، ولكنهم يقولون: نعوذ بالله منه، وعماد هذا على الحديث عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ رَجُل، عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَثَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ حِمَارُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى

يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[1]، وهذا حق، ولكن هل في كلمة ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ مدح للشيطان؟ هل ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ تعظيم لشأنه؟! إنها أصعب شيء على الشيطان لعنه الله، إنها لعنة الله عليه وهو يعلم تمامًا حين لعنه الله أول مرة ماذا حدث له، وماذا ينتظره في كل لحظة، وأي مصير ينتظره يوم القيامة، فاللعنة لا تنفي الاستعاذة بالله منهم، أما الخطأ العظيم فهو أن ينهى البعض عن اللعنة، وقد أثبتها الله في مواطن من كتابه الكريم، إنها إخبار أنها دعوة تصدق عليها الملائكة، وتؤمِّن عليها، فهل يمكن أن تنسى بعد هذا إذا ما قرأت: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ أن وراءها ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾؟

المذكِّر الثاني: يجب أن يفيق البشر هنا إلى أنهم ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ وأنتم أيها الناس لم يلعنكم الله فلم تتبعونه وقد لعنه الله؟

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [النساء: ١٢٠]:

المذكِّر: سبحان الله! ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ نعم، فمن خلال الكلمة الأخيرة ﴿مُّبِينًا ﴾ تجلى المعنى القادم وهو أن الشيطان مفضوح حتى عند صاحبه فهو ليس عنده إلا ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾، والإنسان عاقل فكيف تمر عليه ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ ويكرر ذلك عليه في كل مرة؟

(١) رواه أحمد (٢٠٥٩٢)، وصححه الأرنؤوط.

وهكذا تتواصل الآيات بشكل مبين ظاهر لا تكلف فيه، بل هو المعاني السلسة المحكمة السلاسة، والحمد لله رب العالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء].

❁ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ١٢١]:

المذكِّر الأول: بعد هذه الآية ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ تذكَّر أن الله ﷻ أوقف تفاصيل أعمال الشيطان؛ ليس لأنها انتهت أو أَنَّ لها نهاية، فإن المواعيد والأماني هي الهوة الواسعة التي لا تمتلئ، ولا حدَّ ولا عدَّ؛ مواعيد وأماني وكلها غرور... بعده غرور... بعده غرور، وهكذا إلى ما لا نهاية.. فإذا قطع العبد دابر المواعيد الشيطانية، وقطع دابر الغرور فعليًّا، والمؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين، وأصبح إنسانًا عمليًّا وصالحًا تقيًّا.... ومتحصِّنًا من الشيطان بالاستعاذة بالله منه انتهى أمر الشيطان وانقطع، ولكن سيبقى ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وهنا نعود إلى جواب السؤال: بعد هذا لم يبقَ إلا أن يُذكر مصير أصحاب الشيطان؛ لأنها اللحظة التي لا بد منها لمن صدَّق، وسار مع الشيطان في تغريره وأمانيه.. وبغير هذا لن يفيقوا، وهذا هو دواء عبَّاد الشيطان في الدنيا، وأصحاب المثليَّة، والمبادئ الشيطانية.. وعدكم الله النار، وهذه هي الآيات أمامكم فاقرؤوها، ومَن أصدق من الله قيلًا فأنقذوا أنفسكم، وهذه يمكن أن توصل لهم بطرق كثيرة وعلى الأخص الأعمال الإعلامية والثقافية والمحاضرات وما إلى ذلك، فإذا أعدنا

النظر بطريقة أخرى سائلين: متى يتوقف الشيطان عن الوعود والغرور ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾؟ جاء الجواب: حتى يدخلهم مأواهم المنتظر الذي جاء ذكره في أول الآية القادمة، قال ربنا سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝١٢١﴾ [النساء]، وعند هذا الحد توقف ذكر هؤلاء وأعمالهم، وطُويت سلاسلهم وسيئاتهم، ثم جاء ذكر جزاء مَن هم ضدهم وهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهذا هو المنطق الكامل في الترتيب، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٢٢].

سبحان الله! فهنا سؤال يقول: فإلى متى سوف يستمر الغرور؟ وهل له من منتهى؟ فإذا بالجواب المباشر في الآية التي بعدها بعد قوله في ختام هذه الآية: ﴿غُرُورًا﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾، وهذا يدل على أن جهنم ضيقة وأشد ما يكون الضيق في الكون كله فيها، وأنه حتى الحركة في وسط جهنم مستحيلة إلا أن تكون جزءًا من العذاب، وهذا ما يناسب مَن ذُكروا هنا من أصحاب القصور والضياع، وما إلى ذلك في هذه الحياة، وقد ورثوا إضاعة ما أنزل الله وإلغاءه.. فكان الجزاء من جنس العمل؛ ولهذا جاء النعيم بعدها واسعًا بقوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٢٢].

المذكِّر الثاني: وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ تجعل القارئ تلقائيًّا يتساءل: فإلى أين يفرُّ الآن من أراد لنفسه المحيص من جهنم؟ والجواب: نعم إنه أقرب ما يكون منك؛ إنه كلمة الله التي بجوارك، والآية التي ستقرؤها الآن فادخلها الآن.. وإياك أن تنساها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾.

المذكِّر الثالث: أنك حين تتخطَّى الفاصلة بين الآيتين، وتقف عند أول الآية الجديدة تنظر من خلالها إلى هذه الآية التي تجاوزتها قبل أن ترحل عنها فترى فيها جديدًا.. ترى الفارق العظيم حيث أصبحت أنت الآن مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. فهنا الحقيقة فالواقع هنا هو الإيمان والعمل الصالح.. وهناك المواعيد والأماني والأوهام والأكاذيب إلى ما لا نهاية، فهل عرفت الآن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليست مجرد مصطلح، بل هي الهداية لمنهج إيماني عملي حياتي كامل.. فهل يمكن أنه تنسى أنها جاءت بعد: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾؟

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٣]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! ليس أضعف في القول من ﴿قِيلًا﴾، وليس أضعف في الطموح والغايات من الأماني، فانظر في ختام هذه الآية، وكيف اختتمت بـ﴿قِيلًا﴾ وكيف ابتدأت الآية التي بعدها بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣].

فإذا تدبَّرنا ما قبلها من آيات مع تدبُّرنا لهذه الآية الكريمة وجدنا أن الآية جاءت نُصرةً من رب العالمين للمؤمنين، وتكذيبًا لأعداء المؤمنين المدَّعين الذين يدَّعون بأن هؤلاء المؤمنين لن يرحمهم الله، ولا يدخلهم الجنة، بل إنهم هم أصحاب النار، ومن هؤلاء مغرورون مثل الشيطان، نعوذ بالله منه ومنهم..

فجاءت هذه الصيغة الصادقة القاطعة المقابلة؛ لقول الله ﷻ عن أصحاب الشيطان الذين غرَّرهم: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء]، وهم أصحاب الأماني الذين ذكر الله ﷻ من المنتسبين للمسلمين الذين اتبعوا أهل الكتاب: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ [النساء: ١٢٣]، ومنهم مَن قال الله ﷻ فيهم: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٧]، فجاء الجواب من الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الثاني: المذكِّر ما بين الآيات الثلاث وفقراتها هو حرف ﴿مَن﴾:

سبحان الله العظيم! من كمال الله وكتابه أن الكمال في كل شيء فيه لا ينقص كماله في موضع آخر... فجهد أهل العلم مثلًا مركز على بيان المعاني أو الأحكام فيجدون الكمال، ويأتي آخرون فيجدون الكمال كله في الهداية فيه، وآخرون رأوا الكمال كله في الإعجاز بأنواعه، ولكن أن يكون ثَمَّ كمال آخر، وهو ما جعله الله من التيسير لحفظه في ذاته.. ذات كلماته.. وذات فواصله.. وذات أحرفه.. وذات خواتيم آياته حيث تقابلها بعدها أوائل آياته.. وهذا لا شك فيه، وكفاها أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، ولا شك أن أعلى ترابط الذكر بالنسبة لقرَّائه هم الحافظون له أو طلاب حفظه.. والعجب حقًّا هو أن كل كمال من الكمالات المذكورة وغيرها لامس كمالها للكمالات الأخرى.. فهو الكمال المطلق وصدق الله إذ قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فهذه الآية بينة بيانًا عظيمًا أنها صفة لأهل هذا العصر وتشخيص للمؤمنين في هذا العصر عامة، فهذا العصر عصر الأماني.. والمواعظ فيها أماني.. والتعلق فيها بالأقوال لا بالأعمال.. ويُبنى على الأقوال حصرًا أعظم المقامات لأعظم العاملين عند رب العالمين.. والتخدير بهذا مستمر.. نعم مستندهم على حديث عن رسول الله ﷺ، ولكن ذاك الذكر كان لأناس آمنوا وعملوا الصالحات من ذكر أو أنثى؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء]، أما القول وحده مع التخلُّف عن الصالحات والاغترار بالقول وحده.. فهذا هو التخدير والتغرير الذي يمارسه الوعاظ الليل والنهار.. فقاموا بدور الغَرور أكبر قيام وباسم الحديث والذِّكر.. وكلما هَمَّ الناس بعمل جاءهم مَن يقول لهم: ناموا وراءكم ليل طويل فناموا، ولا يمكن لمفسد ظاهر الإفساد أن يقوم بهذا الدور كما يقوم به اليوم طابور طويل من الوعاظ.. هدانا الله وإياهم وأمة محمد ﷺ كافة.

وحال هؤلاء حال مَن يأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ بأمر فيه مثلًا الجهاد في سبيل الله والإنفاق في سبيل الله، فيأتيه مَن يعطيه البديل، ويقول له: أحسن من هذا اجلس واذكر الله، فهل كان هذا مقبولًا أيام رسول الله ﷺ؟! أم هم ممَّن يصدق عليهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

وبهذه الطريقة صرف الناس عن الأقوال إلى الأقوال المجردة التي حين انفصلت عن تصديقها غدت أماني.. فعلَّق عليها أعلى مقامات الأنبياء والصديقين والشهداء!

قال ربنا سبحانه: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النساء: ١٢٤]:

فإن الأماني على كثرتها وكثرة أسبابها من أذكار وأدعية علَّقوا عليها كل أمانيهم لم تمدَّ لهم بولاية الله حبلًا، ولا استنزلت لهم نصرًا؛ وذلك لأنها بقيت أماني؛ ولهذا كان مطلع الآية القادمة قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء]، فلو أنهم قدَّموا أقل عمل ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والأعمال المتعدية منها على وجه الخصوص، ولو أقلها لكفى، ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ ولو ما يساوي أصغر نقطة على نواة فسينفعهم ذلك في الدنيا والآخرة..! ومنهجية الأماني هي منهجية عامة المسلمين اليوم، إذن فالرابط بين الآيتين محكم.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا ﴾ [النساء: ١٢٥]:

فسبحان الله! فإن الآية السابقة كما رأينا تحدثت عن قبول الله العمل مهما قلَّ ما دام مع الإيمان ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ ولو كان ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ قلة وصغرًا، ولو كان ﴿نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾؛ ولهذا كان في مجيء هذه قبل الآية الآتية فإنها قد جاءت بالعامل الأعلى درجة

في الإيمان، وهي درجة الإحسان مع الاتباع الكامل لرسول الله ﷺ.. ففي الآية ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الأقل في العمل والإيمان، وفي الآية الثانية الأعلى بالإيمان والإحسان والأعمال، وما بينه كله مقبول إلا الأماني فلا وزن لها عند الله، ولا تأتي بولاية ولا نصرة، كما قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٢٦]:

المذكِّر الأول: سبحان الله العظيم! ففي هذه الآية والآيات الثلاث التي بعدها قد جاءت الأحرف المسهلة لحفظك ابتداءً، المسهلة له ربطًا وتثبتًا وانتهاءً، فلقد ورد حرف[1] ﴿وَمَن﴾ ﴿مِنَ﴾ فانظر إلى الأحرف المنيرة والمميزة في هذه الآيات، وكل كلمات الله نور، وسوف نظللها لنحفظها جيدًا، ونربط بينها، ونتدبرها، فإن فيها

(١) لا أقصد هنا الحرف بالمعنى الاصطلاحي النحوي المعروف عند علماء النحو من تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ولكن أقصد الحرف بالمعنى اللغوي العام كما جاء عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**». رواه الترمذي، وصححه الألباني. ولا يَقصِدُ النبي ﷺ بالحَرْفِ هنا كلَّ كَلمةٍ مِن القرآنِ؛ وذلك أنَّ الحرفَ قد يُطلَقُ ويُرادُ به الكلمةُ والجملةُ المفيدةُ عندَ العربِ، «**ولكنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**»، أي: إنَّ المرادَ هو أحرُفُ الكلمةِ نَفْسِها.

تناسقًا وعجبًا ومنارات ثابتة ومثبِّتة لحفظها، فلعلك تدركها وأنت تقرؤها قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء]، وسبحان الله! فإنها كلها جاءت على نسق واحد؛ فأول واحدة بفتح الميم ابتدأت وكأنها فتح الباب لهذا الجمال والجلال فكانت ﴿مَن﴾ فلحقتها من بعدها ﴿مِنَ﴾ بالكسر.. ولولا جمال الكسر وكماله ما ظهر جمال الفتح وجلاله.. وهكذا تستمر هذه المراوحة بانتظام وتناسق كأنها فرقان من طير صواف في جو السماء يمسكن ويقبضن - ولله المثل الأعلى -.. حتى جاء قوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ فهنا كانت الفتحة هي الأولى، وتبعتها كسرتان لأمور يعلمها الله، ولعل منها أن يعلم العباد أن الكمال لا يكون بصيغة واحدة تدرك، فلقد غيَّر الله ﷻ النسق وبقي الكمال كمالًا لم يُمسّ؛ لأنه لم يتعلَّق بكسرٍ ولا فتح.. لأنها كلمات الله وكفى، والحمد لله رب العالمين.

المذكِّر الثاني: هنا ثَمَّ رابط عظيم يربط إحدى عشرة آية، إلا أن اختتامها جميعًا بأسماء الله الحسنى من الآية (١٥) إلى الآية (٣٥) تتابعًا من غير انقطاع... فلا بد من حفظها جميعًا كأنك لقوة حفظها تقرأ آية واحدة.. ولا بد أن تتوقف عند كل فاصلة فيها تتلذَّذ روحك بما تسمع من أسماء الله الحسنى في كل ختام، ويا له من ختام في كل مرة يُختم قلبك ختامًا مما في جلال معانيها وأنوارها... إنها المعايشة في جلال أسماء الله الحسنى كررها وكررها فإنها أجواء لا تتكرر.

المذكِّر الثالث: فإن الرابط عظيم ما بين ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء]، وبين سابقتها ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء] فإن مَن اتخذ إبراهيم خليلًا هو مَن له ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾.. أي: هو حين اتخذ إبراهيم خليلًا فهو اتخذه على علم بخَلْقه أجمعين، فاختاره سبحانه من بين السماوات والأرض وخَلْقه أجمعين، وليس بعد هذا من تزكية، أما رسول الله ﷺ فهو شيء آخر، كما قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[1].. ومجيء هذه الآية في هذا الموضع لتدل على أنها تهيئة واحدة من مجموع تهيئات قادمة في الآيات القادمة لبيان مقام رسول الله ﷺ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء].

❁ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ [النساء: ١٢٧]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فما من شيء يمكن أن تختم به هذه الكوكبة العظيمة من الآيات أحسن من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾، وما من شيء أنسب في كل ذلك لينبه على المعاني القادمة في الآية القادمة من أن تختم هذه الآية بقوله: ﴿مُّحِيطٗا﴾؛ إذ المذكورون في الآية القادمة هم أحوج مَن يستحق الإحاطة به والحيطة له، وذلك لضعفه فهم أضعف المجتمع: ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾، ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾، ﴿لِلۡيَتَٰمَىٰ﴾ بشكل مطلق.

(١) رواه مسلم (٢٣٨٣).

المذكِّر الثاني: إنه لترابط عظيم ما بين الختام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾، وبين آية: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النساء: ١٢٧] هذا يدل دلالة عظيمة مبهرة على عظمة الله ﷻ.. الذي له ما في السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض، ويدبِّر أمر خلقه أجمعين، وأرزاقهم، وولاداتهم، وآجالهم، وكل شيء في كل لحظة، إلا أن ذلك كله وغيره لا يشغله عن فتوى في النساء، ولا في الولدان، ولا في اليتامى، في أي فترة من الزمان، وليس التشريع مقصور الصلاحية على فترة التنزيل فسبحانه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء]، وهذا يدل قطعًا على خلود هذا المنهج وصلاحيته لكل زمان؛ لأنه لا يرتبط بأناس معينين ولا مخلوقين، بل ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفرقان: ٦]، فالمنهج للإنسان هو ما يتطابق تمامًا مع نظام السماوات والأرض ونظام الزمان ونظام الحياة.. ونظام المُلك كله، فلا يقال ولا يُعقل أن يقال: السماوات قديمة لا تصلح لهذا العصر، ولا يقال: الشمس لا تصلح لهذا الزمان، وقد قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ﴾ [النساء: ١٢٧] هو هو سبحانه مَن قال قبلها: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾، وهكذا يوثِّق الله ﷻ كلماته التامات وشرائعه المحكمات في الآيات القادمة والماضية بأعظم توثيق حين يختمها بأسمائه الحسنى سبحانه فقبل آية ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النساء: ١٢٧] كان قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾، وختم آية ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ بقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾ [النساء: ١٢٧]، وختم آية خوف النشوز بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨]، وختم آية العمل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ [النساء]، وختم آية التفريق بينهما بعدها: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ [النساء]، وختم الآية التي بعدها بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١﴾ [النساء]، وختم التي بعدها بقوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ

بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾ [النساء]، وختم التي بعدها بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء]، وختم التي بعدها بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء]، وختم آية الإشهاد بالقسط وهي التي تليها بقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء]، فهل أعجب من هذا عجب؟! وهل أعظم من شرع الله شرع؟! وهل يُقارن شرعٌ بشرع الله؟! وهل من عدوان أعظم من العدوان على ما أنزل الله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولعظمة ما أنزل الله على رسوله ﷺ، فإن الله سبحانه قد جعل لشرع الله الذي أنزله نصيبًا من جميع أسماء الله الحسنى التي نعرفها.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ **[النساء].**

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ [النساء: ١٢٨]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فلا والله لا إطلالة أجلّ وأعظم وأحكم للدخول على الآية القادمة من قوله تعالى: ﴿عَلِيمًا ﴾ فإن أمر الزواج مبناه على الحياء والسرية والكتمان، ولا يمكن للمصلح أن ينجح في إصلاحه إلا أن يبحث عن أسباب الاختصام، ويعلم الحقيقة ليصل إلى الإصلاح بإذن الله... ولهذا كان قول الله: ﴿عَلِيمًا ﴾ إطلالة عظيمة على أن الله بعلمه بكل شيء سيضع للناس الآن حلولًا للمشكلات قبل أن تكبر وعلاجًا للأمراض الأسرية قبل ألا ينفع معها إلا القطع.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فما أعظم نسبة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ كختامٍ لآية الاستفتاء هذه! وما أنسبه للآية التي بعدها! وبهذا يُحْكم العلم ويحفظه ويحفظ فهمه الحق، كما يعين على حفظ الآية والآيتين وما قبلها وما بعدها حفظًا وإحكامًا، وييسِّرها الله تيسيرًا ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، فهؤلاء يستفتونك؛ لأنهم يعلمون أنك لا تعلم الغيب، ويعلمون أنك تعلم ما في صدورهم فأرادوا أن يستفيدوا من الإرث لأنفسهم، ويحرموا آخرين من الضعفاء مثل النساء والصغار، وذلك بفتوى منك يسلم لها الجموع.. ولذا فهم يأتونك بطرق وصيغ؛ ليكون الجواب كما أرادوا... لذلك فإن قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إنما هي حماية من الله لرسوله ﷺ في هذا الشأن، وقد ذكر الله ﷻ مواطن التفافهم، ثم ختمها بأحسن ختام: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾، وإذا نظرنا إلى علاقة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْيَتِيمَةُ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا، وَلَهَا مَالٌ، وَلَيْسَ لَهَا أَحَدٌ يُخَاصِمُ دُونَهَا، فَلَا يُنْكِحُهَا لِمَالِهَا فَيَضُرُّ بِهَا، وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا، فَقَالَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يَقُولُ: مَا أَحْلَلْتُ لَكُمْ، وَدَعْ هَذِهِ الَّتِي تَضُرُّ بِهَا(١).

ختم الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ للحث على الإحسان لمن جاء الاستفتاء فيهن في الآية وهن النساء، ثم إن الختام جاء بقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾، وهذا هو ما ورد في قول النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(٢)، فهذا الختام هو الوقاية من النشوز والخلافات والاختصام، وما يتبعه من

(١) رواه مسلم (٣٠١٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

آلام وخسائر، فإن المعروف لا ينسى، فهنيئًا لكم بعلم الله عن كل علم، كما قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء].

المذكِّر الثالث: بالآية القادمة: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ فإن على المرأة أن تبني مواقفها على العلم لا على مجرد الظنون والتخوفات.. فالظنون المجردة لا ينبغي أن تفسد الأسرة، ولا يُبنى عليها موقف.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٢٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فلكي تفرق بين هذه الآية والتي بعدها عند الحفظ فتذكر منزلة الإصلاح العليا في الآية الكريمة، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ فالإحسان بغير شك هو أرفع درجات الإيمان، ومع هذا فقد قال الله ﷻ في ختامها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، بينما قال في ختام الآية القادمة: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء].

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن الختام هنا بقوله بعد محاولة الإصلاح الجدية ربما لا تحقق الغايات الأحسن؛ فلذا جاء قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ جاء يطمئن هؤلاء السعاة الجادين في الخيرسعيًا حثيثًا أن ربكم بكم خبير

وأجركم مكتوب، كما أنه أعلم بصعوبة الأمر فلتقبلوا بما هو دون الغايات أحيانًا ولتمضِ الحياة ولو مع القصور وبعض الثغرات، وعلى الأزواج خاصة أن يقللوا من طموحاتهم ومثالياتهم، وهذا ما ابتدأت به الآية القادمة.. وما أحسن ما ابتدأت به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾، ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ [النساء: ١٢٩]، فهل سيلتبس عليك يا طالب الحفظ ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ بـ ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ وقد عرفت أن ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾؟ فهنا لم ذكر الله ﷻ: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ولمَن؟ والأصل أنها للمصلحين والزوجين وكل مَن ساهم.. «هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1]، ورحمة الله عامة ومتحققة في هذا الموقع.

المذكِّر الثالث: المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ [النساء]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ﴾ [النساء: ١٢٩]:

فسبحان الله! فإن الله ﷻ لم يصرِّح إن كان سيوفِّق الاثنين سواءً كانا المصلحين أو الزوجين إلى النجاح في سعيهما، وخصوصًا أنه سبحانه قد ذكر هنا قوله: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨]، وهذا إنذار خطير بفساد السعي، فشح النفس مما استعاذ بالله منه رسول الله ﷺ.. لكن ضمان نجاح السعي موجود في الآية نفسها، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فإن الله سبحانه قال في شر الأعداء على المجاهدين وعلى الأمة: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران]، بل قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل]، وسبحان الله! فآية الإصلاح قد خصَّت التقوى والإحسان، إذن فمعيَّة الله لهما كافية، كيف وفي آية الإصلاح وجد أعلى درجات الإيمان وهو الإحسان، مع

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ (٢٦٨٩).

التقوى.. لكن مع كل هذا فلا تطلبوا المستحيل، وهو أن تبلغوا العدل المطلق في الظاهر والباطن بين النساء أي: ما دونه ممكن.. فلا تتركوا الممكن لأجل أن الكمال محال، والقاعدة تقول: (ما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك كله).

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ **[النساء].**

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]:

❀ **المذكِّر:** سبحان الله! وهكذا يفتح الله ﷻ طريق العودة إلى الحياة الأسرية من الزوج إلى غير الزوجة أو من الزوجة لغير الزوج كلٌّ في طريقه، أو لعودتهما لبعضهما فإن الله قد جعل ختام الآية هذه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وهو ما له إشارة وإطلالة على معاني الآية القادمة: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾، وواضح من الآية أن الأولى هو عودتهما إلى بعضهما وألا يسعيا في التفريق أبدًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولكن ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ فعليًّا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾ [النساء: ١٣١]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! بهذا الفأل الحسن العظيم يَقْدُمُ المتفرقان، كلٌّ على حياته الجديدة وموعود الله بين عينيهما ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ والأعظم أن يختمها الله بأسمائه الحسنى التي هي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ ثم تأتي الآية القادمة متعلقة بذات الموضوع ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء].

المذكِّر الثاني: قال ربنا سبحانه: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾، لو قال الله سبحانه غير هذا الختام مثل: وكان الله واسعًا رحيمًا، أو واسعًا عليمًا، أو نحو ذلك لربما فهمها المخاطب ترغيبًا في التفريق، لكنه سبحانه قال – وقوله الحق: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ مقدِّمًا ما يُضفي الفأل الحسن، وحسن الظن بالله فيَقدُم كل منهما على حياته الجديدة برغبة.. و﴿حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ ليلتزموا بأمر الله حقًّا.. فعادة الفراق يكون بأسباب ونفوس شحيحة، وما إلى ذلك، فليتقوا الله فيما هو قادم، ثم هل من شيء أنسب أن يستقبل به هذا الخلق العظيم ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾ [النساء: ١٣١] من قول الله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ ﴾ فهذا التشريع كله هو شرع من له

السماوات والأرض فهو وسَّع لكم في شرعه ولم يجعلكم في حرج، ومن هذا التوسيع تشريع التفريق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء]، وهذا الشرع واسع كسعة السماوات والأرض بل أوسع إلا أنه محكم بإحكام هو نظام السماوات والأرض بل أحكم.. ومع هذا فهو سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء] فرغم غناه المطلق سبحانه إلا أنه حميد يحمد مَن يعبده، ويشكر مَن يشكره.

المذكِّر الثالث: اقرأ هذه الآيات متدبرًا؛ وانظر كم قال الله ﷻ فيها: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.. في مواضع متقاربة وكم مرة ختمها الله بأسمائه الحسنى..! وكم بيَّن الله ﷻ قدرته وغناه على عباده..! أتحسبون أنه لمجرد التعريف؟ أم أنه سبحانه هنا يصنع القلب، ويصطنع الأسرة الصالحة، كما أنه يصطنع الأمة والمجتمع بنظام واحد وهو نظام السماوات والأرض.. وذلك هو الشاهد الأكبر على وحدانية الله ﷻ في الوجود كله إذا علمنا أن هذه الآيات وقعت ما بين أحكام الأسرة التي مرت معنا وبين أحكام إقامة العدل والقسط... نعم فلقد رأيت أنه خير من كثير من الحديث عنها أن نتدبرها الآن بأنفسنا.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا
حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾
مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا
﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ
ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن
تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ ﴿ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]:

المذكِّر الأول: هذه هي العقيدة التي تَبْني الإنسان، وتُعَلِّمه أنه والأسرة والمجتمع والسماوات والأرض كلها لله رب العالمين والذي خلق هذا الكل هو مَن يحكمه وهو مَن يحاسبه تبارك الله رب العالمين هذه الآيات الكريمة هي بذاتها علم كامل البناء حسن المعتقد مع أسماء الله الحسنى، ولبناء حياتنا على التعبد بأسماء الله الحسنى، وأن أسماء الله الحسنى لها المقتضى لكل موقف، ولها التعبُّد في كل مجال، وأن الإحاطة الكاملة لها، وهي التي تقول: لكل من ألحد

وأبى، واستكبر وكفر: هاتوا آلهتكم جميعًا، وهاتوا حقيقة ما سميتموها بها فستعرفون أنها كما قال الله سبحانه عنها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم] ولها جلالها وجمالها وسلطانها الذي لا منتهى له، أما هنا فها هو سبحانه يحكم ﷻ بكلماته التامات وبأسمائه الحسنى الحياة الأسرية بأسمائه الحسنى العلية.. فأي واقعية هذه؟ بل أي عظمة؟ فانظر هنا على سبيل المثال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء] فقدرته سبحانه ليس هي أن يذهب بكم فحسب، وإنما أن يأتي بآخرين.. هذا مثال واحد وهذه حقيقة من حقائق أسماء الله الحسنى، لكن أيقول الله سبحانه ذلك ليستعرض عظمته أمام خلقه..؟! حاشاه سبحانه فهو الغني الحميد، ولكن هو تهديد في هذا القرآن خاص بأمة محمد ﷺ أنها إن تركت الأخذ بشرعه ولو بأحكام الأسرة والنساء فإن الله غني عنكم وقادر أن يستبدلكم، وإن اتبعتم شرعه ولم تخافوا من المخوِّفين والمرجفين متوكلين على الله فالله يحفظكم ولن يكلكم إلى عدوه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فلقد ختمت الآية ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ إن في الختام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ إشارة إلى أعظم ما يحتاج الإنسان إلى بلوغ غاية التحري واستخدام السمع والبصر لإقامته... ألا إنه العدل والقسط؛ لأن العدل للأمة، بل للعالمين أجمعين؛ ولهذا جاءت الآية الثانية واضحة في هذا، وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾، والعجب أن يختمها الله بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

المذكِّر الثالث: فما الرابط ما بين: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ [النساء: ١٣١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء]؟ هو تعظيم أمر شرع الله الذي أنزله على رسوله ﷺ، فهو خلاصة ما أنزل الله من شرائع من قبل، وهو من واسع من سعة علم الله العليم الحكيم، ثم إنه الأكمل من كل الشرائع السابقة مجتمعة.. فما كانت للأمم السابقة إلا وصايا عامة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾، نعم ثمة تفاصيل.. ولكنها لا تقارن بشرعنا وتيسير الله علينا وما فيها من سعة علم الله، وإحكامه وحكمه.. بل هذه الآيات معجزة لنا - نحن أهل هذا الزمان - والمشرِّعون للدساتير ينصُّون في المذكرات التفسيرية للدستور: بأنهم وسَّعوا النصوص الدستورية على ضيق التشريع الإسلامي رفعًا للحرج عن المشرع للقوانين.. هداهم الله إلى الإسلام من جديد، كما مرَّ معنا الشاهد من الدساتير نفسها من قبل.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء].

۞ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦]:

المذكِّر الأول: مع أن الله سبحانه خاطب في هذه الآيات المؤمنين باسم الإيمان فقال مرتين متتاليتين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلا أنه سبحانه لم يفرِّق في وجوب إقامة العدل بين المؤمن وغير المؤمن؛ فلم يقل مرة واحدة كلمة (بينكم)؛ وهكذا الأمر بالشهادة بالحق فلم يقل: شهداء لله (بينكم)، بل قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، وما قال: إن يكن فقيرًا (منكم)، ثم هو سبحانه لم يذكر الدين في الفروقات فقال: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ وما قال: مؤمنًا ولا كافرًا... بل ختمها بأدق ختام ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.. فالله ﷻ حين يكلِّف بهذا إنما يكلِّف مَن يوليه أمر الناس، وهذا تكليف وتشريف لأمة محمد ﷺ فهم مَن جعلهم الله أولى مَن يعتمدهم الله ﷻ كأمناء على عباده كافة في هذه الأرض.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فما أعظم جِوار كلمة ﴿خَبِيرًا﴾ للآية القادمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فما أدق دقتها من كلمات ﴿ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾! فلم يقل الله ﷻ هنا: إن الله كان سميعًا بصيرًا، ولا نحوها من أسماء الله الحسنى وكلها حسنى، إنما الخبير هو الخبير بدقائق الأشياء وأعمقها؛ إذ هو صاحب الخبر أي أدق التفاصيل في أدق كل شيء... إنها آية يحدثهم الله فيها عن الهوى والميل ولا يحدثهم

عن العدل الظاهري، ويقول لهم: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ وختمها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، ثم جاء في أول الآية التي بعدها يحدثهم عن إيمان بعده إيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فأي أعماق في العدل وأي أعماق في الإيمان هذه فإياك يا طالب الحفظ أن تنسى أن بعد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾.

المذكِّر الثالث: لهاتين الآيتين رابط لا ينبغي أن يُنسى، وهو أنه لم تأتِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: ١٣٥] وبعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] في آيتين متتابعتين إلا هاتين الآيتين.. وفي سورة الحجرات، وفي هذا التكرار تأكيد عظيم لمعنى معجز يفك الالتباس على أهل هذا الزمان الذين ظهر فيهم من هذا الصنف مَن هم وُلدوا مؤمنين بالفطرة ومؤمنين حسب المجتمع الذي عاشوا فيه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء]، فكانت هذه الآية معرِّفة للضلال البعيد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء] فليس هو كأي ضلال، بل هو الضلال البعيد العام، الضلال المشرَّع بتشريعهم، الضلال الملزم، الضلال الذي أزالوا به النور العظيم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النساء: ١٣٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [النساء: ١٣٨]:

المذكِّر الأول: كما خاطب الله ﷻ المؤمنين بالعدل الحقيقي العام للناس كافة.. بعد البحث العميق عن الحقيقة دون هوى.. دون تمييز في اعتبار شيء حتى الدين.. فإنه سبحانه جاء في الآية التي بعدها وأمر المؤمنين بالإيمان كله دون تفريق فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ ... وهذا هو أعظم عنوان في خلافة هذه الأمة للأديان الحق كلها.. فهذه الأمة أبغض ما إلى معتقدها النفاق، ومن ثم جاءت الآيات القادمة تفرز المنافقين فرزًا في الدنيا والآخرة لتعرفهم الأمم الأخرى؛ ولئلا يحسبوا على المؤمنين؛ وليحذرهم كذلك المؤمنون، فما أعظم البعد بين قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ وبين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾! والحقيقة أن نفاقًا وتقلّبًا هكذا لا يقف له ويزهقه إلا إيمان هكذا.. فما أنسب هذا الدواء لهذا المرض...! فهل ينسى هذا الربط؟ وهل من تسهيل مثل هذا التسهيل بالتقابل الظاهر والباطن؟

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ختام هذه الآية الكريمة يبين أن الضلال القادم ذِكْرُه ليس كأي ضلال، والكفر ليس كأي كفر، والعياذ بالله، وسبحان الله! فإنها حيث خُتمت بقوله سبحانه: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ جاء بعدها مباشرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]، فإن قلت: لقد خُتمت الآية قبلها ورقمها [النساء: ١١٦] وبعدها جاء ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧] فإن الجواب: أن الآية التي قبلها ذكرت الشرك، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦]، أما هذه فانظر في الآية التي أمام نظرك ستجد أنها ذكرت الكفر، وذلك في قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]؛ ولهذا الإشارة إلى الضلال البعيد بالذين كفروا كما هي أمامك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾.

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فإن قوله سبحانه في آخر الآية: ﴿سَبِيلًا﴾ فالسبيل لا بد أن يوصل إلى شيء، ورجاء السالك هو البشارة بالوصول، فجاءت البشارة لهؤلاء المتقلبين بالوصول إلى العذاب الأليم، فلا تنسَ هذا الرابط المحكم.

قال ربنا سبحانه: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [النساء: ١٣٩]:

❀ **المذكِّر**: سبحان الله! فإن البشارة بالعذاب ذُكرت على غير الترتيب في الواقع.. فالواقع أن يُذكر الذنب أولًا إلا هنا فقد جاءت البشارة بالعذاب أولًا، فماذا يعني هذا الترتيب؟! والجواب: إن الله ﷻ قد ذكر الذنب أولًا، لكنه لم يفصح عن اسمه فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ [النساء: ١٣٧] وهل الذنب هذا إلا النفاق، وهل هؤلاء إلا المنافقون، إلا أن الآية التي سبقتها لم تذكر إلا الإيمان والكفر، أما هنا فهو عمل المنافقين ودورهم وغايتهم... فسبحان مَن هذا الكلام كلامه، وصدق الله إذ قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر**: سبحان الله! حين ختم الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فقد أقام الحجة على المنافقين، وردهم إلى الهدى، وهذا ما يتعلق بكونها خاتمة للآية نفسها، وأما إطلالتها فإنها إطلالة على الآية القادمة تريد المؤمنين وتنير لهم طريقهم، ويستغنون عن هؤلاء... بل لا يقعدون معهم في مجالسهم طلبًا للعزة، فإن

العزة لله جميعًا.. فإن القعود مع هؤلاء إن خاضوا مستهزئين بآيات الله سوف يحشر القاعدين على هذا في مكان واحد جميعًا، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [النساء: ١٤١]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! لو كان للمنافقين مواقف صدقٍ مع المؤمنين في الشدة لذكروها هنا.. إنما هو التعلق باسم المعية وزعمها ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، كما قال الله ﷻ عنهم في الآخرة: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد]، بينما مع الكافرين فلهم الموقف في الحماية من بأس المؤمنين إذا حق على هؤلاء الإخراج أو الغزو أو القتل أو العقاب.. وقد حَدَثَ هذا مرات في محاولة منع المنافقين النبي ﷺ من إنزاله العقاب بقبائل اليهود الثلاثة، وهذا يحدث في كل وقت، وذلك أن هؤلاء يتخذون لهم حماية متقدمة من المنافقين في داخل صفوف المؤمنين، إنك تحتاج هذا عند الحفظ لوجود أكثر من آية في القرآن الكريم.. فلا يشتبه عليك الأمر.

المذكِّر الثاني: وسبحان الله! فإن الآية القادمة ابتداؤها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ففي هذا بيان لأعظم سبب لختام هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، فهؤلاء المنافقون يتربصون بكم لمصلحة الكافرين عليكم.. فهو شيء واحد، سواء كانوا أعداء خارج صفوفكم أم أعداء داخل صفوفكم؛ لذا جمعهم الله جميعًا وإن اختلف الموقع.. فهل تنسَ يومًا من الأيام أن بعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ هو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾؟

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٤٢]:

المذكِّر الأول: إن آخر هذه الآية هو قوله سبحانه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فالمنافقون والكافرون ليس لهم سبيل على المؤمنين مطلقًا.. ومع هذا الضمان إلا أن على المؤمنين أن يعلموا أن المنافقين لن يتوقفوا عن خداعكم أبدًا.. فكيف ينسى الحافظ أن بعد ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، ومع هذا فلن ينتهي المنافقون عن الخداع إلى الأبد؛ لذا كان بعدها الآية التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾.

المذكِّر الثاني: أن الله ﷻ قد نص في ختام الآية على الكافرين تحديدًا فقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، والسؤال هو من بقي غير الكافرين؟ والجواب: هم من ذكروا أولًا في الآية القادمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ فهل بان لك الإحكام.. وهل ينسى هذا الإحكام.. فلما انتهى الأمر مع الكافرين ألحق بهم أذنابهم وراءهم.

المذكِّر الثالث: سبحان الله! فإن المنافقين يعلمون أن المؤمنين أوفياء لأقل معروف وأقل عِشرة؛ ولهذا فإنهم ناشدوهم المعية التي كانت بينهم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ كما قالوا لهم في الآخرة ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]، بخلاف الكافرين؟ فإن المنافقين عملوا لأجلهم الكثير كما قالوا: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ **[النساء].**

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ [النساء: ١٤٣]:

❀ **المُذكِّر:** سبحان الله! فهذا الذكر القليل القليل.. في الصلاة نفسها لا يكفي لإزالة التذبذب الداخلي، فالواقع من هؤلاء مع إيمانه كالشيء المعلق في الهواء لا يستقر على حال، ولا يدري إلى أين ينتهي به الأمر... وهنا يظهر لك الرابط ما بين ختام الآية بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وبين الآية التالية ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ فهل رأيت في المعاني إحكامًا مثل هذا، وصورة مصورة ظاهرة لا يمكن أن تنساها بإذن الله بعد اليوم.

ولهذا فإنه ينبغي للمؤمنين أن يعلموا أن ذكر الله كثيرًا وقاية من النفاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب] فهذا ينفع بحق حتى مع المنافقين كما عرضه الله هنا.. فكيف لا ينفع مع المؤمنين؟ فكثرة الذكر مثل تطهير الماء بمكاثرة الماء الطاهر على الماء المتنجس فيطهر، وفيها إيقاظ القلب، وطرد للشيطان، وإشغال للوقت؛ ولأنه ما دام فارغًا فإنه لا يزال هدفًا للشيطان نعوذ بالله من ذلك.

قال ربنا سبحانه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ **[النساء].**

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ١٤٤]:

❀ **المذكر:** سبحان الله! فإن هذه الآية تظهر في ختامها أن ليس لهؤلاء سبيل، وأن سبيل هؤلاء متاهة ومضيعة وضلالة وإن رأيتهم يكدحون الليل والنهار، ويمكرون الليل والنهار، ويمشون الليل والنهار.. ومع هذا فالله ﷻ يبين أنهم يحاولون دائمًا أن يتخذوا سبيلًا لهم بين المؤمنين والكافرين، والحقيقة أنها معية الكافرين لا المؤمنين.. ونهاية هذا السبيل جاءت بعكس المطلوب... جاءت بأسوأ نتيجة.. كمن يسلك سبيلًا كي يخلصه من خطر محتمل.. فإذا بطريقه ينتهي به في وسط مهلكة محققة.. أو أسود جائعة محدقة.. بل الأمر هنا أصعب وهو ﴿أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء].

❁ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]:

❁ **المذكر:** فهل من ضيق في النار - والنار مبناها على الضيق - مثل الضيق في الدرك الأسفل من النار؟ فهذا جزاء من ضيَّق على نفسه السبيل في الحياة بأن يتخذ له ما بين المؤمنين والكافرين طريقًا وسبيلًا ولا طريق ولا مساحة أبدًا، إنما هو الحد الفاصل.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء].

❁ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ﴾ [النساء: ١٤٦]:

المذكِّر الأول: هذا هو مكانهم اللائق بهم في الآخرة؛ لأنه هو قعرهم الذي يختبئون به في الدنيا، وهو مقامهم الأسفل في الدنيا وعند الطرفين؛ عند المؤمنين وعند مَن ينافقونهم، وخصوصًا بعدما ينتهي دورهم فلا أحد يريدهم ولا يثق بهم؛ لأنهم خونة وكفاهم الخيانة وصمًا.

وسبحان الله! فإن مَن كان مصيره في الدرك الأسفل في النار فقد انقطع انقطاعًا كليًّا وكاملًا عن كل أحد... ولا يخرج من مصير الدرك الأسفل من النار منهم إلا مَن خرج منهم من النفاق بالشروط القادمة وحدها، فلا استثناء هناك إلا مَن غيَّروا هنا؛ ولذا فإن الله قد فصَّل لهم طريق العودة تفصيلًا دقيقًا.

المذكِّر الثاني: سبحان الله العظيم!.. سبحان من يعلم أن الكثير من النفوس من ستفيق لهول هذا العذاب الذي لم يذكر لصنف من أهل النار إلا هنا! ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.. ومن ذا لا يفيق هنا؟! فإذا أفاقت تساءلت مباشرة: فهل من مخرج آمن الآن من الدرك الأسفل من النار؟! فهي استغاثة، بل هي صرخة مدوية تحدثها هذه الآية في النفوس.. والله يعلم بذلك سبحانه لقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء] فكان الجواب في الجوار الأقرب... وأنت قادم إليه، وليس وراءك بحيث يكلفك التفاتة إليه.. الجواب في الآية القادمة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

قال ربنا سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ **[النساء].**

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]:

المذكر: سبحان الله! فإن الله سبحانه بعدما حكم على المنافقين بأنهم في الدرك الأسفل من النار أراد أن ينقذهم فإنهم عباده، وقد ضلوا السبيل.. فبيَّن لهم وهم في هذا الحال السبيل، وعرَّض لهم بخطاب المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء]، ثم صرَّح لهم

بإنقاذهم من الدرك الأسفل من النار إن هم غيَّروا وبدَّلوا، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾... فهل رأينا تسلسل الآيات وتسلسل هداها حتى مع المنافقين؟ فمن الواضح أن من مراد الله ﷻ بذكر الجزاء العظيم هو عرض ذلك على المنافقين ليتوبوا.. ولهذا جاء بعدها ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ أي مما ذُكر وهو ما ذُكر في الآية السابقة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]؛ لهذا بين الله ذلك ليتوب المنافقون فهو يرغِّبهم أعظم ترغيب، وأنه لا يحب ضلالكم ولا عذابكم وأنتم عباده، فاشكروا نعمة الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، وذلك بأن تكونوا كما ذكر الله في الآية السابقة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾، فاحفظ هذه جيدًا فهي السبيل الوحيد للمنافقين ليخرجوا من الدرك الأسفل من النار السائرين الآن إليه؛ وليكونوا ﴿مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن الله سبحانه لا يريد أن يحطم أمل عبده بِذِكْرِ عذابه، وأنه لا خلاص ولا مناص، بل العذاب عليهم طارئ وزائل، وليس أصلًا فليغيروه وليعودوا إلى الله.. والله يعلن لهم ذلك فليعلنوا بينهم وبينه التغيير.. فلربما كان الاعتراف بما فعلوا مكلفًا لهم ولأهليهم كثيرًا، وكل شيء بالحكمة.. ولكن

الإيمان الصادق مع شكر الله العملي في تحقيق مقتضى أعظم شيء وهو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، وبناءً على أن الله ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ فإن الله لن يفضحكم؛ لأنه ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فلقد ختم الله ﷻ آخر آية في هذا الجزء بقوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء]، وابتدأ سبحانه الجزء السادس بقوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨] ليشير سبحانه إلى أنه يحب الجهر بالخير والشكر بدليل ختام الآية السابقة فهو ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ فكيف لا يحب الشكر والجهر بالشكر، وفي الشكر تربية عظيمة للفرد وللمجتمع.. وفيه مغالبة السوء وغلبته وإخماده، وفيه إحياء المعروف والحض على زيادته، وفيه إصلاح النفوس من شحها ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]، وفيه الخير العظيم.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ [النساء: ١٤٩]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فإن كثيرين ممَن يجهرون بالسوء لا يفقهون حديثًا، ولا يفقهون لماذا ختم الله الآيات السابقة بقوله الكريم سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ نعم؛ فاحفظ هذا الرابط الكريم باسم الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ فقد بين الله ﷻ في هذه الآية: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ فجُلُّ مَن يجهر بالسوء من المؤمنين على مَن بينه وبينه اختلاف عند المعنيين وغير المعنيين؛ فهو إنما

يذكر السوء، ويترك الحسنات والأخلاق الطيبة الأخرى التي فيهم..! بينما رب العالمين لم يذكر سيئات سكان الدرك الأسفل من النار وهم المنافقون إذا تابوا، ويشكرهم سبحانه على شكرهم إن شكروا، فهو سبحانه ما سكتَ عن سيئاتهم عن جهل أو غفلة حاشاه سبحانه فهو العليم الخبير، ولكنه سبحانه كما قال عن نفسه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾، ولو سئل أي جاهر بسيئات أخيه المؤمن عن حسنات أخيه ذاك إن كان فيه أو ليس عنده حسنات لقال: بل عنده، ولكنكم لا تعلمون سيئاته، فيأتيه الجواب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾، ثم إن الله ﷻ يأمر بذكر الخير فيقول: أظهروا أي خير، ابحثوا عن أي خير وأظهروه فيقول: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ أي خير ولو كان قليلًا ولو كان صغيرًا، والله عليم بحسن صنيعكم هذا.

ويستثني الله ﷻ من هذا مَن قال فيه: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ختام هذه الآية جاء بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، إن هذه الآية الكريمة موعظة بليغة من رب العالمين، فالله الذي لا يحب الجهر بالسوء من القول حين تجهر للناس بالسوء عن أخيك أو صاحبك أو عن أي مسلم من المسلمين فاعلم أن الله مع من يسمعك ويعلم بجهرك وسرك.. ولا يعلم أي واحد من هؤلاء بذلك.. فهل تؤمن بأسماء الله الحسنى؟ وهل تلزم حدك.. وتمسك لسانك وقلمك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾؟!

فهل رأيت هذا الختام العظيم لهذه الآية العظيمة؟! وهل تنساه بعد اليوم، أو يشتبه عليك؟ وأعود هنا لأذكر بأسماء الله الحسنى، وكيف أنها حقيقة وأن لها سلطانها، وأن كل مسلم متأدب معها غاية الأدب؛ إذ لا فارق مطلقًا عند الله بين الله وبين أسمائه الحسنى.. وهكذا تكون معاني تجليات أسماء الله الحسنى الربانية في أخلاق المسلم وحياته ودعوته ودنياه وآخرته.

فتدبَّر كيف أن الله سبحانه قال في ختام الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ وقال في ابتداء الآية القادمة: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [النساء: ١٤٩] فإن ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ يقابلها ﴿سَمِيعًا﴾، وإن ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقابلها ﴿عَلِيمًا﴾، فسبحان الله! ما أعظم التصاق آثار أسماء الله الحسنى وختم جلالها على حياتنا!

المذكِّر الثالث: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ﴾ هذه الكلمة عنوان عظيم، بل ميزان عند كل مسلم من المسلمين فهو يقسِّم جميع الأمور، ويميِّز بينها ويزنها بميزان ما يحبه الله وما لا يحبه الله؛ ليس هذا فحسب، بل صح اليقين أن ما يحبه الله فيه الخير كله للمسلم وللإنسان كإنسان، وما لا يحبه الله لا خير فيه للمسلم وللإنسان.. فالله سبحانه هنا يصرِّح بأنه ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ فالجهر بالسوء إشاعة للسوء، وداعٍ للاستكبار، ودافع للإصرار، وقسوة للقلوب، وغلظة وجلافة وصخب في المجامع والأسواق، وإفساد للقلوب، وإشغال الناس بما لا يعنيهم، وتحزب وخراب ديار، وعكس ذلك يحبه الله فالعفو يحبه الله؛ لأنه يقتل الفتنة في مهدها ويُبقي حبال الوصال والإصلاح.. وخير كثير كذلك.. إذن فهذه الكلمة تسفر عن أن العلاقة مع الله علاقة محبة وأنها أعلى درجات العبودية، وأن تشريع الله محبة وهكذا.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! فانظر إلى ما بين ختام هذه الآية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ وبين الآية القادمة من رباطٍ لا ينبغي أبدًا أن ينساه المسلم فضلًا عن طالب حفظ السورة وحفظ القرآن، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] انظر إلى هذا الطوفان البشري الشرِّي التافه بالعدوان على الله! وهنا يحاولون التفريق بين الله ورسله... وهذا لا يكون إلا بالجهر بالسوء عن الله وعن رسله... ومع هذا فمَن يتوب من هؤلاء فالله يقبله ويتوب عليه ويستره ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء]، وصدق رسول الله ﷺ؛ إذ قال: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»[1]، فهل تنسى أن بعد قول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ هو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [النساء]؟

المذكِّر الثاني: سبحان الله! فإن ختام هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ فيه صناعة هذا الخلق في أعماق النفس وجذر القلب، وليس في مظاهر الاختلافات ومجاملاتها ورئاء الناس، فالله قد حرض المؤمنين المظلومين من قبل

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

إخوانهم المؤمنين على العفو، وإن قدروا على الانتقام؛ ولأن الله الذي هو على كل شيء قدير، وأمره ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] يقول: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.. فهل من مسلم يسمع هذا عن ربه إلا ويجد فيها الفرصة ليحوز عفو الله ومقدرته عليه فإن العفو بالعفو.. حتى وإن قدر فإن العفو عند المقدرة أعظم عند الله وأكرم على الله، كما في الحديث عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عز وجل عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»[١]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[٢]، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ: لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، فَتَصَدَّقُوا، وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا - وقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: إِلا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»[٣]، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[٤]، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خَادِمًا يُسِيءُ وَيَظْلِمُ، أَفَأَضْرِبُهُ؟ قَالَ: «تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٥]، وَعَنْ أَبِي مَاجِدٍ الْحَنَفِيِّ قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: إِنِّي لَأَذْكُرُ

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، وحسَّنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) رواه أحمد (١٦٧٤)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٤) رواه أحمد (٦٥٤١)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٥) رواه أحمد (٥٦٣٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أَوَّلَ رَجُلٍ قَطَعَهُ، أُتِيَ بِسَارِقٍ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ؟ قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ اللهَ ﷻ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]»[١]، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[٢]، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»[٣]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْءٌ فِيهِ الْقِصَاصُ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ[٤]، وفي حديث الإفك قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا[٥].

المذكِّر الثالث: فقوله سبحانه في ختام هذه الآية العظيمة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء] جاء مفصلًا؛ فقوله: ﴿عَفُوًّا﴾ إنما الأصل فيه أنه للأعمال الصالحة الثلاثة، وهي: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾ [النساء: ١٤٩]، وأما قوله:

---

(١) رواه أحمد (٤١٦٨)، وقال الأرنؤوط: حسن بشواهده.

(٢) رواه أحمد (١٧٣٣٤)، وقال الأرنؤوط: حسن.

(٣) رواه مسلم (٢٥١٠).

(٤) رواه أحمد (١٣٢٢٠)، وابن ماجه (٢٦٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات.

(٥) رواه البخاري (٤٧٥٠).

﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ فهي ألصق بما جاء بعدها، وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء]، فإذا رأيت ﴿قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ فتذكَّر جيدًا أنها دواء ما بعدها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥١]:

المذكِّر سبحان الله! هكذا يؤكد الله سبحانه على أمرٍ عظيم يغفل عنه الناس هو أن المنافقين يريدون أن يتخذوا بين الكفر والإيمان سبيلًا.. حتى ولو تنازلوا عن بعض الإيمان، بل لو تنازلوا عن الإيمان كله فهم طوال عمرهم يريدون كما يزعمون أن يشقوا طريقًا بين الكفر والإيمان، بل طريقًا يشرب من الكفر كما يشرب من الإيمان.. ويحلُّونه بالاسم الذي ظاهره الإسلام وباطنه الكفر والفسوق والعصيان، وهذا النفاق سمَّاه الله ﷻ كفرًا.. وجعل التفريق في المصطلح يعني تغيير الحقيقة، والنتيجة في الآخرة، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] وإن كان ثَمَّ تفريق بين الاثنين فهو كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء]، وإذا رجعنا إلى هذه الآيات وجدنا

الربط بين الآيتين من أولهما، وليس من ختامهما فحسب والجامع بينهما هو مصدر الكفر ففي هذه الآية ابتدأها ربنا سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ﴾، بينما ابتدأت الآية بعدها بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ إذن فذكر الكفر هو الجامع ما بين الآيتين ومثل هذا لا يُنسى أبدًا.. وأمر آخر هو المقصود في الآية هنا هم اليهود فهذا ديدنهم، وأنهم مصدر التفريق بين الله ورسله وهذا ما يدل على أن المنافقين وسط المجتمع المسلم إنما هم دائمًا وأبدًا صنيعة اليهود والذي يكشفهما ويوحِّدهما هو السبيل فكلاهما يتخذون بين الاثنين سبيلًا، لكن بما أن اليهود هم الأساس وهم الأكبر فإن كفرهم أكبر وسبيلهم أشنع وأفظع؛ فالمنافقون يتخذون بين المؤمنين والكافرين سبيلًا، أما اليهود فهم يتخذون ما بين الله ورسله سبيلًا، كما قال الله سبحانه هنا بكل وضوح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ ولهذا قال الله عنهم خاصة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾، وهذا هو الرابط مع الآية الثالثة فاحفظه، فيا له من برهان ساقه الله ﷻ، ولربما مدحهم الجاهلون على أن هذا دهاء وذكاء، ومن ثَمَّ جاء حكم الله فيهم محدَّدًا وقاطعًا في الدنيا وكذا حكمه في الآخرة، وهكذا يحكم الترابط بين هاتين الآيتين وما بينهما سبيل واصل، مع توحُّد أول الآيتين بذكر الكفر كما ترى بالإشارة، والحمد لله رب العالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥١]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٢]:

المذكِّر الأول: فلم يبقَ بعد هذا إلا أن تتم المثاني هنا، والمثاني نوع من الإحكام في القرآن، بل هي صبغته، فلقد تم ذكر جزاء الكافرين والمنافقين وأتمَّ الأمر وأحكم الحكم عليهم إحكامًا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ وذكر جزاءهم، ووحَّد وصفهم في النصف الآخر من الآية، فقال: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾، ولم يبقَ بعد هذا إلا ذكر جزاء المؤمنين فجاء ذكره مباشرة بعد هذا مفرقًا بينهما بحرف الواو، فكان قول الله ﷻ بعد هذه الآية هو: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٢] وسبحان الله! فلقد جاءت معطوفة على ما سبقتها، وهذا من الإحكام وكون الآيات محكمات، كما أن هذا من منهج المثاني في القرآن العظيم، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر].

المذكِّر الثاني: هذه آيات محكمات واضحات صريحات.. في وقتٍ لم يَعُد أحد من المِلل مطلقًا يؤمن بجميع المرسلين عليهم السلام إلا أمة محمد ﷺ فإنها الأمة المنفردة في هذا قطعًا لا يشركها في ذلك أية أمة من الأمم، ولو أن أحدًا من هذه الآمة كفر ببعض الأنبياء لكان داخلًا في هذه الآية قطعًا حتى لو آمن برسول الله ﷺ، وهذا ما لا يمكن أن يكون أبدًا.

والآية القادمة واضحة قاطعة فاصلة بين أمة محمد ﷺ وغيرها من الأمم الأخرى كافة... وأي أحدٍ من الأمم الأخرى آمن بالمرسلين بما فيهم رسول الله ﷺ فهو منا ونحن منه، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة]، فالإيمان بالرسول شرط لا يملك أي مخلوق التنازل عنه، فقال الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فالرسول ﷺ برهان وفرقان، فهؤلاء أحبار كثر من اليهود والنصارى يوافقوننا في كثير من الحق ولكن عند الإيمان برسول الله ﷺ وأنه خاتم المرسلين يتوقفون، بل ينهارون في جرفٍ كفرٍ سحيق، فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾، فهذه الكلمات التامات هي دعوة وهداية.. وهي حجة ونور وآية.. وهي فرقان وبرهان.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ [النساء: ١٥٣]:

المذكِّر الأول: إن قارئ القرآن اليوم ليستعظم كيف يبلغ الكفر بالبشر هذا المبلغ، ويستعظم كيف يبلغ بالبشر العدوان على الله وعلى رسله هذا المبلغ.. ولعظيم إنكار القارئ لهذا القول الكُبَّار لربما يقول: لعل هؤلاء طائفة ذهبت وانقرضت ولم يعد لهم ذِكْر! هنا يأتي الربط بالآية القادمة.. فإن الجواب الحق الذي لا يُنسى قادم في الآية القادمة، فالله ﷻ قال: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾، فهذا كفر وعدوان واستكبار وطغيان.. ولكن ما هو أشنع من هذا هو ما سألوه موسى فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، ثم اتخذوا العجل ربًّا بدل الله ﷻ.

فلا تستعظم يا محمد ذلك في حياتك، وفي هذا إشارة إلى مهابة النبي ﷺ في قلوبهم، ولكن متى وجدوا الفرصة فإنهم سينقضون على الإسلام انقضاضًا شنيعًا كما انقضوا على النبي ﷺ في حياته مرارًا وتكرارًا، وهم على هذا قائمون إلى يوم الدين... فهم كما ذكرت من قبل نسبة كفر وخبث وعداوة أوائلهم من أواخرهم كنهرالقاذورات فإنه أقذر ما يكون ليس في أوله ولا وسطه، وإنما في آخره.. ولهذا فنحن نشاهد من أعمالهم ما لم يبلغ عُشره أوائلهم كيف لا وخاتمتهم الدجَّال!

المذكِّر الثاني: سبحان الله! ما أكثر ما ختم الله ﷻ جولة موضوعٍ في هذه السورة بالمؤمنين، وما أكثر ما يختمها بمغفرة الله ورحمته، كما قال هنا سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ليبتدئ بعدها بجولة مع اليهود وبقبح اليهود ولعنتهم، وذلك بعد ختام هذه الآية الخاتمة مباشرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

المذكِّر الثالث: رابط وثيق بين ختام هذه الآية بين قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ [النساء: ١٥٣] فإن الله سبحانه يعرض على هؤلاء طريق المغفرة والرحمة والتي تكون بالإيمان بالله ورسوله وعدم التفريق بينهم واتباع رسول الله ﷺ، خاصة لأنه خاتمهم، فإذا بهم ينتكسون ويرتكسون في حمأتهم الأولى، ويعودون لأسئلة التحدي والعناد، فجاء: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ وهذا إنما يعني أنهم لا يريدون نزول الرحمة والمغفرة عليهم، بل نزول الغضب عليهم ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ ولو أنهم أرادوا السؤال للتقرُّب إلى الله وطلبًا للعلم النافع لذَكَرَ الله عنهم ما ذكره عن المؤمنين في سورة النساء؛ ليكون ذلك موافقًا لمنهجها الموحَّد؛ وهو أن يقول الله سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، ولكنه قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وإذا أُطلق سؤال بني إسرائيل أنبياءهم عليهم السلام فإنما هو سؤال العناد واللجاجة والتحدي والكِبر.. ولو تركوا هذا الأسلوب وطلبوا مرضاة الله لوجدوا الله غفورًا رحيمًا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢].

قال ربنا سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ﴾ [النساء: ١٥٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٩]:

المذكِّر الأول: إلا أن السؤال هنا: هل منعهم ما آتى الله موسى عليه السلام من السلطان المبين سواءٌ كان هو رفع الجبل أو كان شيئًا آخر أن يتوقفوا عن العدوان على ما جاء به موسى عليه السلام، أو منعهم من صنوف العدوان على الله لَعَنَهم الله، وغضب عليهم؟ الجواب يأتيك في الآيات القادمة، سترى أنواعًا من الكفر المتكرِّر والذي يؤكِّد بعضه بعضًا، والنقض، والظلم، وإحلال ما حرَّم الله كله كفروه وفعلوه واستحلوه، فينبغي ألا يسقط حرف واحد من هذه الآيات منك... فإنها مترابطة محكمة الترابط.. وإنها اليوم لسلاح عظيم لهذا اليوم والأيام القادمة.

المذكِّر الثاني: ويكفيك لتتأكَّد هذه المعاني مع رابط واحد مشترك لييسِّر الله عليك حفظ هذه الآيات هو أن تركِّز على الباء السببية في كل أفعالهم لترى أنواعها، وترى أن الله ما ظلمهم، ولكن أنفسهم يظلمون، وفي الآية الأولى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، وفي الآية بعدها قال: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٤]،

وقال بعدها: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقال في الآية نفسها كذلك: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقال في الآية الأخيرة: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقال: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٦].

المذكِّر الثالث: وسبحان الله! فلقد كان أول هذه الآية سؤالا كُبَّارًا وأكبر من طلبهم وهو أن يُنزل الله عليهم كتابًا مخصوصًا لهم من السماء.. هكذا طلبوا من رسول الله ﷺ فكم هو سؤال رؤية الله في هذه الدنيا - بعد ما بيَّن الله استحالته لموسى عليه السلام ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣] فإن مجرد رؤية الله باشرتهم الأخذة بصاعقة... إن سؤال الرؤية في الدنيا إيذان بإذهاب الدنيا كلها بنار تحرقها عن آخرها، كما في الحديث: «إِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ -، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١).

المذكِّر الرابع: كثيرًا ما ينسى الحفظة قبل التمكن قول الله سبحانه في آخر هذه الآية: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ ومن عرف ماذا في هذا الخطاب لم ينسه أبدًا، فهو خطاب لرسول الله ﷺ أولًا ولمن قام مقامه من بعده في أمة محمد ﷺ أن يصبروا على هذه الأمة وعلى فسقتها ومنحرفيها... ويكفي أن ترد بما ختم الله عدوان بني إسرائيل على الله وعلى موسى عليه السلام، ثم يقول: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ فكيف لا يعفو الله عن أمتك الشاكرة الذاكرة يا محمد ﷺ فلا مقارنة، والشاهد على هذا أن الله سبحانه بعد ما قال: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ قال: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ فعلى من هذا السلطان إلا عليهم، وهذا عنوان لعدم شكرهم لله عز وجل؛ ولهذا ألحقها الله عز وجل بالآية التي بعدها:

(١) رواه مسلم (١٧٩).

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ فسبحان الله! كيف هو تيسير القرآن لحفظه؟ وكيف هو الإحكام بين الآيات؟ ولهذا فقد ختم الله الآية السابقة التي تعني أمة محمد ﷺ بقوله العظيم وأسمائه الحسنى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ إنه لشعور يغمر قلب الفرد من أمة محمدﷺ ولجميع الناس حين يشعرون بأن من له الحكم إنما هو معهم.. ويقرؤون هذا في القرآن الذي أنزله.. إنه لدافع لكل عاصٍ أن يُقبل على رب يدافع عنه هذا الدفاع، ويحبه هذا الحب.

سبحان الله! قول الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ يبين مدى العدوان على الله سبحانه وعلى نبي الله موسى عليه السلام من قِبَلِ هؤلاء القوم الفاسقين، وهكذا إذا منح الله السلطان المبين لمَن شاء أرعب الجموع وإن كان وحيدًا، وهابه حتى فرعون، وحُمِيَ منه ولو بسلطان لا يدرك ولا يحب أنه سلطان المحبة، كما قال الله ﷻ عن موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]؛ لكن هنا قال الله سبحانه في ختام الآية: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿مُّبِينًا﴾ في الختام أي ظاهرًا، ولا شيء على هذه الأرض أظهر وأعلى وأكبر من الجبل؛ ولذا كان قوله سبحانه: ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ يمثِّل أعظم تهيئة... لرفع الجبل فهو أظهر ظاهر على هذه الأرض، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ [النساء: ١٥٤] فهذا هو الموقع والموضع والموضوع الذي رفع فيه الطور فوقهم.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ
إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾
بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ
مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٦] إلى [النساء: ١٥٩]:

المذكِّر الأول: لقد اختتمت هذه الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، والحمد لله على هذه القلة، والحمد لله فَمِن هذا الكوم الكفري المتكبِّر ناقض العهود يخرج قلة مؤمنون.. ولكن المتوقَّع من الناس حين تكون الرسالات عندهم بهذه الكثرة، وتكون الآيات كذلك كثيرة أن يكون المؤمنون كثيرين... ومع هذا نقول: الحمد لله أن كان منهم قلة آمنوا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ومع هذا فإن هذا القليل المؤمن ليس كمؤمني أصحاب رسول الله ﷺ.. بل فيهم الظلم، وفيهم الغُلُوّ والتشدُّد...

المُذكِّر الثاني: ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء: ١٦٠]: وذلك يظهر من خلال السؤال وهو: فهل إذا نزل عيسى عليه السلام قبل موته آمن به اليهود؟ كان الجواب: في الآية بعدها: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء: ١٦٠]، فالذين هادوا استثناء من الإيمان بعيسى عليه السلام، أو برسول الله ﷺ، ويؤيد هذا الإخبار الذي لن يتغير ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

المذكِّر الثالث: ربما يستكثر البعض رفع الجبل فوق بني إسرائيل أيام موسى عليه السلام.. ولكن أي إنسان يرى الآية تلو الأخرى، ويرى في كل آية ما ازدحم فيها من نقض بأنواع مختلفة، وفي كل ميدان مع تكرار الكفر منهم خاصة في عدة مواضع كما ترى التصريح به من قِبلهم، عندها توقن أن الله سبحانه أعلم بعباده، وأنه ما كان رفع الطور فوقهم إلا استحقاقًا عليهم، وأن الله أعلم بعباده، وأنه سبحانه ما أراد لهم إلا خيرًا، ومع هذا فقد جاء الختام للآية الأولى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].. ومع هذا القليل منهم مَن يكفر فكانت الآية التالية تبتدئ بقوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٦]، والآية التي بعدها تبتدئ بقول الكفر: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧]..

المذكِّر الرابع: ما بين قوله جل جلاله**:** ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]**، وبين قوله سبحانه:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]:

حين نفى الله سبحانه أنهم صلبوه نفى قبلهُ سبحانه أنهم قتلوه بأي صورة من صور القتل، وذلك أن اليهود هم قتلة الأنبياء، فقطع الله بذلك كل احتمال قتل أو صلب، وقطع تفاخرهم بهذا ما بينهم وبين بعضهم.. ومع هذا لم يترك الله جل جلاله باب الظنون والاحتمالات فبعدما قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧﴾ فما بقي إلا التساؤل وهو: فكيف كانت موتته؟ فجاء الجواب: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: بروحه وجسده وليس بروحه فقط، فكان هذا تميز عيسى عليه السلام قد مات في الأرض، وأنقذه الله من اليهود فرفعه الله سالمًا مسلَّمًا.. وحاله في السماء حال الأنبياء الذين رآهم النبي صلى الله عليه وسلم في السماء مع أنهم قد ماتوا في الأرض، وسينزل من السماء حيًّا إلى الأرض، وهو من علامات الساعة.

المذكِّر الخامس: ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٩]:

فإن عزة الله وحكمته تجلَّت تجلِّيًا عظيمًا في حادثة عيسى عليه السلام هذه، فإنه رغم اجتماع أشرار الأرض على قتله بشقيهما؛ العلماء والأحبار والحاكم وهو بطليموس... فلم يمكِّنهم الله سبحانه منه، وكيف يمكِّنهم منه وعيسى روح منه؟! وكانت عزة الله أنْ رَفَعَه سالمًا، وأنزله في أمة محمد ﷺ حاكمًا.. وحين ينزله سوف يؤمن النصارى جميعًا إيمانًا حقًّا؛ وموحِّدين لله رب العالمين وشاهدين أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وهذه والله هي الحكمة البالغة والرحمة العامة، وهكذا ترابطت الآيتان: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

قال ربنا سبحانه: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾ **[النساء].**

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٦٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [النساء: ١٦١]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [النساء: ١٦٢]:

❀ **المذكِّر:** سبحان الله! فهنا جاءت كلمة ﴿كَثِيرٗا﴾ تثبت أن منهجهم هو الصد عن سبيل الله، فليس الصد عندهم حسب الظرف والحالة، بل هو منهج ثابت ينتج صدًّا عن سبيل الله دائمًا وفي كل اتجاه ومنهم جميعًا إلا قليلًا ممَن آمنوا، ولكن لكلمة

﴿كَثِيرًا﴾ على الآية التالية أمر إعجازي كما هو في كل مرة فانتبه لها، فإن ابتداء الآية القادمة هو: ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فهل من أحد أكثر أخذًا للربا من اليهود..؟ فإذا قرأت هنا كثيرًا فلا تنسَ أن تنظر إلى الآية القادمة فتتذكر أنها ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، وإذا قرأت قوله في الختام: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ فاعلم أنه العدل الإلهي بعدم التعميم وإن قلَّ المؤمنون، فصاحب الحق لا يضره كثرة الظالمين والمفرطين؛ ولهذا فلا تستغرب أن تكون هذه الكلمة عنوانًا في آخر آيةٍ في حقهم لتشير إلى الراسخين في العلم منهم، وأنه سبحانه يقلِّلهم؛ ولذا ابتدأ الله ﷻ الآية بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٢] فتأمَّلها وتأمَّل كم مرةً في هذا الاستثناء تكرَّرت كلمة ﴿وَٱلۡمُؤۡتُونَ﴾ [النساء: ١٦٢].

قال ربنا سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! ففي الختام لهذه الآية جاء جزاء ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ بقوله وهو الحق: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ وفي هذا الختام لم يكن المبتدئ بالحفظ يعلم بما بعدها ذلك أن هذا أجر الراسخين في العلم وهم الأحق من بين عامة الناس بهذا الأجر هذا منتهى ما يفكر به أحدنا، ولكن ما إن تقرأ أول الآية القادمة فترى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، ثم تقرأ ذكر الله الأنبياء عليهم السلام واحدًا تلو الآخر إلى أن يشملهم جميعًا بعبارة واحدة، فيقول: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ

نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ﴾ يقول عندها: إي والله من أحق بالتهيئة بهذا الختام العظيم من أنبياء الله ﷺ، حتى لو قلنا: إن الراسخين في العلم لهم أجرٌ عظيمٌ فهذا والله حق كذلك لاحق وهو بالأجر العظيم والأعظم لا وجود فوق الأنبياء ﷺ.. ولا غرابة إذا عرفنا أنه اجتمع الأجر العظيم للأنبياء ﷺ للراسخين في العلم وهم ورثة الأنبياء.

المذكِّر الثاني: من عرف أن أهمية قوله سبحانه في هذا الموضع خاصة لم ينسه أبدًا، ذلك هو قوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢].. ويحدث هذا النسيان والغفلة عن هذا المقطع عند البعض، ولو تدبرنا أهميته ما نسيه من أحد ولا أسقطه سهوًا من حفظه أحد، فالبعض يقول: ها هم الراسخون في العلم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ٤٦] يمتدحهم الله ﷻ فهم ورثة الأنبياء ﷺ، نعم هم كذلك إذا حفظوا الشرط الذي يذكر الله ﷻ وهو أنهم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، فإذا لم يؤمنوا بما أنزل إليك فهم أخبث الخلق، وشر الأئمة المضلين وأخبث خلق الله أجمعين، وإن عدوه حبرًا أو عالمًا راسخًا فإنه راسخٌ في الخبث والإضلال، ولهذا ذكر الله ﷻ بعدها مباشرة: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فهذا كله وغيره من الشرائع الواردة في هذه السورة خاصة وغيرها تتبع الإيمان بما أنزل إليك، والأخذ منه والتلقي منه، وعدم مخالفته إلى سواه حتى لو كان مما أنزل عليهم لأجل هذا الاشتراط الذي اشترطه الله عليهم هنا، ثم لتقديم الله ﷻ ـ هنا ـ الإيمان بما أنزل على رسول الله على الإيمان بما أنزل على أنبيائهم، فقال سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وواضح من الآية أنها تتحدث عن الراسخين في العلم منهم أيام أنبيائهم، إنما هم الراسخون في العلم منهم بعد بعثة النبي ﷺ وإلى يوم القيامة.

قال ربنا سبحانه: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء].

المُذكِّر في ترابط الآيات في قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]:

المذكِّر الأول: الحمد لله: فهكذا هو بعض تعظيم الله ﷻ وتقديمه لرسوله ﷺ؛ فإن الأصل في الترتيب عند معاشر البشر أن نبتدئ بالأول وجودًا، وخصوصًا إذا كان متوفى والأكبر عمرًا، ولا شك أن السابقين أكبر عمرًا وعلى الأخص نوح عليه السلام وهو والد النبي ﷺ وهكذا وهكذا، ولكن ذلك عندنا نحن وهو مشروع إلا عند رب العالمين، فإنه إذا ما كان من بين المذكورين العظماء رسول الله ﷺ كما في الآية: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ فإنه لا أحد يتقدم في الذِّكْر ولا في المذكورين عليه، وهو ربنا ونحن جميعًا عبيده.

المذكِّر الثاني: قوله سبحانه في ختام هذه الآية ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ واضح من هذه الآية أن الزبور أنزل من عند الله على نبي الله داود عليه السلام.. وما أُنزل كلامًا إنما أُنزل مكتوبًا.. وهذه نعمة عظيمة تفرد بها داود عليه السلام من حيثيات كثيرة، ويكفي إفراده هنا بالفضيلة في ختام الآية، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ

وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ]، وقد قال النبي ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[1].

وسبحان الله! فهنا المذكِّر عجيب ما بين الآيتين، وما هو إلا من تيسير الله القرآن للذكر في كل آية من آياته.. وليس هو كلامًا عامًّا أو تيسيرًا عامًّا بل تيسيرًا تفصيليًّا.. فنعمة الزبور نعمة كتاب مكتوب، ونعمة الله المخصوصة على موسى عليه السلام من بين الأنبياء هي نعمة كلامه سبحانه ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.. فالآية الأولى كانت لفضيلة الكتاب المنزل المكتوب من رب العالمين، والفضيلة في الآية التي بعدها خَتمت بها الكلام من رب العالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]:

المذكِّر الأول: سبحان الله! لقد ختم الله ﷻ ذكر المرسلين الذين قصهم الله ﷻ على رسوله ﷺ، وقال له: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ كما قال من قبله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ليبين له أن المرسلين مقامات ومقامات، لكن أعظمهم أنت يا محمد، فأنت المحور، وأنتَ المبتدأ الذي ابتدأتُ ذكر رحلتهم في كتابي هذا بك، وأنت مَن ابتدأت ذكرهم بك، كما في سورة

(١) رواه مسلم (٧٩٣).

البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾، وفي سورة الأحزاب ذكر الله ﷻ النبيين بإجمال، إلا أنه حين ذكرهم بتفصيل، وكان الابتداء بك يا محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب]، فلا كتاب مثل كتابك ولا الزبور، ولا رسول مثلك سواء مَن قصصنا عليك، ومَن لم نقصص عليك، ولا خليل مثلك وإن كان إبراهيم ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء] الذي مرَّ ذكره في السورة عليه السلام، ولا كليم مثلك وإن كان ربك سبحانه قد كلَّم موسى عليه السلام تكليمًا.. فهؤلاء رفقتك الكرام وإخوانك العظام عليهم السلام، وأنت متقدمهم في كل شيء.. وحين قدَّمك ربك عليهم هنا في هذا الموقع فقد قدمك عليهم في الحال الذي ذكر فيهم نصًّا جماع فضائلهم مجتمعة... وخذ معهم من لم نقصص عليك؛ ليبين لك خاصة وللخلق كافة أني قدمت محمدًا ﷺ وأنا العليم الخبير على جميع هؤلاء الذين هم أكرم البشر عليهم السلام، فربك سبحانه لن يَذْكُر لك غاية بَلَغَها غيرك، ويدعك تتوجع لِمَ لَمْ تَبْلُغْها، وهذا بعض حكمة ختام ذكر هذه الكوكبة المعظمة بقوله: ﴿لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥] ورسول الله ﷺ هو بعد الرسل وهو خاتم الرسل ـ عليهم السلام أجمعين وعلى رسول الله الصلاة والسلام ـ ودليل هذا الإعزاز لرسول الله ﷺ وهو دليل الحكمة في هذا الترتيب الختام الأعظم في ذكر آيات المرسلين هنا وحدهم بأسماء الله الحسنى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ نعم لجميعهم من هذين الاسمين نصيب إلا أن النصيب الأكبر والأعز هو لك أنت أيها المخاطب بهؤلاء المرسلين عليهم السلام وكانت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، هي كذلك خير مطلع لاستثناء رسول الله ﷺ بشهادة ليس مثلها شهادة في عظمتها وشهودها وموضع ذكرها هنا، فقال سبحانه مستثنيًا حبيبه ﷺ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝١٦٦﴾ [النساء].. وأنت إذا رجعت إلى الشهادة ستجدها خاصة لرسول الله ﷺ ولهذا القرآن ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ فما علمتموه من فضائل في أحدٍ من المرسلين عليهم السلام

مثل خُلة إبراهيم عليه السلام وتكليم موسى عليه السلام، وما في الكتب السابقة مثل الزبور ونحوها، فكل ذلك ما نزل إلا بعلم الله ﷻ.. وما أنزل القرآن إلا بعلم الله.. إذن على أي شيء الشهادة؟ الشهادة على أن ذلك كله حق.. وأن ما في القرآن وما آتى الله رسوله ﷺ حق، وأنه ما فات القرآن ولا فات رسول الله ﷺ ذلك أبدًا، وما نقص ولا نقص القرآن، بل زاد هو ﷺ عن الجميع وعن المجموع، كما زاد القرآن على جميع ما أنزل الله وعن المجموع، فإن قول الله ﷻ شامل لكل ما أنزل الله، والله ﷻ أنزل عليه القرآن العظيم وأنزل عليه الرسالة كلها وأنزل عليه السُّنَّة، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم] وهكذا ما أنزل الله عليه من فضائل وخصائص ومن أخلاق وعلوم.. فهذه الآية آية عظيمة... آية كبيرة كريمة شاملة كاملة عجيبة حق عجيبة ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا ۝١﴾ [الجن].

فانظر إلى مجيء هذه الآية الكريمة بعد جولة عظيمة مجملة مع المرسلين، وجولة أخرى سبقت هذه الآية من أسماء المرسلين وفضائلهم وخصائصهم وكتبهم هنا يأتي الله ﷻ بأسلوب الاستدراك أو الإضراب عما سبق كله، فيقول سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾، فالشهادة هنا مطلقة؛ لأنها مربوطة بعلمه فأمرك وفضلك، وما آتاك الله لا يحد ولا يعد ولا يحصى.. وكل ما ذكر عما سبق فإنه معلوم محصور.. ولذلك في هذه الآية ما قال الله: (أنزلنا القرآن ولا الآيات)، وإنما هو كل ما أنزل الله على رسوله ﷺ فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ﴾، ومَن ثَمَّ جاء الخطاب لجميع أمم الأرض دون استثناء بقوله هنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧٠﴾ [النساء] وكلمة ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ١٧٠] في هذا المقام إنما هي تزكية وتفرد له ﷺ من دون المرسلين أجمعين، فإذا ذكر فيه العَلَم الذي كل الأعلام من دونه، وليس في الأنبياء عليهم السلام دون.

المذكِّر الثاني: يجب أن نعرف ذلك أولًا، وأن هذه هي الحقيقة، وأن نعرف الأدلة عليها من كلام الله ﷻ، كما يجب أن نعرف أن الذي يفاضل بين رسل الله ﷺ هو رب العالمين، وهو ربهم وهو مَن أرسلهم، ولا ينبغي بل ولا يجوز أن نتلجلج في هذا الأمر.. كأن الله ﷻ من المكلفين.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.. أليس مَن يفضل هنا سبحانه هو مَن قال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٥٣]؟

ثم هل الله ﷻ سوف يفضله ﷺ إلا لغاية؟ وهل يعلمنا الله ﷻ بذلك التفضيل إلا لغاية؟ وهل ساق الله ﷻ هذه السورة العظيمة بهذا الموضوع العظيم، وقد ذكرت أولًا أن غاياتها عظيمة لا يدرك حدها وأن منتهى الغايات ومقامات الخلق هو رسول الله ﷺ وما بُعث به؟

والآن أقول لك: وهل كان هذا الختام لهذه السورة الكريمة إلا لغاية تفهيم الغاية، وتحديد الهدف، وليدرك مَن لم يدرك؟ وسأذكر شيئًا من هذا التخصيص لرسول الله ﷺ باختصار وهو ضروري وليس فضلًا، ولن أتجاوز الآية والآيات القادمة بحرف فانظر إلى الخصوصية في كلام الله من أولها لمَن.. في محفل المجتمعين الذي جمعهم الله هنا ﷻ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ فأنتم سواء في الأصل ومشتركون جميعًا في الوحي من عند الله ﷻ بينما المقدمة الأولى أصل أصيل، وجزء لا يتجزَّأ من الموضوع، بل هو الجزء الذي لا يستغني عنه الموضوع أبدًا، ذلك هو: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ فأنت المقدَّم على الجميع، وأنت المخصوص وحدك بهذا الكتاب، ومخصوص وحدك بـ﴿إِلَيْكَ﴾ ويشترك جميع المرسلين بـ﴿إِلَيْكَ﴾ فلقد أفردك الله وحدك بنون العظمة ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، بل فيها ﴿إِنَّآ﴾ نحن رب العالمين، ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ نحن الله رب العالمين، ﴿إِلَيْكَ﴾ وحدك يا عبدي محمد ﷺ، بينما قال الله في المرسلين:

﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ﴾ فهنا ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ وفيها من العظمة ما لا يمكن حده، ولكن ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ ليس الأمر سرًّا كشفناه لا بل ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفرقان: ٦]، ثم فضّله بخصوصيةٍ وحده بقوله: ﴿إِلَيۡكَۖ﴾، ويتكرر التخصيص له في كل موطن ﴿قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ﴾ ﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾، هكذا هو الحد، بل هكذا هو المقام والحب والود وما لا نعرف مما لا يدرك.

قال ربنا سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ [النساء: ١٦٧]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ [النساء: ١٦٨]، وبين قوله سبحانه: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٩]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النساء: ١٧٠]:

المذكِّر: سبحان الله! فإنها لحكمة تجعل الحافظ لا يمكن أن يخطئ هذه الآيات في هذا الموقف حفظًا وتحفيظًا وتثبيتًا؛ لأنه بتخطيها تخطي رسول الله ﷺ، حتى وكأنه يصبح يمكن مجاوزته، كما هو الطلب اليوم لكي نتفق على مبدأ واحد.. فشرط هذا الاتفاق العام إنما هو التنازل عن رسول الله ﷺ عياذًا بالله، وكأنه يمكن أن تجتمع على كل أمور الدين، ويكون مقبولًا عند الله – معاذ الله – أن نتنازل عن

الإيمان برسول الله ﷺ... أقول هذا لأؤكِّد كثيرًا على نسيان البعض هذه الآيات من هذا الموضع، وأن هذا الرابط هو في غاية الأهمية لرسول الله ﷺ، فإن هذا الفضل الذي ذكره الله ﷻ لرسوله ﷺ عن المرسلين أجمعين ليس هو مجرد فضائل ولا تاريخ، إنما رسول الله ﷺ حدٌّ لا يمكن تجاوزه إلا إلى الكفر والضلال البعيد، ولا طريق سواه إلا طريق جهنم، فاربط هذه الآيات الثلاث؛ ولهذا جاء بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾، ثم إن قول الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، فهذه الآية بهذه الشهادة العظمى حددت تحديدًا المقصود بمعنى الكفر بعدها في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فمعنى الكفر الأعظم هنا كفر هؤلاء برسول الله ﷺ؛ لأن الله صرَّح أعظم تصريح بأن الإيمان إنما هو ﴿أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾، وهذا ما ختمته بأعظم شهادة، فما يتبقى للكفر هنا إلا الكفر برسول الله ﷺ.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء].

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٠]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ﴾ [النساء: ١٧١]:

المذكِّر: في هذا الختام بأسماء الله الحسنى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ أعظم تعظيم لرسول الله ﷺ ورسالته، فإن هذه الآيات تخاطب العالم كافة بالإيمان برسول الله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ ثم يبين الله ﷻ ماذا يعني عدم الإيمان به

فقال سبحانه: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ فلا شيء مقصود هنا إلا الإيمان برسول الله ﷺ، وبدون الإيمان به فهو كفر مطلق ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾، وإن آمنتم بجميع المرسلين المذكورين وغير المذكورين.

إذن فإن المسألة مسألة جدية لا علاقة لها مباشرة بالإيمان ببقية المرسلين عليهم السلام، فتلك شهادة عامة للإيمان بالمرسلين والإيمان بكتبهم دون أي تفاصيل عنهم أو عن كتبهم؛ ولذا قال الله سبحانه: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾؛ فإذا كنت تؤمن بمَن عرفت ممن قصَّ الله عليك فكيف تؤمن بمَن لم يقص الله عليك..؟ **والجواب**: هذا هو الإيمان المجمل حيث المطلوب الإيمان، ولا تكليف أكثر من هذا الإيمان، أما الرسول ﷺ فالإيمان به تفصيلي.. تشريعي.. وهذه سورة النساء قاطعة في هذا الأمر من أول آية حتى آخر آية.. فهل يساوي الإيمان بالمرسلين عليهم السلام بالإيمان برسول الله ﷺ؟ وهل ذكر الله ﷻ تشريعًا واحدًا من شرائع المرسلين؟ هل ذكر الله ﷻ عن الإيمان بالمرسلين عليهم السلام أكثر من الإيمان أي: التصديق؟ بينما انظر ماذا ذكر الله من تفاصيل في اتباع النبي ﷺ، ومخالفته فيها كفر ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]، وانظر فيما ذكر الله عن المنافقين، وعن المتحاكمين، وعن الموالين، وعن القصاص، وعن القتل العمد، والقتل الخطأ، وعن الضرب في الأرض، وعن الهجرة من الديار، أو الثبات فيها، وأمور أخرى كثيرة وتفاصيل فوق الحصر.. وإنكار أي شيء من تلك التفاصيل ربما دخل الـمُنْكِر في الكفر، إذن فالله ﷻ يعلِّمنا ألا نميِّع موضوع الإيمان برسول الله ﷺ على أنه كالإيمان بأي رسول من المرسلين؛ ولهذا قال ربنا سبحانه عن طاعة الرسول ﷺ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا

﴿٨٠﴾﴾ [النساء]، فطاعته من طاعة الله، وليس المطلوب منا هو طاعة المرسلين عليهم السلام، وحين جمع الله ﷻ طاعة المرسلين وطاعة رسول الله ﷺ في آية واحدة، قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء]، فطاعة المرسلين ليست متعلقة بكم، بل بمَن مضى من أقوام بدليل قوله بفعل الماضي: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾، وقوله بالبناء لما لم يُسم فاعله ﴿لِيُطَاعَ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾، فهم يجيئونك أنت ما داموا في عصرك فيستغفرون الله، ويستغفر لهم الرسول، وهل الرسول هنا إلا رسول الله ﷺ؟ إذن حتى أتباع الأنبياء لا ينفعهم إيمانهم بالأنبياء ولا اتباع شرائعهم ما دام رسول الله ﷺ موجودًا أو حتى بعد موته؛ إذ شرعه مستمر إلى يوم القيامة؛ إذ العصر كله عصر أمته، ثم قال الله ﷻ: ﴿جَآءُوكَ﴾، وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، وبعد هذه أقسم الله سبحانه قسمًا عظيمًا، فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وهكذا، فإنه وبعد ذكر المرسلين في سورة النساء جميعًا كما في الآيات، فإن الله ﷻ خصَّ ونصَّ سبحانه بحرف الاستثناء، وكأنه الإضراب عما سبق ليس لجواز الكفر بهم -معاذ الله- وإنما لعظيم الاختلاف في حقيقة الإيمان وتفاصيله، وخطورة المساواة بين رسالات الأنبياء عليهم السلام ورسالة الرسول ﷺ، فقال سبحانه قولًا فصلًا أوله ﴿لَّٰكِنِ﴾؛ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، وليقطع الله دابر المساواة ما ذَكَرَ الأنبياء هنا، بل فصَلَه بفاصل لافت، فقال: ﴿لَّٰكِنِ﴾، ثم قال: ﴿أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾، ولم يتبعه بقوله: (وما أنزل من قبلك)، وقال:

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾؛ ولأنه بعلمه فهو صالح لكل جيل ولبَعْد موتك يا محمد ﷺ، فعلمه سبحانه واسع لا حد له، ودائم لا انقطاع له.. وهذا يعني عدم صلاحية ما أنزل الله من قبل القرآن والسنة لغير أقوامهم؛ لأن شهادة الله هذه خاصة لما أنزل الله على رسوله ﷺ، وكذا شهادة الملائكة، وهي مستمرة إلى يوم الدين ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١]، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ [النساء: ١٧٢]:

❀ **المُذكِّر:** سبحان الله! كيف ختمت هذه الآية العظيمة بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾، فالآية تذكر أن تغيير النصارى كان في أساسيات دينهم و﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، ولو أنه سبحانه تكفل بحفظ دينكم لم يتغير، ولم يستطع أحد تغييره؛ ولهذا نسب الله تغير دينهم لأنفسهم هم فقال: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾، ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾، ﴿ٱنتَهُواْ﴾.. وهذا يعني أن الله قد تكفل بدين محمد ﷺ، وبكتابه وبه ﷺ وبسُنَّته؛ لأنه لا يمكن أن يتكفَّل بالكتاب، ويترك السُّنَّة فيقع الخلل، ويذهب الحفظ، ثم أليست السُّنَّة من

الذِّكْر والله سبحانه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]؟ وكيف لا يحفظ سبحانه السُّنَّة وقد أمر الله بالاقتداء به ﷺ وأمر بطاعة أمره وترك نهيه، ولزوم حُكمه، والرجوع إليه في الحياة كلها في حياته وبعد موته إلى يوم القيامة؟ وكل تلك الأوامر وأكثر منها محفوظ بالقرآن العظيم وبكل تفاصيل الدين الإسلامي، ومن ثَمَّ اختتمت هذه السورة بقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]... فالكلالة هي من أغرب مسائل الإرث وأقلها حدوثًا، وذكر الكلالة هنا هذا أمر مقصود؛ فهو يدل دلالة ظاهرة قاطعة على تكفل الله بكل تفاصيل دين محمد ﷺ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، كما تدل على ما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فمَنْ حفظ السماوات والأرض لا يعجزه حفظ ما هو أغلى وأعظم منهما وقد كرر، وأكد الربط بملكيته سبحانه هنا مع كفالته ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

قال ربنا سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝١٧٢﴾ **[النساء].**

المُذَكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٧٣]:

المُذَكِّر: سبحان الله! فإن هذه الآية تدل على عظم تغيير دين الله ﷻ عند النصارى، وعظم عدوانهم على الله ﷻ مع عدوانهم على عيسى عليه السلام؛ لهذا قال الله ﷻ متوعدًا كل من يستنكف بقوله: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ

جَمِيعًا﴾، والكلام ليس مقطوعًا عن أي مخلوق بمن فيهم رسول الله ﷺ، ومع هذا فلم يقل الله لن تستنكف أنت ولا عيسى ولا الملائكة، ذلك أن عدم ذكر رسول الله ﷺ في هذا الموضع إنما هو خصوصية لا يبلغها أحد؛ إذ في هذا الموضع من الترهيب ما الله به عليم ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، ولقد قال الله ﷻ عن عيسى عليه السلام عند الحساب: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة]، وهذا أمر لا يحتمل سماعه رسول الله ﷺ بذلك؛ وشاهد هذا ما ورد في هذه السورة المباركة: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: «أَمْسِكْ»، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ(١).

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) باختلاف يسير.

قال ربنا سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء].

المُذكِّر ما بين قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ [النساء: ١٧٤]:

المُذكِّر: سبحان الله! حين ذكر الله سبحانه في الآية السابقة أن عيسى عليه السلام ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ ذكر هنا في هذه الآية أن الذين يستنكفون عن عبادته ويستكبرون ليسوا على منهج عيسى عليه السلام؛ إذن فهؤلاء النصارى في نهاية الأمر يحق فيهم وعيد الله ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، وخصوصًا أن هذه الآية هي الآية قبل الأخيرة والخاتمة والتي سوف يتبين لنا في الآية القادمة خطاب الله للناس كافة، وبعد الخاتمة أن هذا في ختام هذه الأمة.. وأن هذه القوة الموجودة عند أمة النصارى كلها إلى زوال، وأن كل القوة ستكون عند أمة محمد ﷺ، فانتبه لهذا الربط بين هذه الآية وما سبقها، وهذه الآية التي بعدها.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، وبين قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٥]:

❀ **المُذكِّر:** سبحان الله! وهكذا أعاد السورة كلها إلى مدارها الموضوعي والحقيقي الذي أنزلت فيه ولأجله وعليه وهو رسول الله ﷺ، فإن ما أجمله الله ﷻ أولًا في الخطاب في أول آية في السورة وما بعده فُسِّر هنا تفسيرًا فاتضح المجمل، وأُحكِم المتشابه، وعاد الأول من السورة على الآخر فاستبان به الباطن فأصبح كالظاهر، ويكفي أن تنظر إلى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في أول السورة، (ويا أهل الكتاب آمنوا) (لا توجد آية بهذا اللفظ)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] فهنا تجلى البرهان فإذا به رسول الله ﷺ وما جاء به من الإسلام، وبهذا أغنى دينه وحده يغني عن جميع الأديان مع اشتراط التصديق للأنبياء عليهم السلام وما جاؤوا به أساسًا من الإيمان، وهذا بعض معاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾؛ فهو ﷺ جاءكم ومعه الحجة المنيرة والمفيدة للبعض، وهو رسول الله ﷺ ومعه الأدلة القاطعة والمعجزات، وأعظم المعجزات وأبقاها إنما هو القرآن العظيم، وهو ما قال الله فيه هنا: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ وقد أنزل هذا النور، وأسكنه في صدره، وجعله على قلبه، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة]، ومن هناك خرج النور للعالمين.

قال ربنا سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذكِّر** ما بين قوله ﷻ: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]، وبين قوله سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]:

❀ **المُذَكِّر:** وسبحان الله! فقد ختم الله الآية السابقة بأعظم ختام معرِّف ومهيئ لما بعده، فقال: ﴿إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ فلأنه مبين ابتدأها كما ابتدأ كل الآيات المماثلة في هذه السورة مما ورد في بني إسرائيل أو المنافقين؛ حيث يذكر الاحتمالين، وهما الإيمان به أو الكفر به ونحو ذلك، ويذكر الجزاءين الجنة أو النار بقوله سبحانه أولًا وبقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾ وبالاحتمال الثاني: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾ أما في هذه الآية الأخيرة الكريمة فذكر الاحتمال الأول، وجعله أولًا لا ثاني له منفردًا لا مقابل له... وهذا إشارة إلى أن النهاية السعيدة الوحيدة للعالمين، وأنه لن يكون صراط آخر في آخِر الأمر إلا ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة] الذي يدعو اللهَ به المؤمنون في كل ركعة في صلاتهم، كما قال المصطفى ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(١)، وهذا الختام إنما يعني الختام العملي في هذا العالم كله للإسلام.. ولو أنه أراد أصحاب النبي ﷺ لكان من الأولى أن يقول: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، لكنها هنا دفعة الله للكفر والمنافقين وورثتهم التي تقطع تسلسلهم إلى أن يرسل الله الريح الطيبة فتقبض أرواح المؤمنين، ويختم الصراع بالخسارة العظمى والكاملة لإبليس وجنده، والعلو العظيم لهذا الدين.. وإقامة هذا الإسلام بكل تفاصيله؛ ولهذا اختتمت بقول الله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾.

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قال ربنا سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء].

❀ **المُذَكِّر** في الختام: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾: فيها البر بالمرأة، فلقد أعطاها الله سبحانه من التركة؛ إذ كانت في عموم تشريعات العالم محرومة، ثم أعطاها نصف الذكر، وذلك رغم أنها لا تكلَّف بعد ذلك بمسؤوليات مالية مثل الذكر من دفع المهر والقيام بمسؤوليات كثيرة.

سبحان الله! كم هو عظيم اختتام الآية الآخيرة بـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ بعد ختم الآية التي قبلها بقوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥] فإنما الصراط الذي في الصلاة ليس هو الصلاة وحدها، بل هو هذه الحياة بأدق تفاصيلها.. وهل أدق من هذه التفاصيل؟! ويكفي أن ينص الله سبحانه على هذه المسألة في الختام، وإنها والله لمفخرة من مفاخر القرآن، وكل القرآن مفاخر ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وإنها بموضعها هذا لهدى للناس أجمعين؛ ولهذا فالله نصَّ على هذه الآية خاصة، وعلى كل ما ورد في السورة الخاصة أنها قاشعة الضلال، ومزيلة الكفر والفسوق والعصيان، فما أجمل ختامها وختام السورة العظيمة ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾! فهل عرفنا حكمة هذا الختام وحفظناها كلها بكل مفاصلها على وجه التمام والإتقان؟ والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة
ويستفتونك... يستفتونك

ألم يقل الله ﷻ في الآية رقم (١٢٧): ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النساء]؟

وقال الله ﷻ في ختام سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [النساء].

ألم يَرِدْ عليك سؤال - كما ورد عليَّ - في كل مرة وأنا أقرأ هاتين الآيتين يقول: أليس السؤال في الآيتين هو نفس السؤال... أم أنه سؤال آخر، أم أنهما سؤالان متقاربان كثيرًا؟!

وعند هذا الحد من التساؤل نكتفي ونتوقف وننتقل لسورة المائدة، أو إلى تكملة الحفظ أو تعاهد المحفوظ، أو ننتقل إلى أي أمرٍ من أمور الحياة.. وكأنه لا جواب مطلقًا عن هذا السؤال.. ونعود قائلين: إن واجبنا الاستسلام والتوقف.. أليس الأمر كذلك؟

والجواب: بلى هكذا هو الأمر عند جُلّ مَن يقرؤها.. فما نحن كمسلمين إلا عيِّنة كريمة واحدة من هذه الأمة الكبيرة الكريمة.. وما يسعنا كمسلمين إنما هو التوقف عند عدم العلم، وهذا هو الحق والأدب، ولكن هل يجوز أن نلزم جميع المسلمين: مَنْ عَلِمَ ومَن لم يعلم على حدٍّ سواء بالتوقف وترك التدبُّر؟ فسبحان الله! كأن الله ﷻ ما أمرنا بالتدبر في القرآن كثيرًا - وهنا خاصة - فقال في سورة النساء: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

ولقد تدبرتهما هذه الأيام بفضل الله من قبل ومن بعد، وكتبت فيهما كثيرًا.. ولكن لما أن جاءت النظرة الأخيرة قبيل تسليم هذا الكتاب للمسؤولين عن المراجعة والطباعة رأيت أن أُسهل ما كتبت أكثر، وأحدده تحديدًا؛ لأن تدبر هاتين الآيتين يقتضي النظر في الآيتين وإرجاع البصر كرتين وأكثر للفكرة وللصياغة كذلك.. ولهذا ما وجدت أُسلوبًا في الإعانة على تدبر الآيتين تدبرًا مشتركًا، وسهلًا، ومحددًا، وواصلًا للغاية التي سيقت الآيتين لأجلها – حسب ما أظن – من أسلوب الأسئلة، فلنتابعها سؤالًا سؤالًا وسوف نصل – بإذن الله – إليها؛ ونعلم بعض ما جعل الله ﷻ فيها، وإليك هذه الأسئلة التي أجوبتها كلها مُسلَّمات؛ لأنها كلها من الآيات.. وكُلُّ جوابٍ لا ترى دليله من الآيات نفسها فلا تقبله، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

س١: مَن المخاطب في قوله سبحانه: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ و﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ في الموضعين؟

ج١: هو رسول الله ﷺ، وليس أحدًا سواه ﷺ.

س٢: إلى أي شيء يشير عدم التصريح باسمه في الموضعين؟

ج٢: فبالإضافة إلى أنه لا مخاطب سواه ﷺ في القرآن.. فإنه لا مفتي ولا مرجع مفوض من عند الله سواه.. وإن طاعته فيما يفتيه طاعة الله.. وكل طاعة مقيدة بطاعتهﷺ مثلما هي مقيدة بطاعة الله، وأنه كما يفتي هو ﷺ عن الله ﷻ فإن الله ﷻ يفتي عنه ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ﴾ كما تراه هنا في الموضعين.. فلو كان ثَمَّ مَن يتكفل الله بالفتوى عنه، أو مَن تكون فتواه مثل فتوى الله ﷻ لأعطاه الله ﷻ ذلك في واحدٍ من الموضعين أو أشركه مع رسول الله ﷺ.. ولو تكررت ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ ألف مرةٍ في القرآن؛ لما كان غير رسول الله ﷺ يعود إليه حرف الكاف و﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ لك أنت وحدك ﷺ.

س: هل ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ الأولى هي نفس ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ الثانية؟

ج: أما كحروف فهي كما تراها واحدة ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، ولكن الاختلافات تكمن في القرائن التي احتفت بكل واحدة، والدلالات لموقع كل آية في السورة، واختلاف في تفاصيل الموضوع، فالنظر في كل ذلك ينبغي تدبره، حتى حرف (الواو) الذي سبق ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ الأولى، وتجردت منه ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ الثانية، ولن أعدك أني سوف أفصِّل ذلك كله.. فهذا ليس كتاب تفسير.. إنما آخذ منه ما يعني موضوعنا بشكل مباشر وغير مباشر بإذن الله.

س: ولكن لماذا ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ هنا، ولم يقل يسألونك مثلًا؟

والجواب: إن ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ إنما تمثل تشريعًا ودينًا، وهذا الذي جرى عرفًا عند المسلمين، فما يقال للعالم المختص «مسؤول»، ولكن يقال له: «مفتٍ»، وهذا يعني المرجعية العظمى ما بين العباد وبين الله ﷻ.

ثم إن السؤال يكون عن أي شيء ولكل أحد، كما قال الله سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ [البقرة]، وقال: أما الفتيا فيختص بها المفتي، والمطلب فيها التدقيق والتحقيق... والتفصيل والفقه الدقيق؛ لذلك فإن الإمام البقاعي رحمه الله قال في ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ أي: يسألونك طلبًا لأن تفتى عليهم بالجواب[١].

وقال ابن منظور رحمه الله: أَفْتاه فِي الأَمر: أَبانَه لَهُ، وأَفْتَى الرجلُ فِي المسأَلة واسْتَفْتَيْته فِيهَا فأَفْتَانِي إِفْتاء، وفُتًى وفَتْوَى: اسْمَانِ يُوضَعَانِ مَوْضِعَ الإِفْتاء، وَيُقَالُ: أَفْتَيْت فُلَانًا رُؤْيَا رَآهَا إِذا عَبَّرْتُها لَهُ، وأَفْتَيْتُه فِي مسأَلته إِذا أَجبته عَنْهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَن قَوْمًا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤١٦).

تَفاتَوا إِليه»؛ مَعْناهُ تَحاكَمُوا إِليه وَارْتَفَعُوا إِليه فِي الفُتْيا، يُقَالُ: أَفْتَاه فِي المسأَلة يُفْتِيه إِذا أَجابه، وَالِاسْمُ الفَتْوَى؛ قَالَ الطِّرِمَّاحُ:

أَنِخْ بِفِناءِ أَشْدَقَ مِنْ عَدِيٍّ   وَمِنْ جَرْمٍ، وهُمْ أَهلُ التَّفَاتِي

أَي التَّحاكُم وأَهل الإِفتاء، قَالَ: والفُتْيا تبيين الْمُشْكِلِ مِنَ الأَحكام، أَصله مِنَ الفَتَى وَهُوَ الشَّابُّ الْحَدَثُ الَّذِي شَبَّ وقَوِي، فكأَنه يُقَوّي مَا أَشكل بِبَيَانِهِ فيَشِبُّ وَيَصِيرُ فَتِيًّا قَوِيًّا، وأَصله مِنَ الفَتَى وَهُوَ الْحَدِيثُ السِّنِّ، وأَفْتَى الْمُفْتِي إِذا أَحدث حُكْمًا، وَفِي الْحَدِيثِ: «الإِثْمُ مَا حَكَّ فِي صَدْرِكَ، وإِن أَفْتَاكَ النَاسُ عَنْهُ، وأَفْتَوكَ» أَي: وإِن جَعَلُوا لَكَ فِيهِ رُخْصة وجَوازًا، وَقَالَ أَبو إِسحاق فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [الصافات: ١١]؛ أَي فاسْأَلْهم سُؤَالَ تَقْرِيرٍ أَهم أَشد خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا مِنَ الأُمم السَّالِفَةِ، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أَي: يسأَلونك سؤالَ تَعلُّم[١].

وما أجمل ما قال الإمام البقاعي رحمه الله في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾! والتي هي في ختام سورة النساء؛ أي: يسألونك أن تفتيهم، أي أن تبين لهم بما عندك من الكرم والجود والسخاء ما انغلق عليهم أمره وانْبَهَمَ لديهم سِرّه من حكم الكلالة[٢].

وللعلم فإنه لم ترد كلمة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في القرآن العظيم كله إلا في هذين الموضعين من هذه السورة وحدها دون سواها... وما أنزل الله حرفًا إلا أنزله بعلمه، وادخر فيه علمه، كما قال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان]، فوجود هذه الكلمة له حِكْمة، ووجودها مرتين في القرآن العظيم له حكمة، ووجودها في هذه السورة تحديدًا له حكمة.. ووجودهما متفرقتين عن بعضهما له حكمة، واختتام السورة بـ

(١) لسان العرب لابن منظور: (١٥/ ١٤٧- ١٤٨).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٥٢٩).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ له حكمة.. وكل شيء في كتاب الله ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] ومن أكثر ما ختمت به هذه السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ و﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فإن ﴿حَكِيمًا﴾ وحدها ورد ذكرها أكثر من إحدى عشرة مرة في ختام آياتها الكريمة، وكل ذلك له غاية عظيمة وهدف واحد به ابتدأت السورة وبه اختتمت.. وهو الحبل الواصل ما بين آيات السورة الكريمة...

س: إذن فهل تعتقد أنت أنهم فضلوا على رسول الله ﷺ في هذه الأمور؟

ج: أنا لا أريد أبدًا أن أخرج عن سورة النساء، لن أفعل - بإذن الله تعالى - اللهم إلا بما يُسند الأصل، وهنا أقصد به سورة النساء، ولتعلم أن ما سأقوله هنا من فضل رسول الله ﷺ هو ضرورة لا يجوز طيها ولا كتمانها ولا المجاملة فيها، وهو ما لا يمكن أن يظهر إلا بهذه الطريقة، ولا يمكن تجاوزه إلا بغفلةٍ أو تفريط في حق رسول الله ﷺ، وهو جزء لا يتجزأ من غاية سورة النساء، والأمر يدرك بقليل من التدبر مع فضل الله ﷻ.

هذه ـ أمام عينيك ـ الآيات التي عدَّ الله فيها الأنبياء عدًّا، وجمعهم جمعًا... فهل قدَّم الله ﷻ النبي ﷺ عليهم جميعًا حين جمعهم في ثلاث آيات متتاليات، أم لم يقدِّمه عليهم مع أنه آخرهم عهدًا، ومن أصغرهم عمرًا؟ والجواب: بل قدَّمه عليهم وأفرده، وفرَّق بينه وبينهم بالذِّكْر، والسرد، والترتيب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

وليكن السبب ما يكون.. وليقل أهل اللغة ما يقولون في معنى تقديم النبي ﷺ فإن السؤال: أليس رسول الله ﷺ هو المُقَدَّم في الآية الكريمة.. أليس هو المذكور الأول في الآية الكريمة؟ أليس ثمة قاعدة أن الله سبحانه لا يفرِّق بين المتماثلين إلا لضرورة مثل آية الوضوء وكيفيته؟

ألم يكن الله ﷻ قادرًا – وهو سبحانه على كل شيء قدير – على أن يقدِّم نوحًا وهو قبل المذكورين جميعًا؛ لأنه الأب، ولأنه الأكبر، ولأنه الأول.. والجواب: نعم ذلك هو الأصل في العرف، أما هنا فقد حضر رسول الله ﷺ مع الجمع الكبير بالذكر.. وكفى؟

ثم ألم يوجِّه الله ﷻ الخطاب في هذه الآية لرسول الله ﷺ وهو يتحدث عن أنبياء الله كافة ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]؟

ألم يجعله ربه ﷻ محور الحديث ومداره بعدما جعله أول المشهد وفاتحه ومساره ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؟ فانظر كم مرة التفت الله إليه في هذه الآيات بالخطاب المباشر الظاهر ومن أي أحدٍ سواه، بعبارات ﴿إِلَيْكَ﴾.. ﴿عَلَيْكَ﴾.. ﴿عَلَيْكَ﴾.. ﴿إِلَيْكَ﴾ فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؟ وقال سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾.

س: وهنا يأتيك السؤال الذي يقول: فماذا تصنع بهذه الفضائل والخصائص لأنبياء الله المذكورين عليهم السلام في الآيات السابقة؟

ج: وسؤالي أنا إليك: هل يستطيع أحدٌ من الخلق أن ينكر فضيلة من هذه الفضائل؟ ثم لِمَ يَعْتَبِرُ البعض أن مدح نبي انتقاصٌ من آخر؟ نعوذ بالله من هذا التفريق.

لقد امتدح الله جميع النبيين ﷺ، وخصهم بمقامات لو لم يذكرها الله عنهم في القرآن العظيم لاندثرت وما عرفها أحد.. وخصَّ في هذه الآيات من سورة النساء بفضيلة مخصوصة كلًّا من إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [سورة النساء]، وداود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [سورة النساء]، وموسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

س: ولكي نفهم الحقيقة كاملة لا بد أن أُسائلك: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، هل هذه فضيلة متعدية لغير إبراهيم عليه السلام، أم أنها فضيلة قاصرة على إبراهيم عليه السلام على عظمتها وسموها وخصوصيتها؟

والجواب: هي فضيلة قاصرة على إبراهيم عليه السلام، ولا تشمل قومه ولا آله.

فهل سمعت أن لإبراهيم عليه السلام أمة خاصة بعث لها، أو تبعث معه يوم القيامة، أم أن إبراهيم عليه السلام أمة وحده؟ والجواب: كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]؟ إذن فلم يكن لإبراهيم عليه السلام أمة معينة، ولم يأتِ لقوم معينين؛ ولذا لم يعرفه قومه الذين وُلد بينهم وعاش بينهم حين كسَّر أصنامهم إلا بعدما كسَّرها، قال الله سبحانه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء]، وهو حين رحل إلى الشام حاورهم كذلك في عبادة النجوم، كما ذكر رب العالمين

القصة في سورة الأنعام، ثم رحل إلى مصر، ثم إلى فلسطين، ثم إلى مكة، فهو لم يُبعث إلى قوم بعينهم، وليس عنده رسالة تشريعية محددة؛ ولهذا لا تُذكر مطلقًا له أمة، وإنما كان هو أمة عليه السلام.

وإذا نظرنا في هذا الوصف [الأمة] بالنسبة لفرد من الأفراد وجدنا أنه يطلق في العادة على أهل الإيمان المتفردين العظماء الذين لا يكاد يكون معهم أحد، كما قال النبي ﷺ لزيد رضي الله عنه عن أبيه عمرو بن نفيل: «فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ»(١).

ولهذا فنحن حين نصلي على إبراهيم عليه السلام لا نصلي على أمته، بل نصلي على آله، ورسول الله ﷺ من آله.

والدليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يبعث لأمة بعينها هو خروجه من قومه في العراق، ولم ينزل الله ﷻ عليهم عذابًا كما هي سنة الله عند خروج النبي ﷺ من بينهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء]، وهو لا يزال يرحل من بلد إلى بلد.

وكم أحيا رسول الله ﷺ من سنن لإبراهيم عليه السلام قد ماتت، بل أقام رسول الله ﷺ سننًا قد انقلبت رأسًا على عقب، وأظهر ذلك الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للتوحيد، لكنها أصبحت بعد ذلك مركزًا للوثنية في جزيرة العرب، حتى كان على البيت وحوله يوم فتح مكة ثلاثمئة وستون صنمًا.

ثم نتساءل كذلك: هل قول الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ هل لهذه المزامير أثر إيجابي متعدٍّ في أمة بني إسرائيل؟ بل هل بقيت هذه المزامير من غير تحريفهم لها؟ لقد بقي نبي الله داود عليه السلام يردِّد مزاميره، ويرتِّلها ترتيلًا، وتسبح معه الجبال والطير... كل ذلك بقي لداود عليه السلام وحده، ولربما قلة قليلة ممن حوله، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

(١) رواه أحمد (١٦٤٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ [سبأ]، نعم هذه التلاوة مع هذه الحالة، هي خاصة من خصائص سيدنا داود عليه السلام.. ومع هذا فإنه لم يتجاوب معه قومه، فكان تجاوب الطير والجماد والجبال حجة على بني إسرائيل، وشاهدة على قسوتهم وغلظة قلوبهم، فلا أمة حوله تتجاوب لتلاوته، ولا أمناء يحملون رسالته.

ثم نأتي للسؤال الذي بعده: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أليست هذه الخصوصية لسيدنا موسى عليه السلام؟ نعمة عظيمة عليه وعلى أمته، ولكن هل شكر قومه هذه النعمة التي اختص الله بها نبيهم عليه السلام؟

والجواب: لا لم يشكروا، بل آذوه بكل ما استطاعوا، وقد قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب] آذوه حتى قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة].

إن سورة النساء تكشف ما كان منهم.. إنه الأثر العكسي لتعاليم الأنبياء في الأرض وهو الإفساد في الأرض والتفريق بين الله ورسله وهكذا وهكذا، وهي الأمة ذاتها التي أرسل لها موسى عليه السلام، وأما الإشارة إلى أمة موسى عليه السلام فهي في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾.

وما كلَّمه سبحانه تكليمًا إلا ليكلِّم هو بني إسرائيل تكليمًا ويبلِّغهم تبليغًا.. وقد فعل عليه السلام وقد كان ردّهم على الضد من ذلك، وهكذا فما بقي من هذه الفضيلة العظيمة إلا خصوصية موسى عليه السلام في التكليم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾.

ويكفي أن تقرأ قول الله سبحانه وتعالى عنهم في سورة النساء: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا

﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم
مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ
بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾
وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء]... ومع هذا فإنه لم

ولن يمس أنبياء الله عليهم السلام منهم أي شر، ولا إثم، ولا افتراء، وهكذا الأمر لعيسى عليه السلام الذي اختصه الله اختصاصات عظيمة، وسماه الله سبحانه ويكفي أن الله سبحانه قال فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟
ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة النساء].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ قصة خير أمة:

س: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ هذه الكلمة الخاصة التي لم ترد إلا في هذه السورة، ووردت مرتين في هذه السورة تخصيصًا.. فماذا يعني هذا.. وعن أي شيء ينبئ هذا.. بل ما القصة التي حملتها ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؟

قصة أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب.. وأمة عربية جَهْل في جاهلية في وسط ظلمات من الأمم البهيمية...

أنزل الله على رسوله ﷺ أول ما أنزل ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١] فقرأ وأقرأ، وعلَّمه ربه ما لم يعلم فتعلَّم وعلَّم، وزكَّاه ربه فزَكَى، وتزَكَّى وزكَّى أمة فتعلَّمت وتزكَّت، ولا يزال على هذا حتى أنقذهم من انهيار محقق، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة]، فلا يزالون يزدادون إيمانًا وعلمًا وليس علمًا وحده حتى بدؤوا يطلبون العلم لله، وبدؤوا يستفتون بأنفسهم عن دقائق ما لا يعلمون.. يستفتون عما يعنيهم ولا يستفتون مجادلين.. يستفتون لأنفسهم ولغيرهم كما في الآيات.. يستفتون ليبلِّغوا رسالة الله للعالمين... فتحصَّنوا بالعلم النافع والإيمان العظيم، وأصبحوا كالمرسلين في حمل الهداية للعالمين عن سيد المرسلين ﷺ.. وهكذا استمرت رسالة الله إلى هذا البيت، وتستمر إلى يوم الدين ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف]، هكذا أنشأ النبي ﷺ رجالًا إلى أن أصبحوا ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ وازدادوا فأصبحوا ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ ليحملوا الأمانة، وأصبحوا ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ ليهدوا – بإذن الله – العالمين.. فـ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ تكررت هنا وما تكررت عبثًا.. حاشا لله، ، فما أعظمها من كلمة في بيان شدة حرصهم على اتباعك يا رسول الله ﷺ .. فما من شأن طرأ عليهم إلا جاؤوك ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ مراحل ومراحل ثم مراحل متواصلة... ولكل مرحلة أحوالها ومسائلها ومستجداتها، ولا يمكن للأمة أن تبلغ مراد الله منها، ولا الإمامة بين الأمم، ولا العلم النافع والعمل الصالح ما لم تكن منهجيتها ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾.

فإذا قارنت الأمم في سورة النساء ستجد أن أمة محمد ﷺ هم مَن يطلبون العلم، ويبذلون لذلك المال والوقت، ويتحملون الأسفار وعناءها، وربما الهجرة والغربة وهمومها.. ليحصلوا على حقيقة ما خرجوا لأجله من استفتاء، فليس هو مجرد سؤال وجواب إنما هي ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: فحروف الياء والسين والتاء لها دلالتها؛ فالياء تدل على الاستمرار؛ لأنها ياء المضارعة، وأما السين والتاء فتدلان على الطلب، فإذا جمعت بينهما فذلك هو الاستمرار في طلب الفتيا، طلب العلم بعد العلم، واستمرار طلب المزيد بعد المزيد، والنور على النور، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال].

بينما أعلم الأمم السابقة ذكر الله عنهم أول ما ذكر في هذه السورة المباركة عنهم وعن منهجيتهم، فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾ [النساء]، فهذه أول آية يذكر الله ﷻ أمة من الأمم الأخرى ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وليست أمة وثنية، وكونهم ﴿أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فإن الذي جاءهم بالكتاب رسول من رسل الله - عليهم السلام أجمعين - وكونهم ﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ هذا منهم عن عِلْم وإصرار، وفوق هذا الشأن فإنهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾، وهذا يعني أنها أمم كفرت بكتبها وكفرت برسلها، وكفرت برسول الله ﷺ، بل حاربته في صلب دعوته ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾.

ج: حقًّا إن ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ لأمرٌ عظيم، وإن معرفة ماذا تعني هذه الكلمة يلزمنا أن ندرس السورة بكاملها، ونتعرف عليها المرة تلو الأخرى، وعندها سوف نستطيع أن نُحْكِمَ حفظ السورة بأكملها، ونجمع بين العلم، والفهم، والآيات، وهداية الخَلق.

فـ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تعني رسول الله ﷺ ومقامه عند ربه.

و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تعني رسول الله ﷺ وأمته في حياته وبعد مماته.

و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تعني رسول الله ﷺ ومقامه بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تعني أمة محمد ﷺ وعلاقاتها برسول الله ﷺ في حياته كما تعني علاقاتها به بعد موته ﷺ.

و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تعني أمة محمد ﷺ ومقامها بين الأمم التي سبقتها.

و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أراها ـ والله أعلم ـ عينًا على سورة النساء.. بل عينان تشرفان من سورة النساء على سورة النساء أو لم تردا مرتين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؟.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: بحر فرات رقراق يزخر؛ بقيم الحياة، ويقومها على الصراط المستقيم، وينفي عنها كل ما لم يَرْضَه الله ﷻ، ويخالف هدي سيد المرسلين عليه السلام.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: هي حياة رسول الله ﷺ بيننا في كل العصور وفي كل الشؤون... فهو ﷺ من يفتينا في الجديد الذي يطرأ علينا، وفي الدقيق الذي يخفى علينا، وفي الصعب الذي يعجزنا، وفي شؤون حياتنا كلها دون استثناء فهل يكون رسول الله ﷺ هو مفقودًا أم المفقود من تاه عن الصراط المستقيم ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: فإن الحقيقة هي أن من أول السورة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، سواءٌ ما روي فيه أسباب نزول فهو كثير، وأما ما لم يرد فيه أسباب نزول فيكفي فيها حديث رب العالمين وهو أصدق الحديث، وكل الآيات يعرضها الله ﷻ على أنها وقائع وأحداث في جميع ما عرضه سبحانه من أحكام هنا، أو أحداث قادمة في قادم الأيام حتى وصلنا إلى هذه الآية العظيمة، والتي تحمل رقم مئة وستًّا وعشرين من آيات سورة النساء، ، وهم لا يزالون على هذا المنهج مستمرين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾

ومن هذه الآية، بل من الآية الأولى وهم ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ و﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، وشاهدُ هذا أن ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ الأولى جاءت معطوفة بحرف الواو؛ فقال سبحانه: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾.. فعلى أي شيء معطوفة وقد ابتدأت الآية بحرف العطف؟ إنها معطوفة على مثلها مما لم يُذكر بلفظه، إنما بتقديره .. وهل من مثلها إلا ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ نفسها؟ وهو مقدَّر أتي بجديد ومفيد، وحتى الآية الكريمة الخاتمة وهم لا يزالون ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: .. والله هو مَن يفتيكم بكل ذلك، وما دامت خُتمت السورة بعد كل هذه الاستفتاءات بـ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾... إذن فلن تتوقف الاستفتاءات حتى بعد انتهاء السورة العظيمة، فإنها إذا ما خُتمت السورة فما خُتمت الحياة، وما دامت الحاجة مستمرة فإن ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ مستمرة.

س: هل يعني هذا أن دعوات المرسلين أجمعين ذهبت هباءً منثورًا؟

ج: لا والله لا أقول هذا، فالخير كله في رسالات الله ﷻ، وما بقي من خير في البشرية في أية مرحلة من المراحل فإنه أثرٌ متواصل من آثار دعوات المرسلين عليهم السلام، وأنهم عليهم السلام قد أنقذوا ما لا يعلمه إلا الله من النار، ودخل بسببهم إلى الجنة ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، وقد أنقذوا ما لا يعلمه إلا الله ﷻ من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. إلا أن جميع الرسالات السابقة كانت محدودة في إطارها الزماني، ولقومِ النبي بشكل مخصوص، إلا الرسالة الخاتمة رسالة رسول الله ﷺ، وهذا هو من أعظم غايات هذه السورة المباركة.. فلقد ذهبت الأقوام وتوحد الخطاب من يا قوم.. يا قوم.. يا قوم إلى خطاب جامع شامل مانع وهو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١٧٠].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١٧٤].

حقًّا، كنت أفكّر في ورود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ثلاث مرات متفرقات في سورة النساء، والآن عند ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الأخيرة هذه ظهر ما لم يكن واضحًا من قبل .. ظهر أن لكل واحدة مرحلتها .. ولكل خطاب مخاطبيه .. وأن ما من شيء في هذا الكتاب إلا لحكمة .. كيف وأكثر ما خُتمت به الآيات هنا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٨٧] ؟

وسترى - بإذن الله — هنا الإحكام في الترابط العظيم ما بين ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ وبين ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، فإذا رأيت ذلك فلتعلم أن الترابط هنا بين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كالترابط بين ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، وأن بين هذين الاثنين ترابطًا عظيمًا، وهذا بعض إحكام القرآن العظيم، وأن الترابط الأعجب هو الترابط الخاص والمحكم ما بين ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾... وهكذا الإحكام في جميع آيات سورة النساء الكريمة العظيمة المباركة.

وإني لأرى من الأهمية البالغة أن نتدبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الثلاث، فإنه بها سوف تكتمل البينة لهذا الموضوع العظيم بإذن الله ..

أولًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الأولى هكذا استفتح ربنا ﷻ هذه السورة العظيمة بهذا الخطاب العام، وجعله الخطاب الأول، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١] في هذه الآية لم يخاطب رب العالمين رسوله ﷺ خطابًا خاصًّا، إنما هو داخل في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ المخاطبين، وقد كان رسول الله ﷺ داخلًا في طينة آدم عليه السلام الأولى قبل أن يصبح في النفس الواحدة التي خلق منها النفس الأخرى، كما قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾، وهي زوجها فكانا نفسين، منهما خلق الخلق جميعًا..

وبهذا التكوين من الطين، وفي الطين ربط النبي ﷺ وجوده بإحكام فوق كل تصور؛ فَعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ**(١) **فِي طِينَتِهِ**»(٢)، وفي الحديث الآخر: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»(٣).

---

(١) لمنجدل: أي: قبل خلق آدم عليه السلام.

(٢) رواه أحمد (١٧١٥٠)، والحاكم (٤١٧٥)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

فأي تعيين هذا؟ بل أي تصوير في هذا التداخل أو في هذه البينية «فِي طِينَتِهِ»، أو في هذه البينية «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»؟ بل أَيَّةُ عظمةٍ هذه لرسول الله ﷺ وإنه لعظيم.. ولا ينبغي تسطيح الحقائق العظمى هنا وتهوينها من أجل استيعاب الأذهان لها، فثمة أمور لعظمتها لا يمكن أن تستوعبها الأذهان، بل ولا ينبغي أن تستوعبها، فإن من عظمتها أن يبقيها فوق التصوُّر؛ ولذا تبقى سماوات عليا فوق أن تمسها الأيادي الأخرى.. بينما تُضْرب لها الأمثلة لتقريبها...

ثم هل ورد هذا لغير رسول الله ﷺ في خلقه أو ورد مثيل له خلْقه أو خلقته من أنبياء ومرسلين وصالحين، وما إلى ذلك، رغم أن الجميع له وجود في طينة آدم عليه السلام؟

إذن فليبقَ رسول الله ﷺ كما هو فرد فذّ في خصائصه التي تفرَّد بها وهذا بعضها... ولتبقَ الأذهان عند حدودها، فذكره في هذا المقام والتوقيت مما يزيده ﷺ عند الناس تعريفًا وتعظيمًا وتكريمًا وتشريفًا... وهذا من أعظم غايات هذه السورة كما رأيت ذلك فيها، وكما ستراه هنا في هذه الخاتمة بإذن الله.

لكنَّ تعبيرَ مَن آتاه الله ﷻ جوامع الكلم ليدلُّ على ما يفهم وجود رسول الله ﷺ وكأنه كيان مستقل بين الروح والجسد، أو جزء في الطينة نفسها «وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»، هكذا هو الأمر في علم الله.. إذن هكذا هو الأمر في حقيقته.. ولا يشترط أن تتصوَّر ذلك الأذهان.

فـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: في أول هذه السورة، كي يبقى هذا الخطاب بهذه الصياغة هو عنوان الرسالة الخاتمة، وهو شعارها، وهو مرادها ومقصودها.. فالناس كلهم هم المستهدفون الأساس بهذه الرسالة عامة، وبهذه السورة خاصة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف].

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾: رجالًا كثيرًا ونساءً كثيرًا، هؤلاء هم الناس، وهذا هو الرابط الجامع بين الناس إلا أن الإشارة العظمى هنا كذلك هي الإشارة لسيد الناس.. عمن لم تَبث مثله الأرحام مطلقًا.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ اخْتَارَ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيرَةٌ مِنْ خِيرَةٍ»(١).

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٢).

وأرجو ألا يقودك الاستغراب إلى النكران مما ترى من مقاصد الآيات وإشاراتها وإرشاداتها؛ فإنك لن تملك الحكم الكامل حتى تنتهي من الآيات حتى آخرها... فإن إتمام الإحكام للسورة من أولها إلى آخرها إنما يظهره - في العادة - ختامها ويحكمه آخرها، ولا يَدورَنَّ في خلدك لحظة أن هذا الذي نقوله عن رسول الله ﷺ غير مقصود ما دام مرتبطًا بالآيات.. وما دمت قد علمت أن رسول الله ﷺ هو أعظم مقصود بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فلتعلم أنه ﷺ هو الأعظم من الناس في تقوى الله التي أوصى الله بها فقال: (اتقوا ربكم.. واتقوا الله) فإنه هو من قال ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»(٣)، وهو أعظم من أَمَر بالتقوى، كما قال الله ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ [العلق] وإنه أعظم من وصل الأرحام وأمر بإيصالها ﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ

(١) رواه الحاكم (٧٢١٣)، وقال في المقدمة: رواته ثقات احتج بمثله الشيخان أو أحدهما.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٦).

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣).

وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﵁ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا بُعِثَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَهُوَ حِينَئِذٍ مُسْتَخْفٍ، فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، قُلْتُ: وَمَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: «**رَسُولُ اللهِ**»، قُلْتُ: بِمَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**بِأَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَتُكْسَرَ الْأَوْثَانُ، وَتُوصَلَ الْأَرْحَامُ بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ**(١)»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى قَالَ: فَذَاكِ لَكِ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾»(٣).

فكل إشارة من هذه يعلمها الله ﷻ، وهو سبحانه القائل في القرآن، وفي هذه السورة خاصة: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

إذن فإن الذي مرَّ في الآية الأولى: إنما يمثل مرحلة من مراحل وجود البشرية عامة، وهو المرحلة الأولى لوجود النبي ﷺ في أول الخليقة ورحلته الكاملة في الطينة، وفي جسد أبيه آدم ﵇ وفي عالم الأرحام والأرواح، وهذا بذاته إعجاز لا

(١) المراد بالصلة هنا: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا، أو أساؤوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله. (لسان العرب ص ٤٨٥١).

(٢) رواه الحاكم (٧٢٤٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤) واللفظ له.

يمكن أن يرصده إلا الله ﷻ، كيف لا وهو الذي يُسَيِّره، ويصوِّره سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران].. حتى وصل ﷺ إلى الوجود، لتأتي بعدها الإشارة لوجوده ﷺ على هذه الأرض وذلك في رحلته إلى الأرض وهو مقصود خَلْقه وغاية وجوده، ثم كانت الإشارة ليُتمه في ذكر مجمل الأيتام هنا... وهل إذا ذُكِرَ الأيتام غاب رسول الله ﷺ وهو أعظم يتيم على الإطلاق؟ والتنصيص على هذه المرحلة ورد بكل وضوح وصراحة في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

ولقد ذكر اليتم هنا خمس مرات في الآيات الأولى، ولقد أصاب النبي ﷺ ما أصابه في يُتمه فلم يؤت ماله، وأُكل ماله إسرافًا وبدارًا، ولما كبر لم يعطَ شيئًا، فلكأن الآيات تتحدث عنه هو ﷺ، أو تبين أن هذا اليتيم هو من سيُعيد للأيتام حقوقهم، وكذلك أمثالهم من الضعفاء وإن لم يأخذ من حقه شيئًا، وهكذا تبقى الآيات الكريمة تتحدث عن كل مَن تحدثت عنه في ظاهرها... ذلك أن الخطاب له هو ﷺ وهو مَن سيحمله للناس.. فكيف يكون الآخرون هم المعنيين، وهو ﷺ هو مَن وقع في اليُتم ولا يكون معنيًّا؟ إلا أن الله سبحانه حين أنزل هذه الآية فإنه ﷺ قد فات أمر تعويضه أو رعايته؛ لأنه تعدَّى اليُتم، وفي الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: «وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ، أَوْ دُورٍ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبَا طَالِبٍ هُوَ وَطَالِبٌ، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلَا عَلِيٌّ ﷺ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِبٌ كَافِرَيْنِ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ»[1]، وانتهى اليُتم، وجاءت التشريعات في مرحلة

(١) رواه البخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١).

البعثة.. وفي كل ما مرَّ من إشارات خاصة لرسول الله ﷺ؛ إلا أن الموضوع الآن هو موضوع الأمة، وهو الموضوع الذي ابتدأت به السورة وتوسَّطت به، وبه خُتمت.. وهل ارتبطت الأمة بأحد من الخلق، ونُسبت إليه إلا إلى رسول الله ﷺ؟ فكل ما يعني رسول الله ﷺ إنما يعني أمة محمد ﷺ.

الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء].

وحين تكمل رحلة رسول الله ﷺ فإن أول تصريح بذكر الرسول ﷺ جاءني قول الله ﷻ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء]، ومع هذا فليس في هاتين الآيتين مباشرة الخطاب إليه ﷺ، ولا شك أنَّ لمباشرة الخطاب من ربه إليه إحساسًا آخر عنده هو ﷺ.. ففيه ما لا يمكن وصفه من الحبور والسرور ومن الخصوصية له وشدة الوطأة الواقعية... وذلك لما فيه من الالتفات والإحضار والحضور، إلا أن المفاجأة العظيمة التي جاءت خطابًا مباشرًا لرسول الله ﷺ كانت في هذه السورة، ولأول مرة في أرض المحشر كشهادة يقدمها ﷺ على هذه الأمة الكبرى أمام الله ﷻ ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [النساء]، وكم حَمَل رسول الله ﷺ من هذه الآية من مباشرة وإحضار وشهادة من أمور لن تفارقه حتى يلقى ذلك الموقف ويتجاوزه هو ومَن جاء عليهم شهيدًا.... إلى أن جاءت الآية السبعون بعد المئة.. وعاد ربنا سبحانه على ذكر رسوله ﷺ أحسن عودة حين خاطب الناس كافة الخطاب الأول نفسه، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ [النساء]، هنا تعرف أن ما أضمرته الآية الأولى في سورة النساء في خطابها بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هو ما صرحت به السورة في هذه الآية بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، والأمر لا يحتاج إلى تفسير، فقد قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾، فكل ما جاءكم في هذه السورة ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ من أوامر ونواهٍ، وتشريعات وأحكام وغير ذلك فإنما هو دين هذا الرسول، ومنهج هذا الرسول ﴿جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾، إذن فليس وراء منهج الرسول إلا الكفر، كما قال الله ﷻ في هذه الآية نفسها: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ فإن هذه إنما جاءت لتقابل ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾؛ ولهذا عقَّب الله ﷻ عليها أعظم تعقيب فقال: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فإن هذه الآية صريحة تمام الصراحة، واضحة كل الوضوح بأن الناس كافة مخاطبون بهذا بعد مجيء رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ و﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ أن الحق كله مجتمع عنده والله أرسله به ومعه، و﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾؛ فآمنوا به من فوركم أمر ملزم من الله، وآمنوا بكل ما جاء به، وآمنوا بكل تشريعاته التي مرت بكم في هذه السورة وما سيأتي فيها وفي غيرها..

وما ذكر الله ﷻ هنا من الإيمان ببقية المرسلين عليهم السلام فهو من حيث إنكم ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أشتات في الأرض وأقوام متفرقون عليها ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد]، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]... فإن مجموعكم كله هذا داخل في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ برسالة رسول الله ﷺ؛ فأنتم مجتمعون من غير تخصيص ولا استثناء داخل في الأصل في نداء الله وندائه ﷺ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ومن ثَمَّ فلا يتعزى أحد بإيمانه بنبي أو رسول عن الإيمان برسول الله ﷺ، فلو كان أنبياؤكم عليهم السلام ومصلحوكم موجودين مثلًا في

عهده لكانوا أتباعًا لهم.. أولم يقل ﷺ في أعظم أنبياء بني إسرائيل موسى عليه السلام: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[1]؟

فلا يغفلن أحد هنا أن المخاطِب للناس هنا هو رب الناس سبحانه وتعالى، الذي أرسل المرسلين من قبل لقُرى الناس وأقوام الناس؛ ولذا فإنكم سوف تستمعون إليه ﷺ، وهو يبلغكم بأن الإيمان بالمرسلين عليهم السلام جميعًا شرط للإيمان بدينه، والكافر بهم كافر به هو ﷺ، فمجموع مَن أُرسل إليه جميع المرسلين عليهم السلام إنما هم جميع الناس.. ولذا فإن الكفر به ﷺ إنما هو كفر بجميع المرسلين دون استثناء؛ ولهذا فقد جمع الله عز وجل جميع الناس في هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ووحد الأمر لهم جميعًا، فقال آمرًا: ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾، ثم ذكر ضد الإيمان به، فقال في ختام للآية: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ فما هذا الختام العظيم...؟! إنك حين تقابل أول هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ بما جاء بعدها من قوله: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ تعرف أن الإيمان بالرسول ﷺ فرض عليكم، وليس فضلًا منكم، ولا هو مجرد استحباب لكم.. بل إن الله سبحانه عقَّبها بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾، فالتهاون في الإيمان به ﷺ كفر، وتأخير الإيمان به كفر، والكفر بما جاء به كلًّا أو جزءًا كفر..

قوله سبحانه هنا: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾؛ أي: إنكم لن تجدوا غير هذا الحكم عند الله.. ولن تجدوا طريقًا إلى الله غير رسول الله ﷺ ولو بحثتم في السماوات والأرض فلن تجدوا لكم بين ذلك سبيلًا.. فالإيمان به قضية كونية مرتبطة بالسماوات ..فَمَن أعطاه الرسالة سبحانه هو مَن يسخِّر له ما في السماوات والأرض، ورسالته وحده باقية ما بقيت السماوات

(١) رواه أحمد (١٤٦٣١)، وقال الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩): حسن.

والأرض، وكل تشريع جاء به رسول الله ﷺ وترككم عليه أيها الناس إنما هو الحق الذي قامت عليه السماوات والأرض، والسماوات والأرض وما فيهما من قوى لا حدود لها وجندٍ لا عدَّ لهم ولا طاقة لأحد بهم، وإنما هم جميعًا مع رسول الله ﷺ، فقال الله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح]، فهو ﷺ ميزان في السماوات والأرض، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن].

وعدم ذكر شرائع المرسلين عليهم السلام هنا في هذه السورة مع هذا الكم العظيم من الشرائع في هذه السورة؛ ليدل على أن شرائع المرسلين لا تعنيكم أيها الناس إلا ما جاءكم به مَن اجتمعت في رسالته جميع رسائل الله للناس، وهو رسول الله ﷺ، وذلك من خلال الكتاب الذي أُنزل عليه، أو من خلال سُنَّته ﷺ..

وقد نصَّ الله ﷻ على هذا الأمر نصًّا؛ فقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ

عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء].

الآية الثالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]:

س: وما الذي ستقول في الآية الثالثة وبدايتها هي بداية الآيتين اللتين سبقتاها في هذه السورة المباركة، وقد وحَّد الله فيها جميعًا الخطاب للناس فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟!

ج: إن رجائي من الله ﷻ أن مَن حفظ هذه السورة بعد هذا وأصبح يكررها.. أن تتجلى هذه السورة بين عينيه بجلالها، وجمالها، وبمعانيها، وتمر على قلبه كاملة كالغمامة من العسل، وهي تنطف ما شاء الله لها أن تنطف عليه وهو يتكففها بكفيه مرة بعد أخرى، وهكذا إلى الأبد، وقد ورد هذا عن رسول الله ﷺ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ[1] السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ[2] مِنْهَا، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَإِذَا سَبَبٌ[3] وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اعْبُرْ**»، قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، حَلَاوَتُهُ تَنْطُفُ، فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصَبْتَ بَعْضًا،**

---

(١) تنطف: تَقْطُر وتَسِيل.

(٢) يتكففون: يأخذون بأكفهم.

(٣) سبب: حبل.

وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لَا تُقْسِمْ»[1].

هذه هي الآية الأخيرة في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، واللافت فيها حقًّا هو أن الله ﷻ لم يذكر فيها رسول الله ﷺ صراحة مع أن ابتداءها بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فلقد ذكر رب العالمين فيها الناس، ولم يذكر فيها سيد الناس ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [النساء]، فالناس هنا أصبحوا بدون رسول الله ﷺ، فهذه الآية الكريمة قد جاءت لتبين لنا مرحلة جديدة.. تدبَّر الآية جيدًا من جديد ستجد أنها مرحلة ذهاب صاحب البرهان ومن أُنزل عليه البرهان – كتابًا أو سنة – وبقاء البرهان نفسه والنور المبين أي الدين العظيم – الإسلام – وهذا هو الأصل الذي بعث له رسول الله ﷺ، ولا بد أن يُحمل الأمر على هذا فإن الأمر إذا تردد حمله على الإضافة أو على التأكيد حُمِل على الإضافة فلا ينبغي أن تُحمَل الآيتان على رسول الله ﷺ.. وقد مرَّ التصريح بذكر مجيء الرسول ﷺ قريبًا في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، فما الذي تحتاجونه أيها الناس من بعد رسول الله ﷺ؟ تحتاجون إلى حجة وبرهان، فالبرهان في كل شيء أراكم إياه رسول الله ﷺ لتحاجوا به الناس، وتقيموا على المعاندين الحجج، وتحتاجون النور، ولقد قال الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾، والنور المبين موجود معكم لا يمكن أن يطفأ أبدًا، وهو أولًا كتاب الله، ثم هو هدي رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول المصطفى ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ[2] انْقَادَ»[1]، وهذا الأمر بكل

(١) رواه البخاري (٧٠٤٦).

(٢) الأنِف: أي الذي جعل الزمام من أنفه، فيجره من يشاء من صغير وكبير إلى حيث يشاء.

تفاصيله قد تم واكتمل ورسول الله ﷺ حيٌّ في هذه الدنيا؛ ولهذا فإن المشهور أن آخر ما أنزل عليه ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، أو أنه قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة] وسواءٌ كان هذا أو هذا فالمعنى واحد.. وهو أن رسول الله ﷺ أقام مرحلة الكمال التشريعي فترة في حياته... وكل مرحلة كانت كاملة بحسبها .. إلى أن أنزل الله هذه الشهادة العظيمة...وما نقص من شيء من دين الله، ومن كماله أن ما أنزله الله آنذاك سيبقى تشريعًا صالحًا واسعًا يسع كل الأقوام وكل الأزمان إلى يوم القيامة؛ ولذا أنزل الله سبحانه في السورة القادمة ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة].

ثم قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾، وقد مَرَّ معنا كيف قال الله ﷻ في الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ولم يذكر الإيمان بالمرسلين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء: ١٧٠]، وفي هذا إشارة واضحة إلى موتهم ﵈، وذكر رسول الله ﷺ؛ لأنه هو وارثهم أجمعين، فهنا أي في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الثالثة لم يذكر رسول الله ﷺ مع بقاء دينه أبد الآبدين إلا أنه سبحانه ذكر وارثهم ﷺ في أمته وهو رب العالمين، وكفى به شرفًا لم يكن لغير رسول الله ﷺ ولا لغير أمته، فالله ﷻ لم يذكر في الآية الثالثة رسوله ﷺ، وما تركه سبحانه نسيانًا ولا غفلة حاشاه ذلك، بل إن هذا النور الذي جعله الله لرسوله ﷺ سيبقى مبينًا، وهذه مرحلة تاريخية جديدة لم تكن لأي أمة من الأمم، وبها يكون

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الختام، والذي يوضحها أكثر هو الآية التي بعد آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١٧] مباشرة في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ففي هذه الآية من الوضوح والبيان ما يكفي إلى التأكيد على أنها تشمل وضع هذا الدين لما بعد رسول الله ﷺ.. فما ذكر الله ﷻ رسول الله ﷺ فيها مرة واحدة.. حيث غاب ﷺ ذكره منها تمامًا في المكتوب والمنطوق، وإن لم يغب أبدًا في الإيمان والاعتصام، وفي النور والهدي، وفي الطاعة والاتباع.. ثم إن ختامها بالصراط المستقيم، والصراط هو الطريق الممتد من بعده، كما كان قبله إلى أن تقوم الساعة، وهو غير مقطوع ولا منقطع، فقال سبحانه: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، وهو محور الدعاء في السبع المثاني والقرآن العظيم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

فواضح من الآية أن الله سبحانه هو من يتولى الأمر، وهو من يرعاه إلى يوم القيامة، وكما في حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[(١)].

وسبحان مَن أنطق الصِّدِّيق في أول خطبة له بعد وفاة النبي ﷺ، وبها عاد الرشد للأمة، وانجلت عنهم الغمة، وزال الخلاف، حيث قال: «أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران] قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ»(١).

أما في الخاتمة لهذه الآية فقال سبحانه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ فبيان الله هو بيان رسوله ﷺ، وإن كان من يفتيكم ويحميكم هو الله رب العالمين إلا أن المزية هي أن الله يحميكم بمحمد ﷺ من الضلال إلى الأبد ما دمتم تستفتونه؛ أي ما دام هو مرجعكم وما دام هو إمامكم ﷺ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

ولهذا فقد أحكم الله ﷻ هذا الخلود بهذا الدين إحكامًا في ختام هذه السورة، وفي ختام حياته ﷺ، ذلك أن الكلمة الأخيرة كانت هي قوله سبحانه هنا: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ فهذا ختام للختام.. للأمة بعد رسول الله ﷺ هذا هو أعظم شيء.. وعلى الأخص حين تقع الفتن المضلة، والله يبين لكم عن طريق رسوله ﷺ أن تضلوا، وفي هذا قال النبي ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ»(٢).

فسبحان الله! هكذا جاءت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ثلاث مرات.. وإنها لثلاث مراحل، فالأولى رسول الله ﷺ في مرحلة ما قبل خلق الإنسان وأول وجوده، والثانية وجود رسول الله ﷺ وبعثته، والثالثة رسول الله ﷺ في أمته بعد موته.

س: ما علاقة هذا ببيان الفارق ما بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الخاتمة، وبيان حكمة ذلك؟

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٢١)، وصححه.

ج: إن أمر الله سبحانه ومراده في هذه السورة لعظيم .. إنه أمر من انتهى إليه أمر النبوات جميعًا، وهو أمر مَنْ حين وصلته الرسالة وتسلَّم رايتها أخرج الله به خير أمةٍ أخرجت للناس، وأمة هدى الله بها الأمم إلى الصراط المستقيم، بعد أن هلك السالكون واندثر الصراط نفسه قبل بعثته ﷺ، أخرج أمة اشتفت للأنبياء عليهم السلام من أممهم التي أصبحت في ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين].

هذه الأمة هي التي ختم الله بها الآية التي سبقت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الخاتمة مباشرة.. بل هي الآية التي جاءت بين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الثالثة الأخيرة وبين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الخاتمة للسورة؛ لأنها الآية الأخيرة.. فأي إحكام هذا.. حقًّا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن]، فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

فهذه الأمة التي بناها رسول الله ﷺ هي الفارق الأعظم والأبقى بين رسول الله ﷺ وبين إخوانه الأنبياء عليهم السلام جميعًا، بالإضافة إلى كل ما حباه الله تبارك وتعالى، فهو خليل الرحمن ﷺ، كما قال في الحديث: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[1]، وهو مَن كلَّم الله عز وجل في السماء وهو حي ليلة الإسراء والمعراج، كما هو الحديث في تشريع الصلاة... وخصائصه لا منتهى لها.

هذه السورة خاصة جاءت تفصح لأمة محمد ﷺ عن مقام النبي ﷺ إفصاحًا ليس بعده إفصاح.. جاءت مُعَرِّفة لها بمقام نبيها عليه الصلاة والسلام، فإني والله لأشعر حقًّا بأن الأمر أعظم مما عَلِمْنا وتعلَّمنا، ومن ثَمَّ فإنها جاءت تبيِّن لهذه الأمة حق رسول الله ﷺ عليها وما هو الواجب نحوه ﷺ عليها وكيف تقوم به... أما مقارنة رسول الله ﷺ بسواه؛ فلا والله لا مقارنة ولا مقاربة مطلقًا.

(١) رواه مسلم (٢٣٨٣).

ألا ترى كيف ذَكر الله ﷻ أعظم الأنبياء عليهم السلام مجتمعين في هذه السورة ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]؟ ثم خصَّ الله هنا بعضهم على الآخرين بأعظم الفضائل.. فإن في هذا إشارة لنا قاطعة بأن الله قد علم بفضائل الأنبياء، وهو العليم الخبير، وهو فضَّل بعضهم على بعض، ومع هذا فإن عدم مقارنتهم منفردين أو مجتمعين مع رسول الله ﷺ إنما هو ليس تقليلًا من قدر الأنبياء عليهم السلام -معاذ الله- وإنما لأن أركان المقارنة أو المقاربة غير موجودة أصلًا .. ولهذا فبعدما ذكر الله ﷻ الأنبياء عليهم السلام، وذكر أعظم فضائل عنهم .. ابتدأ سبحانه ذكر فضائل رسول الله ﷺ بفضيلة واحدة؛ وهي ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦]، وهو الذي يخص هذا المقام .. إذ هو المنهج القائم والتشريع الباقي إلى يوم القيامة .. والذي يجب أن ننتبه له هنا الأوساع التي هي أعظم من كل مقاربة أو مقارنة ما بين أي أحدٍ وبين رسول الله ﷺ، وذلك في ابتداء الآية بـ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾، فإن ﴿لَّٰكِنِ﴾ هذه وحدها لها أبعادها .. فهي تفيد الاستثناء مما قبلها، فهذا القادم ذكره استثناءٌ لا نظير له، ولا قياس عليه، ولا مقاربة إليه .. إنه شيء آخر.

فكيف يقارن به نبي بلا أمة به ﷺ؟ أو نبي ما إن فارق قومه إلا وانتكسوا وراءهم ظهريًّا، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟ فليكن ذلك النبي عليه السلام ما يكون - عظمة مخصوصة - إلا أنه فرد بلا أمة ، أو فرد بشرار الأمم.. على أنبياء الله الصلاة والسلام، هنا جاءت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ ولهذا جاءت؛ ولهذا تأكدت.

وهذا المبحث تحديدًا هو جزء لا يتجزأ من مبحث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ التي جاءت من قبل وهي هي في الختام؛ فلْتتدبرها من جديد، ولتتدبرها جيدًا لعل الله يفيض علينا.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾.. ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: متطابقتين..ووردت مرتين بذات اللفظ المنصوص الواضح، وبينهما فارق؛ فظهرت الأولى في الآية رقم ١٢٧، وأما الثانية

ففي الختام، وهي الآية ١٧٦، وهنا يتجلى مقام رسول الله ﷺ أكثر وأكثر ؛ وذلك حين جاءت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مرتين.. فإنه من المعتاد أنه لن يعرف الفائز بين المتنافسين، ولن يظهر الفارق بينهم ما لم يكن خط الانطلاق واحدًا للمتنافسين، وخط الوصول واحدًا، وهكذا كانت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أشبه ما تكون بنقطة الانطلاق؛ إذ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ هنا هي ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأخرى فخط الانطلاق واحد، وخط الوصول واحد في كل شيء!

س: أخبرني إذن: مَن المتنافسان؟

والجواب: التنافس بين المخاطب الأول بـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى، والمخاطب الثاني بـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الثانية إنه هو رسول الله ﷺ، وما من أحد في الميدان سواه، أليس هو نفسه المشار إليه بحرف الكاف في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؟ فالأولى والثانية كلتاهما في رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يوجد مَن ينافس رسول الله ﷺ مطلقًا، مع أن المجال مجال التشريع والدعوة إلى الله.. ومَن ذا الذي يمكن أن يدخل مع رسول الله ﷺ في سباق؟ أليس هو ﷺ سيد ولد آدم؟ فمَن ذا الذي ينافس مَن عَيَّنه الله سيد ولد آدم على هذه السيادة؟ أليس هو صاحب المقام الأسنى يوم الدين بحيث لا يشاركه فيه سواه أبدًا وهو المقام المحمود؟ فهل ترى معه في هذا المقام أحد أو يشاركه غيره؟ أليس هو صاحب المنزل الأعلى والمقام الأول الأوحد الغابر بعيدًا في سماوات المقامات، وهو بيته في الجنة؟ كما في الحديث عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟»، قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ رُؤيَا قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللهُ»، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي»، إلى أن قال في رؤياه ﷺ: «وَالدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا:

ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»[1].

وما بين ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ **الأولى والثانية** ما لا يمكن وصفه، فرسول الله ﷺ عند ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى وقبلها وبعدها كان يعيش مرحلة من مراحل حياته المفعمة بالتشريع، السابقة لكل متسابق في التغيير سعيًا نحو بلوغ كمال الدين وتمامه، كما شهد الله له بهذا البلوغ العظيم في ختام حياته، وأنزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة]، وقد أدرك هذه الحقيقة العظيمة والخطيرة بالنسبة لمستقبلهم فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْـمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ[2]... وأنت ترى أين وقعت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى من هذه السورة المباركة؛ إنها الآية السابعة والعشرون بعد المئة.. فانظر ما جاء قبلها من تشريعات، وانظر ما جاء بعدها.. وإنها البحار الزاخرة.. وسماوات بلا منتهى بنجوم وأقمار زاهرة سواءٌ ما قبلها أو ما بعدها، وإن ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى لشمس ساطعة.

وهكذا أشار حرف العطف (الواو) في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى في هذا الموضع خاصة، فإن هؤلاء الذين آمنوا لا يزالون يستفتونك ويستفتونك ولا ينقطعون، فهو عَطْف ومن الترابط ما فيه، والله معكم، والله يرعاكم، والله يفتيكم فلا انقطاع للناس

(١) رواه البخاري (١٣٨٦).

(٢) رواه البخاري (٤٥).

عن رسول الله ﷺ، ولا انقطاع لهم عن الله ﷻ الذي شرَّف رسوله ﷺ بأن تولى سبحانه الفتيا عنه ﷺ ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى]، فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء: ١٢٧]، وأصابكم بهذا الشرف أيتها الأمة ما أصابكم.. وشرَّفكم بأن ربكم يفتيكم، فمَن من أهل الشرك وأهل الإلحاد يدعي مجرد دعوى بأن ربهم يفتيهم؟! ها هو ربنا سبحانه يفتينا.. وهذه فتواه مسجلة في كتابه الذي لا ينكره أحد، ولم يدَّعِ مدَّعٍ في الوجود أن القرآن العظيم كتابه.. فأين فتوى أربابكم يا أهل الشرك مكتوبة مصدقة ثابتة ثبوتًا قطعيًّا؟ وأي دليل على أهل الإلحاد مثل هذه الفتوى التي يفتيها الله مكتوبة تراها الأعين؟ مخطوطة على الورق .. مقطوع بصحة نسبتها لله ﷻ، وفي أعظم ثابت في كتب الوجود، وصحة نسبته الأولى حتى هذا اليوم .. فربنا يفتينا فهو العليم وهو الحكيم، وربنا يقسم أعظم قسمة في أقل كلمات، ويجعل قسمة الإرث كله من أول ما أنزل إلى آخر الدنيا قسمة في منتهى الإحاطة والدقة، فهو ربنا [الحكيم]، وربنا [الحسيب]، وقد صرَّح بهذا فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء]، وقال في هذه السورة كثيرًا: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه في هذه السورة الكريمة: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء]، فسبحان الله؛ أليس هو ربنا الذي قال لرسوله ﷺ في أول ما أنزل عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق]، وسيكون في هذا كتاب كامل – بإذن الله وتيسيره – [سورة النساء نموذجًا]..

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: من أول السورة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ سواءٌ ما روى فيه أسباب نزول فهو كثير أو لم يرد فيه أسباب نزول حتى وصلوا إلى هذه الآية العظيمة، والتي تحمل رقم مئة وسبعًا وعشرين من آيات سورة النساء، ومن هذه الآية حتى الآية الكريمة الخاتمة

وهم ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾.. والله هو مَن يفتيكم بكل ذلك، وما دامت خُتمت السورة بعد كل هذه الاستفتاءات بـ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ إذن فلن تتوقف الاستفتاءات حتى بعد انتهاء السورة العظيمة، فإنها إذا ما خُتمت السورة فما خُتمت الحياة.

وهنا لا بد أن تتساءل قائلًا: فمَن يفتيهم لباقي الحياة وامتدادها وقد انقطع الوحي؟

والجواب: الله هو من يفتيهم، كما قال بكل وضوح: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾.. فالله سبحانه هو من أنزل هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معجزاته.. بحيث لا يوجد شيء سيقع إلا وعِلْمُهُ في هذا الكتاب، وما من مسألة في هذه الحياة إلا وعَلِمَها سبحانه، وجعلها في هذا الكتاب العظيم، والله معكم في كل تفاصيل حياتكم، وأنزل هذا الكتاب وهو يعلم سلفًا بكل تلك التفاصيل، كما قال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: هذه الخاتمة هي حاملة المعجزات وحاملة أعظم البشارات.. إذ فيها أن هذه الأمة باقية وخالدة، وأنها أمة حية وحيوية إلى الأبد، فإن ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ تحمل من طلب العلم في أدق التفاصيل، وطلب الحق مع الختام بـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: تدل على أن هذه الأمة ستكون هي منبع العلم للأمم... وهكذا كانت أمة محمد ﷺ بالنسبة لأكبر عصرٍ علمي حديث ظهر على هذه الأرض وهذا هو العصر، فمن المعلوم أن المصدر الأكبر، وربما الأوحد للثورة العلمية هو ما كتبه العلماء المسلمون في بغداد والشام والأندلس وبلاد المسلمين.. وهؤلاء العلماء المسلمون لا مصدر لهم إلا كتاب الله العظيم وسُنَّة رسول الله ﷺ.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الختام: تدل على أن الحياة ستبقى في تغير وتطور بلا حدًّ، وأن هذا القرآن يَصْلُح ويُصْلِح كل زمان ومكان ذلك أن منهجه الجواب على ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾.. فهو مَن يحرِّض على هذه المنهجية العلمية بالسؤال والتساؤل، ولولا

أن هذا المنهج هو الذي يحمل الإجابة عن كل شيء في الحياة لما حرَّض الله ﷻ الناس كافة على السؤال، وأن الله قد جعل جواب أسئلتهم في هذا القرآن، بل وطموحاتهم، مهما عظمت فهي كذلك في القرآن.. ذلك أنه وإن مات رسول الله ﷺ وهو المستفتى فإن المفتي هو الله، والله حي لا يموت؛ ولذا قال الله ﷻ بعد: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ الأولى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، أما الخاتمة والأخيرة فقد قال سبحانه بعدها مباشرة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ فلم يحدِّد الله ﷻ موضوعًا في الأساس، وإنما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ فكيف يفتي الله ﷻ لنا، ولمَن قبلنا، ولمَن بعدنا إلا لأنه قد جعل في كتابه الكريم يوم أنزله كل ما يحتاجه المستفتون وهو أعلم بما يحتاجون؟! قال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾: هي إعلان للناس كافة؛ لأن الله ﷻ ما حدَّد المستفتين من المؤمنين أم من غير المؤمنين، ومَن في عصره ﷺ، أو بعد عصره.. فيستفتونك للناس أجمعين.. كرسالته ﷺ للناس أجمعين؛ ولذا فإن كل ما ورد من موروثات الأنبياء ﷺ لأقوامهم تطوى تمامًا هذا إذا كان شيء منها محفوظًا.. إلا ما أقرَّه الله عز وجل في كتابه الكريم ورسوله ﷺ في سنته، فالحكم المطلق له سبحانه، وهو الحكيم الخبير، وهذه هي الحكمة والعقل؛ إذ كيف يمكن لشرع جاء من قبل لقوم محدودين هنا، وشرع لقوم هناك أن يصلح للناس كافة إلى يوم القيامة؟!

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: تبقى شهادة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ على أن هذا الدين هو منقذ الأيتام والأرامل، والنساء عمومًا، والضعاف في جميع المجتمعات، وهو الذي يحرِّرهم، وهو الذي يزيل الظلم، ويعيد الحقوق لأصحابها، أليست ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في المرتين تتحدث عن النساء وعن الكلالة، وهكذا كل السورة في إقامة العدل ونشر الرحمة، إن

في هذه السورة قوةً لا طاقة لأحد بها؛ لأنها تقيم الأمة العظمى التي لا طاقة لأحدٍ بها إذا قامت، وقوتها من قوة الله، ونصرها من عند الله، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تساؤلات في جولات	٥
الجولة الأولى	٥
الجولة الثانية	٧
الجولة الثالثة	١٠
الجولة الرابعة	١١
الجولة الخامسة والأخيرة	١٢
سورة النساء	١٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾	١٧
﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾	٢٠
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾﴾	٢١
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾	٢١
﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾	٢٢

الموضوع	الصفحة
﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾	٢٤
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾	٢٧
قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٨﴾	٢٨
﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾	٢٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾	٣٠
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾	٣٢
﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾	٣٦

الموضوع	الصفحة
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾	٣٨
﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾	٤٠
﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾	٤١
﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾	٤٢
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾	٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾	٤٥
﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾	٤٧
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾	٤٨
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾	٤٩

الموضوع	الصفحة

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ ٥٠

﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ ٥٤

﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ ٥٤

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ ٥٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ ٥٩

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ ٦١

الموضوع	الصفحة
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾	٦١
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾	٦٢
﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾	٦٤
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾	٦٥
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾	٦٧
﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾	٧٠
﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾	٧٢
﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾	٧٢
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾	٧٣

الموضوع	الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾	٧٧
﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾	٧٨
﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾	٧٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾	٧٩
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾	٨١
﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾	٨٣
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾	٨٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾	٨٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾	٨٦
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾	٨٧
﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾	٨٨

الموضوع	الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾	٨٩
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾	٩٠
﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾	٩١
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾	٩٣
﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾	٩٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾	٩٥
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾	٩٦
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾	٩٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾	٩٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾	١٠٠
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾	١٠١

الموضوع	الصفحة
﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾	١٠٢
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾	١٠٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾	١٠٥
﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾	١٠٦
﴿وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾	١٠٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾	١٠٩
﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢﴾	١٠٩
﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٧٣﴾	١١٠
﴿۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾	١١١
﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾	١١٢

الموضوع	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾	١١٣
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ .	١١٤
﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾	١١٩
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾	١١٧
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾	١١٨
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾	١٢٠
﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾	١٢٢
﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾	١٢٣
﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾	١٢٣

الموضوع	الصفحة
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ ..	١٢٥
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾	١٢٧
﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾	١٢٨
﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾	١٢٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾	١٣٠
﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١﴾	١٣١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢﴾	١٣٢
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾	١٣٤

الموضوع الصفحة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ ١٣٥

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ
فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا
٩٦﴾ ١٣٦

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ . ١٣٨

﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا
٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ ١٤٠

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾ ١٤١

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ ١٤٢

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ
أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ
فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ
أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ
أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ
لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾ ١٤٤

الموضوع	الصفحة
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾	١٤٦
﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾	١٤٨
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾	١٤٩
﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾	١٤٩
﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾	١٤٩
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾	١٥٢
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾	١٥٣
﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾	١٥٥
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾	١٥٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾	١٥٨

الموضوع	الصفحة
﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾	١٥٩
﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾	١٦٠
﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾	١٦١
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾	١٦٣
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾	١٦٦
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾	١٦٦
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾	١٦٧
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٩
﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾	١٧١

الموضوع	الصفحة
﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾	١٧٣
﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾	١٧٥
﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ١٣٣ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ١٣٤ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾	١٧٨
﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾	١٨١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾	١٨٣

الموضوع	الصفحة
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾	١٨٥
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾	١٨٥
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾	١٨٦
﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾	١٨٧
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾	١٨٨
﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾	١٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾	١٩٠
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾	١٩٠
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾	١٩١
﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾	١٩٢
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾	١٩٣
﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾	١٩٦

الموضوع	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾	١٩٩
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾	٢٠١
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾	٢٠٣
﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣﴾	٢٠٥
﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾	٢٠٨
﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾	٢١٠
﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾	٢١١

الموضوع	الصفحة
﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾	٢١٣
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ ﴾	٢١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾	٢١٩
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾	٢٢٢
﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾	٢٢٣
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ ﴾	٢٢٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾	٢٢٦
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ ﴾	٢٢٧

الموضوع	الصفحة
﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾	٢٢٨
الخاتمة ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾...﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾	٢٢٩
الفهرس..	٢٦٥

الخط الساخن

+965 69600444